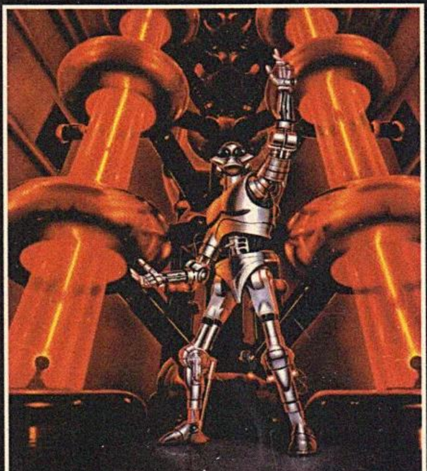
أنا.. روبوت



دار نهضة مصر للنشر

إسحق أزيموف

إسحق أزيموف

أنا.. روبوت

دار نهضة مصر للنشر

العنوان: أنـــا.. روبـــوت
تأليف: إسحق أزيموف
ترجمة: محمود حسن عبدالجواد
مراجعة: د. نبيل فاروق
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم

Original English title: I, Robot.

الترقيم الدولي: 6-4562-14-977
رقم الإيداع: 9724 / 2012
الطبعة الأولى: يونيـــة 2012

تليفـــون: 33466434 - 33472864 02
فاكـــس: 33462576 02

خدمة العملاء: 16766
Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com

دار نهضة مصر للنشر
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

21 شارع أحمد عرابي -
المهندسين - الجيزة

تعرف على ما يزال يقوله كتاب الخيال العلمي والفنتازيا عن

إسحق أزيموف

«إن التفرد والمفهوم العميق اللذين كونا الأساس في ثلاثية أزيموف، هما ما دفعاني أصلًا إلى الكتابة في الخيال العلمي».

بريان دبليو ألديس

«أرسى أزيموف بأعماله التي يغمرها خيال خصب وإدراك واع ومعلومات غزيرة ـ القواعد الأساسية لكل أجيال كتاب الخيال العلمي في المستقبل».

كيفين جيه. أندرسون

«ثقافة موسوعية حقيقية، مفكر متميز، أسلوب سهل الفهم في كتابات الخيال العلمي والقصص، ببساطة شديدة كان أزيموف متفردًا في كل ما يقدمه، رائدًا، مؤلف العديد من أكثر الأعمال التي لا تزال في ذاكرة القراء في القرن العشرين، ربما يمكن معرفته أكثر بأنه مبتكر شخصية هاري سيلدون، ليدج بيلي، آر دانيل أوليفاو، ترانتور و إنسيكلوبيديا جلاكتيكا، وفكرة الروبوتات - خدامنا الأبديين - الذين يجب أن يلعبوا حسب القانون حتى وإن كان الظاهر غير ذلك».

جريج بير

«لم يكن إسحق أزيموف أحد أهم كتاب الخيال العلمي فقط، بل كان واحدًا من أفضل وأذكى البشر. اقرأ هذه القصة لتشاهد العبقرية المتدفقة في أفضل أعماله».

بن بوفا

«قدم أزيموف وجبات عقلية دسمة لحضارة كانت تتضور لرؤية واضحة للمستقبل. حتى يومنا هذا رؤيته هي الملح على مائدة حديثنا عن مصير البشرية».

ديفيد برين

«أزيموف هو الذي دفعني لقراءة أدب الخيال العلمي. بدأت بقراءة «أقفاص من الصلب» ثم أتبعتها بـ «الشمس العارية». بعض الكتَّاب يرسمون لنا العالم بصورة مختلفة لكن إسحق أزيموف فتح باب الكون وأخذنا في رحلة في منتهى الروعة».

إثر فريزنر

«قدرة إسحق أزيموف على أخذ الأفكار المهمة للغاية لإعطاء الشعور بالعجائب في الخيال العلمي وتجسيدها في قصص وأجواء بشرية للغاية - رفع معايير الجودة عاليًا لكل من تبعه منا في كتابة أدب الخيال العلمي المدفوع بالأفكار خاصة في قصصه عن الروبوتات وسلسلة الأساس وكتاباته الأخرى في الخيال العلمي التنبؤي سواء قصيرة أو طويلة. كان أزيموف هو القانون الذي يحكم نفسه ولكنه في الوقت نفسه منح زملاءه من الكتَّاب قوانين - للروبوتات والتاريخ النفسي - تأثرنا بها جميعًا في محاولاتنا للكتابة عن الذكاء الآلي أو الحضارات الإنسانية المترامية في المكان والزمان. تلك هي تركته العظيمة والمهمة».

هوارد ف. هندريكس

«ثلاثية الأساس لأزيموف كانت المحك المحوري في حياتي للأدب الإبداعي. رؤيته ونطاقها شملت المجرة عبر حقب مختلفة وفي الوقت نفسه كان يقص قصصًا شخصية للغاية عن شخصيات حية. نضجت شخصيتي الحالية ككاتب من الصبي الذي كانت هذه الكتب تمس شغافه في ذلك الحين. ولا تزال هذه الكتب تؤثر في. شكرًا يا إسحق؛ لأنك فتحت عقلي وحياتي على الممكن».

تراسي هيكمان

«لقد تربيت على الرموز الرئيسية للخيال العلمي.. أزيموف وبرادبري وكلارك. هناك سبب لأن ياتي اسم أزيموف أولًا وليس ذلك مجرد ترتيب أبجدي».

جانيس جان

«تجتاز سلسلة الأساس لأزيموف اختبار الزمن. كانت من بين أول كتب الخيال العلمي التي قرأتها على الإطلاق ولا أزال أستمتع بها حتى اليوم بعدما كبرت. هذا النوع من الأدب يدين بكثير من الفضل لرؤيته الشاملة لإمبراطورية المجرة».

كارين لواتشي

«فكرة تمرد الروبوتات على سادتهم من البشر قديمة قدم كلمة روبوت نفسها على الأقل. أزيموف كان فريدًا من نوعه في التعامل مع هذه الفكرة كمجرد مشكلة هندسية حلها بقوانين الروبوتات الثلاثة الشهيرة. وهذا في حد ذاته منحه مكانة متميزة في التاريخ لكنه استمر واستمر في استكشاف العواقب والتبعات غير المقصودة للحل الذي توصل إليه. وفي غضون ذلك، صنع تاريخًا من أكثر التواريخ التي عرفها الأدب حيويةً وأصالةً واستمرارًا، والتي ربما لن يعرف تاريخ الأدب مثلها. عزيزي القارئ، أنت مدعو لخبرة مثيرة!».

ويل مكارثي

«لو كان هناك ما يمكن قول إنه كان منصة الانطلاق لأدب الخيال العلمي عن عصر الفضاء فهي ثلاثية الأساس؛ إنها كلاسيكية ولا يمكن نسيانها».

جاك مكديفيت

«أنا متأكد من أنه سيكون هناك المزيد من قصص الأساس وقصص الروبوتات وقصص الخيال العلمي الغامضة؛ لأن هذه هي التركة التي تركها لنا إسحق. لكن قراءتها لن تكون أبدًا بالمذاق نفسه. ليس هناك سوى إسحق أزيموف واحد فقط ولن يكون هناك آخر».

مايك رزنيك

«سلسلة الأساس واحدة من روائع أدب الخيال العلمي. لو لم تكن قد قرأت هذه الروايات من قبل فأنا أدعوك لذلك .. وحتى لو كنت قرأتها فمن حقك على نفسك أن تعيد قراءتها؛ لأنها لا تزال عظيمة».

ألين م. ستيلي

«بكل بساطة، أزيموف هو من حسني».

ليز ويليامز

«كان إسحق لا يزال دون العشرين من عمره حينما قابلته، كان من جمهوري قبل أن أصبح أنا من جمهوره. ويكتاباته مع جون دبليو كامبل في «العصر الذهبي للخيال العلمي» أصبح واحدًا من المؤسسين لمجالنا. وأسهم بقصصه عن الروبوتات وسلسلة الأساس في تشكيل أدب الخيال العلمي كما نعرفه اليوم».

جاك ويليامسون

إلى جون دبليو كامبل الابن
الأب الروحي للروبوتات

المحتويات

مقدمة

نظرت إلى ملاحظاتي ولم تعجبني. كنت قد قضيت ثلاثة أيام في شركة يو إس روبوتس، وكان يمكن كذلك أن أمضيها في بيتي أطالع موسوعة تيلوريكا.

أخبروني بأن سوزان كالفن ولدت عام 1982؛ أي إنها الآن في الثلاثين من عمرها، وهو ما كان يعرفه الجميع. ومن حسن المصادفة أن عمر شركة يو إس روبوتس المحدودة خمسة وسبعون عامًا أيضًا؛ حيث قام لورنس روبرتسون في نفس العام الذي ولدت فيه كالفن باستخراج أوراق تأسيس الشركة التي أضحت أخيرًا أغرب شركة صناعية عملاقة في التاريخ. وهذا أيضًا يعرفه الجميع.

وانضمت سوزان كالفن في سن العشرين لعضوية المؤتمر النفسي-الرياضي الذي قدم فيه الدكتور ألفريد لانينج من شركة يو إس روبوتس أول روبوت متحرك قادر على الكلام. كان الروبوت ضخمًا وغير متناسق الشكل وليست به أي لمسة جمالية، وتفوح منه رائحة زيت تشحيم الآلات، وكان الهدف هو استخدامه في مناجم عُطارد، ولكنه كان قادرًا على التحدث بعبارات لها معنى.

لم تقل سوزان أي شيء في ذاك المؤتمر، ولم تشارك في النقاش الساخن الذي أعقبه؛ فقد كانت فتاة فاترة الأحاسيس متوسطة الجمال وشاحبة، ليس بها شيء مميز، وكانت تقي نفسها عالمًا لا تحبه بوجه جامد وذكاء كبير، بيد أنها شعرت بقشعريرة من الحماس وهي تشاهد وتستمع.

حصلت سوزان على درجة البكالوريوس من جامعة كولومبيا عام 2003 وبدأت دراساتها العليا في علم السبرانية[1].

(1) السِبرانيــة هو علم القيادة أو التحكم (control) في الأحياء والآلات ودراسة آليات التواصل (communication) في كل منهما.

وكان كل ما تم تحقيقه في منتصف القرن العشرين فيما يتعلق بـ «الآلات الحاسبة» قد انقلب رأسًا على عقب على يد روبرتسون ومسارات العقول البوزيترونية[1] التي اخترعها؛ حيث تنحى العدد الكبير من الوصلات والخلايا الضوئية جانبًا مُفسحًا المجال لكرة مسامية من البلاتين ايريديوم بحجم المخ البشري تقريبًا.

تعلمت سوزان كيفية حساب العوامل المتغيرة اللازمة لضبط المتغيرات المحتملة في «العقل البوزيتروني»، وأن تصمم «عقولًا» على الورق يمكن التنبؤ – بدقة – بردود أفعالها لمحفزات معينة.

وفي 2008، حصلت سوزان على درجة الدكتوراه وانضمت إلى يو إس روبوتس «كأخصائية نفسية للروبوتات» لتصبح أول ممارسة متميزة لذلك العلم الجديد. وكان ألفريد روبرتسون لا يزال حينها رئيسًا للشركة، بينما أصبح ألفريد لانينج مديرًا للأبحاث.

وعلى مدى خمسين عامًا كانت سوزان كالفن تتابع التغير في اتجاه التقدم البشري وما تحقق من طفرات.

أما الآن فهي تتقاعد— بقدر ما تستطيع – على الأقل لتسمح لشخص آخر بتولي منصبها.

كانت هذه بالأساس هي المعلومات المتوافرة لديَّ. وإلى جانب قائمة طويلة من أبحاثها المنشورة وبراءات الاختراع المسجلة باسمها كان لديَّ التسلسل الزمني لترقياتها الوظيفية. باختصار، كانت لديَّ «سيرتها الذاتية» المهنية بكامل تفاصيلها.

لم يكن ذلك ما أريده.

كنت أحتاج إلى ما هو أكثر من ذلك لكتابة تحقيقاتي الصحفية لمجلة إنتربلانيتاري برس.

وقد أخبرتها بذلك؛ حيث قلت لها بأكبر قدر ممكن من التفاؤل:

«دكتورة سوزان، أنتِ وشركة يو إس روبوتس وجهان لعملة واحدة في رأي الناس؛ لذا فإن تقاعدك سوف ينهي فترة و...».

«تقصد الجانب الإنساني؟» لم تبتسم لي، ولا أظن أنها تبتسم على الإطلاق، كانت نظراتها حادة لكنها لم تكن غاضبة. وشعرتُ بنظرتها تخترقني وتخرج من مؤخر

(1) البوزيترون هو جسيم موجب ذو كتلة تعادل كتلة الإلكترون، والعقل البوزيتروني هو الكمبيوتر المركزي للروبوت، ويوفر له شكلًا من أشكال الوعي التي يستطيع الإنسان تعرُّفها.

رأسي، فأدركت أنني كنت شفافًا أمامها بشكل غريب، الجميع كان شفافًا أمامها.

ولكني أجبتها: «هذا صحيح».

- «الجانب الإنساني للروبوتات؟ هذا تناقض».

- «لا يا دكتورة. بل لك أنتِ».

«حسنًا، كانوا يقولون عني إني روبوت. من المؤكد أنهم أخبروك بأني لست إنسانًا».

نعم فعلوا، ولكن لم يكن هناك داعٍ لقول ذلك.

نهضت من مقعدها. لم تكن طويلة، وبدت ضعيفة. تبعتها إلى النافذة ونظرنا إلى الخارج.

كانت مكاتب ومصانع «يو إس روبوتس» كما لو أنها مدينة صغيرة فسيحة ذات تصميم جيد، وكانت منبسطة أمامنا كما لو كنا ننظر إليها من أعلى.

«عندما جئت هنا في البداية كانت لديَّ غرفة صغيرة في مبنى كان قائمًا هناك تمامًا في نفس مكان محطة الإطفاء الآن» وأشارت إلى المكان. «ولكنه هُدِمَ منذ فترة طويلة قبل أن تولد أنت. تشاركت الغرفة مع ثلاثة آخرين، وكان لدي نصف مكتب، وكنا نصنع جميع الروبوتات في مبنى واحد، وكنا ننتج ثلاثة في الأسبوع. انظر إلى حالنا الآن».

«خمسون عامًا فترة طويلة!».

أجابت: «ليس عندما تنظر وراءك وتتأملها، ستدهش حينها كيف انقضت بهذه السرعة».

عادت إلى مكتبها وجلست. وكان من الواضح تمامًا أنه يعتريها بعض الحزن.. إلى حد ما.

سألتني: «كم عمرك؟».

فأجبتها: «اثنان وثلاثون».

«إذن فأنت لم تعرف العالم بدون الروبوتات. مر على الإنسان وقت كان يواجه فيه الكون وحده دونما صديق، أما الآن فقد أصبح لديه كائنات تساعده؛ كائنات أقوى منه، وأكثر إخلاصًا وفائدة ممن هو مُسخَّرٌ بالكامل له وحده. لم يَعُد الإنسان وحيدًا. هل سبق لك التفكير في الأمر بهذه الطريقة؟».

- «لا. هل تسمحين لي بالاقتباس منكِ؟».

- «تفضل. بالنسبة لك، الروبوت ليس إلا مجرد روبوت؛ تروس ومعادن، كهرباء وبوزيترونات؛ عقل وحديد! يصنعه الإنسان ويدمره أيضًا إذا اقتضى الأمر!

ولكن لم يسبق لك أن عَملتَ معهم؛ لذا فأنت لا تعرفهم؛ إنهم أطهر وأفضل منّا».
حاولت استدراجها برفق بكلماتي: «نود سماع بعض الأشياء منكِ، أن نتعرف على آرائك في الروبوتات. إن مجلة إنتربلانيتاري برس تصل إلى المجموعة الشمسية بالكامل، وجمهورها المتوقع حوالي ثلاثة مليارات شخص، ولهم الحق في معرفة ما يمكنك إخبارهم به عن الروبوتات».
إلا أنه لم يكن هناك حاجة بي لاستدراجها؛ فهي لم تسمعني أصلًا، ولكنها كانت تتحرك في الاتجاه الصحيح.
«ربما كانوا يعرفون ذلك من البداية. كنا نبيع الروبوتات للاستخدام على كوكب الأرض فقط... كان هذا حتى قبل انضمامي للعمل؛ وذلك بالطبع حينما لم تكن هناك روبوتات تتكلم، ولكنها اكتسبت مزيدًا من الخصائص البشرية فيما بعد، وهنا بدأت المعارضة. عارضت اتحادات العمال بطبيعة الحال منافسة الروبوتات على وظائف البشر، وعبر الكثير من أصحاب الآراء الدينية عن اعتراضاتهم الخرافية. كل ذلك كان في منتهى السخف وعدم الجدوى، ولكن حدث ما حدث».
كنت أسجل كلامها حرفيًّا على مسجل الجيب الخاص بي محاولًا ألا أُظهِرَ حركات أصابع يدي. (يمكنك ببعض التدريب أن تصل إلى مرحلة التسجيل بدقة دون الحاجة لإخراج الجهاز الصغير من جيبك).
أكمَلَت «خذ حالة روبي على سبيل المثال. لم أره قطُّ، فقد قاموا بتفكيكه في العام السابق على انضمامي إلى الشركة، حيث أصبح طرازه قديمًا للغاية. ولكني رأيت الفتاة الصغيرة في المتحف».
صمتت، لكني لم أقل شيئًا. تركت عينيها تغوران، وعقلها يعود إلى الوراء، ولكم كانت طويلة تلك المدة التي استغرقتها.
«سمعت عنه بعد ذلك، وفي الوقت الذي كانوا يصفوننا فيه بالكفر ويقولون إننا نصنع الشيطان، كنت دومًا أفكر فيه. كان روبي روبوتًا غير متكلم، لم يكن قادرًا على الحديث، وتم تصنيعه وبيعه عام 1996. كانت تلك هي الفترة السابقة للتخصص المتعمق؛ لذا كان يُباع كجليس للأطفال».
«ماذا؟».
«جليس للأطفال!».

روبـــي

«ثمانية وتسعون – تسعة وتسعون – مائة». سحبت جلوريا ساعدها الصغير الممتلئ من أمام عينيها ووقفت للحظة وهي تُغضِّن أنفها وتطرف بعينيها في ضوء الشمس، ثم تراجعت بضع خطوات بحذر عن الشجرة التي كانت مستندة إليها وهي تحاول أن تراقب جميع الجهات في الوقت نفسه.

مدت عنقها تتفحص مجموعة من الشجيرات إلى اليمين، ثم ابتعدت أكثر لتحصل على رؤية أفضل لظلالها القاتمة. كان الهدوء يعم المكان عدا أزيز متواصل لبعض الحشرات وصوت طائر تجرأ على تحدي شمس الظهيرة.

تجهمت جلوريا قائلة: «أراهن أنه دخل البيت، قلت له مليون مرة إن هذا ليس عدلًا».

زمَّت شفتيها الصغيرتين وقطبت جبينها متجهة بعزم ناحية المبنى ذي الطابقين عبر المدخل الخاص للمنزل.

سمعت جلوريا – ولكن بعد فوات الأوان – صوتَ حفيفٍ خلفها، متبوعًا بوطء قدمي روبي المعدنيتين المميز، فالتفتت لترى رفيقها الفائز يخرج من مخبئه وينطلق نحو الشجرة بأقصى سرعة.

انتفضت جلوريا صارخة بغضب: «روبي، انتظر! هذا ليس عدلًا يا روبي! لقد وعدت بألا تجري حتى أجدك». ولم تكن قدماها الصغيرتان لتحرزا أي تقدم على الإطلاق أمام خطوات روبي العملاقة، ثم وعلى بُعد عشرة أقدام من الهدف تباطأت سرعة روبي فجأة حتى صارت زحفًا.

فاندفعت جلوريا لاهثةً دفعةً واحدةً من خطوات بالغة السرعة لتمر به وتلمس أول غصن ناتئ من الشجرة الأم.

التفتت جلوريا بسعادة وطرب إلى روبي المخلص، وبكل نكران للجميل قابلت تضحيته بتوبيخ قاسٍ على عجزه عن الجري.

وصاحت بأعلى ما تستطيع كفتاة في الثامنة: «روبي لا يستطيع الجري»، وبدأت تتغنى بصوت حاد النبرات: «وأنا أستطيع هزيمته في أي وقت، أستطيع هزيمته في أي وقت».

لم يردَّ روبي، ليس بالكلمات بالطبع، وقام بدلًا من ذلك بحركات إيمائية تشبه الجري، وظل يبتعد تدريجيًّا حتى وجدت جلوريا نفسها تعدو خلفه بينما هو يراوغها كلما اقتربت منه، فأجبرها على اللف بلا حيلة في دوائر وذراعاها الصغيرتان ممدودتان تضربان الهواء كالمروحة.

فصرخت بصوت حاد: «روبي، توقف!» وانطلقت ضحكة رغمًا عنها وسط تحركاتها اللاهثة.

وفجأة استدار روبي ورفعها لأعلى ودار بها في الهواء، حتى خُيِّل إليها أن العالم اختفى من أمامها لحظة ولم تر أسفلها سوى فراغ أزرق اللون، والأشجار الخضراء تمتد بكثافة في هذا الفراغ. ثم وجدت نفسها على العُشب مرة أخرى وهي تستند إلى ساق روبي ولم تزل ممسكةً بأحد أصابعه المعدنية الصلبة.

بعد برهة كانت جلوريا قد التقطت أنفاسها، وحاولت عبثًا أن تصفف شعرها المشعث بيدها فيما يشبه إحدى حركات أمها، وأدارت رأسها للخلف لترى إن كان فستانها قد تمزق.

ثم ضربت بيدها جسد روبي قائلة: «يا لك من شقي! سأضربك».

انكمش روبي في خوف وغطى وجهه بيديه؛ مما جعلها تستدرك قائلة:

«لا يا روبي لن أفعل. لن أضربك. ولكنه دوري الآن للاختباء على أي حال؛ لأن ساقيك أطول، وأنت وعدتني بألا تجري إلا بعد أن أعثر عليك».

أومأ روبي برأسه - المكون من متوازي أسطح مستدير الأطراف والأركان متصل عن طريق ساق قصيرة مرنة بمتوازي أسطح آخر مشابه له في الشكل ولكن أكبر منه بكثير هو جسده - وأدار وجهه للشجرة في استسلام، وأنزل على عينيه المتوهجتين غشاء معدنيًّا رقيقًا، قبل أن تصدر من داخل جسمه تكتكات رنانة منتظمة.

حذرته جلوريا: «لا تختلس النظر الآن، ولا تُفوِّت أي أرقام»، ثم انطلقت مسرعة تبحث عن مخبأ.

مضت التكتكات بانتظام شديد، وعندما بلغت المائة ارتفع جفنا روبي، ومسح المنطقة بعينين حمراوين متوهجتين استقرتا لحظة على جزء بارزٍ من قماش الجنجام الملون من وراء إحدى الصخور، فتقدم بضع خطوات وأقنع نفسه بأن هذه هي جلوريا تختبئ وراء الصخرة.

اقترب ببطء من المخبأ محافظًا على أن يكون بين جلوريا والشجرة الأم، وعندما أصبحت جلوريا في مرمى بصره تمامًا، ولم يعد بإمكانه حتى تخيل أنه من الممكن عدم رؤيتها، مد إحدى ذراعيه تجاهها وهو يضرب إحدى ساقيه بذراعه الأخرى مُصدرًا رنينًا.

خرجت جلوريا عابسة من مخبئها وصرخت بكل إجحاف: «لقد اختلست النظر، كما أني تعبت من لعب الاستغماية. احملني في جولة».

ولكن روبي كان مجروحًا لاتهامها الظالم له، أجلس نفسه بحذر وهز رأسه ببطء من جانب إلى آخر.

فغيرت جلوريا لهجتها وتحولت على الفور إلى ملاطفته في محاولة لإقناعه قائلة: «هيًا يا روبي. لم أقصد ما قلته بشأن اختلاسك النظر. هيا احملني في جولة».

إلا أن استمالة روبي مرة أخرى لم تكن بهذه السهولة؛ فقد حدق إلى السماء بعناد، وهز رأسه بإصرار أكبر.

طوقت جلوريا عنقه بذراعين لهما بشرة وردية وعانقته بقوة قائلة: «أرجوك يا روبي، احملني في جولة»، قبل أن تتغير نبرتها فجأة وتبتعد عنه محذرة: «إن لم تحملني فسوف أبكي» وتغيرت تعبيرات وجهها استعدادًا للبكاء.

لكن روبي بقلبه القاسي لم يكترث بهذا الاحتمال المروع، وهز رأسه للمرة الثالثة؛ مما اضطر جلوريا لإلقاء ورقتها الرابحة.

فقالت بصوت دافئ: «إن لم تفعل فلن أقص عليك أي حكاية أخرى، انتهى الأمر. ولا واحدة...».

استسلم روبي في الحال وبلا شرط أمام هذا الإنذار الأخير، وأومأ برأسه بقوة حتى طنَّت رقبته المعدنية.

ثم رفع الفتاة الصغيرة برفق ووضعها فوق كتفيه العريضتين المسطحتين.

واختفت فورًا فكرة الدموع التي هددته بها جلوريا وصاحت بسعادة: «كانت بشرة روبي المعدنية تمنح إحساسًا لطيفًا ومريحًا لثبات حرارتها عند إحدى وعشرين

درجة مئوية بفضل ملفات المقاومة العالية المثبتة داخله، بينما كان عَقِبا قدميها يصدران صوتًا عاليًا جميلًا ساحرًا مع إيقاع اصطدامهما بصدره».

«أنت مركبة جوية يا روبي، مركبة جوية كبيرة لونها فضي. مد ذراعيك. عليك أن تمدهما يا روبي إن كنت ستتحول إلى مركبة جوية».

كان منطقها لا يقبل الجدال، فتحوَّلت ذراعا روبي إلى جناحين يقتنصان تيارات الهواء وأصبح هو مركبة جوية فضية اللون.

أدارت جلوريا رأس الروبوت ومالت جهة اليمين، فمال هو معها بحدة، وجهزت جلوريا المركبة بمحرك انطلق صوته «برر- ر- ر»، ثم ركّبت الأسلحة التي انطلقت «بوم» .. «ش- ش- ش- ش- ش». كان القراصنة يطاردونهما ودخلت مدافع السفينة في اللعبة، وانهزم القراصنة وتساقطوا كالأمطار.

وصاحت: «أصبت واحدًا.. اثنين آخرين».

ثم قالت بصوت جهوري: «أسرعوا أيها الرجال ستنفد ذخيرتنا»، وصوبت من فوق كتفها بشجاعة كبيرة، بينما انطلق روبي بأقصى سرعة في الفضاء مثل سفينة فضائية.

ثم أسرع في فضاء الحقل إلى رقعة الحشائش الطويلة على الجانب الآخر، وهناك توقف بطريقة مفاجئة انتزعت صرخة من راكبته متوردة البشرة، ثم أنزلها إلى البساط الأخضر الأملس.

كانت جلوريا تلهث وتقول بأنفاس متقطعة هامسة: «كان هذا *رائعًا*!».

انتظر روبي حتى هدأت أنفاسها، ثم جذب إحدى خصال شعرها برفق.

فقالت: «هل تريد شيئًا؟»، واتسعت عيناها بخبث ساذج لم يخدع «جليسها» الضخم على الإطلاق فجذب خصلتها جذبة أشد.

«آه أعرف. أنت تريد حكاية».

أومأ روبي: «بسرعة».

- «أي واحدة؟».

فرسم روبي نصف دائرة في الهواء بإصبع واحد.

اعترضت الفتاة الصغيرة قائلة: «*مرة أخرى*؟ لقد قصصت عليك حكاية سندريلا مليون مرة. ألم تمل منها؟ هذه قصة للأطفال الصغار».

نصف دائرة أخرى.

«حسنًا، حسنًا». استعدت جلوريا، وراجعت تفاصيل القصة في رأسها (إلى جانب اجتهاداتها الشخصية التي كان لديها منها المزيد) ثم بدأت:

«مستعد؟ حسنًا .. في ذات يوم كانت هناك فتاة صغيرة جميلة اسمها سندريلا، وكانت زوجة أبيها قاسية عليها للغاية، وكان لتلك المرأة ابنتان شديدتا القبح وقاسيتان جدًا، و...».

كانت جلوريا على وشــك الوصول إلى ذروة الحكــاية، فقد كانت الساعة تدق لتعلــن منتصف الليــل، وكل شــيء يعود إلى أصله الرث البالي في لحظات خاطفة، بينما كان روبي ينصت بإمعان وبعينين تكادان تشتعلان عندما جاء صوت يقاطعها:

«جلوريا!».

كان الصوت عاليًا لامرأة نادت عدة مرات، وليس مرة واحدة فقط؛ صوت تشوبه نبرة تَنُمّ عن عصبية بدأ القلق فيها يغلب على نفاد الصبر.

قالت جلوريا بطريقة لا تنم عن سعادة كبيرة: «أمي تناديني»، ثم أردفت: «من الأفضل أن تعيدني إلى البيت يا روبي».

أطاع روبي بسرعة؛ لأن شيئًا بداخله رأى أن طاعة السيدة ويستون هي الخيار الأفضل دون لحظة تردد. نادرًا ما كان والد جلوريا يوجد في المنزل خلال النهار فيما عدا أيام الآحاد - كاليوم على سبيل المثال - وعندما يكون موجودًا يبرهن أنه شخص لطيف ومتفهم، ولكن - على العكس - كانت والدة جلوريا مصدرًا لعدم الارتياح بالنسبة لروبي، فكان يميل دومًا إلى الاختفاء من أمام ناظريها.

رأتها السيدة ويستون لحظة ارتفاعها عن الأعشاب الطويلة التي خبأتها فعادت إلى المنزل لتنتظرهما هناك.

قالت بحدة: «لقد ناديت عليكِ بصوت مرتفع يا جلوريا. أين كنتِ؟».

أجابت جلوريا بصوت متهدج: «كنت مع روبي. كنت أحكي له قصة سندريلا، ونسيت أنه وقت الغداء».

فقالت أمها: «وللأسف! روبي هو الآخر نسي»، وكأنما ذكرتها كلماتها بحضور الروبوت، فالتفتت إليه فجأة قائلة: «يمكنك الانصراف يا روبي. هي لا تحتاج إليك الآن»، ثم استطردت بقسوة: «ولا ترجع حتى أنادي عليك».

استدار روبي لينصرف ولكنـه تردد عندمـا صرخـت جلوريا دفاعًا عنه: «تمهلي يا أمي، لابد أن يبقى، لم أنتهِ بعد من حكاية سندريلا. لقد وعدته بأن أقص عليه قصة سندريلا وأنا لم أنتهِ بعد».

«جلوريا!».

«أعدك بكل صدق يا أمي أنه سيبقى هادئًا. لن تلحظي حتى وجوده. يمكنه الجلوس على الكرسي في ركن الغرفة، ولن يقول كلمة واحدة.. أعني أنه *لن يفعل* أي شيء. أليس كذلك يا روبي؟».

أومأ روبي برأسه الضخم لأعلى وأسفل مرة واحدة.

«جلوريا، إن لم تكُفِّي عن هذا فورًا، فلن تري روبي لمدة أسبوع كامل».

نظرت الفتاة لأسفل وهي تقول: «حسنًا! ولكن سندريلا قصته المفضلة وأنا لم أنتهِ منها بعد، وهو يحبها جدًا».

غادر الروبوت بخطوات بائسة، وكتمت جلوريا بكاءها.

كان چورچ ويستون مستريحًا، وكان من عادته الاسترخاء في أمسيات الأحد؛ فكان يتناول غداء طيبًا لذيذًا داخل البيت، ويضطجع على أريكة قديمة مريحة وناعمة وهو يطالع نسخة من جريدة «تايمز»، وقدماه داخل الخف وهو لا يرتدي قميصًا. كيف يمكن لأي شخص *ألا* يشعر بالاسترخاء مع كل هذا؟

لذلك لم يسره دخول زوجته. بعد عشر سنوات من الزواج كان لا يزال على حبه لها، ولم يكن هناك من شك في أنه كان يسعد دائمًا لرؤيتها.. ولكن أمسيات الأحد بعد الغداء مباشرة كانت مقدسة له، وكانت فكرته عن الراحة الخالصة تتمثل في أن يُترَك منفردًا تمامًا لساعتين أو ثلاث؛ لذلك فقد ثبـت عينيه على أحـدث التقـارير حول رحلـة لفيبر-يوشيدا الاستكشافية إلى المريخ (كان من المفترض أن تنطلق هذه الرحلة من القاعدة القمرية وكان هناك احتمال أن تنجح بالفعل) كأن زوجته ليست موجودة على الإطلاق.

انتظرت السيدة ويستون بصبر لمدة دقيقتين، ثم بنفاد صبر دقيقتين أخريين، وأخيرًا قطعت الصمت.

«چورچ!».

«ها؟».

«چورچ! هلَّا أنزلت هذه الجريدة ونظرت إليَّ؟».

حَفَّت الجريدة عندما لامست الأرض، والتفت ويستون بضجر إلى زوجته متسائلًا:

- «ما الأمر يا عزيزتي؟».

- «أنت تعلم ما الأمر يا چورچ. إنها جلوريا وهذه الآلة الفظيعة».

- «أي آلة فظيعة؟».

«لا تتظاهر أنك لا تعلم ما أتحدث عنه؛ إنه هذا الروبوت الذي تسميه جلوريا روبي. إنه لا يفارقها ولو لحظة واحدة».

- «ولِمَ يفارقها؟ من المفترض ألا يفعل. كما أنه ليس فظيعًا على الإطلاق، بل هو أفضل روبوت يمكن شراؤه، ولقد كلَّفَني نصف دخلي السنوي، لكنه يستحق على أي حال؛ فهو أذكى بكثير من نصف الموظفين في مكتبي».

تحرك ويستون لالتقاط الجريدة مرة أخرى، لكن زوجته كانت أسرع واختطفتها.

- «اسمعني يا چورچ. أنا لن آتمن آلة على ابنتي، ولا أهتم بمدى ذكائها، فهو لا روح له، ولا أحد يعرف فيم يفكر. الأطفال لا *يُخلقون* لترعاهم أشياء مصنوعة من الحديد».

قال ويستون متجهمًا: «ومتى توصلتِ إلى هذا؟ إنه يرعى جلوريا منذ عامين، ولم ألحظ أنكِ قلقتِ قبل الآن».

«كانَ الأمر مختلفًا في البداية. كان شيئًا جديدًا، وحمل عني عبئًا ثقيلًا، كان أمرًا عصريًّا، ولكنني لم أعد أعرف الآن الجيران ...».

«وما علاقة الجيران بالموضوع الآن؟ انظري! الروبوت أجدر أن يؤتمن من أي جليسة. بل في الواقع لقد صُمِّمَ روبي لهدف واحد فقط؛ أن يكون مرافقًا للأطفال

الصغار. و(عقليته) بالكامل مصممة لتحقيق هذا الغرض. لا يمكنه إلا أن يكون مُخلِصًا ومُحِبًّا وطيبًا. لقد صُنع على هذه الشاكلة، وهذا يفوق ما يمكنك قوله عن أي إنسان».

«ولكن قد يتعطل به شيء. قد... قد...» كانت الأجزاء الداخلية للروبوت غامضة بعض الشيء على السيدة ويستون فتابعت: «قد ينفك أي جزء صغير ويحدث ما لا تُحمَد عقباه ويهتاج هذا الشيء البغيض و... و...». لم تستطع حمل نفسها على إكمال الفكرة الجليَّة.

فاعترض ويستون برعشة عصبية لاإرادية: «هراء. هذا كلام في منتهى السخف. لقد تناقشنا كثيرًا حول القانون الأول للروبوتات عند شرائنا روبي، وأنتِ تعلمين أنه يستحيل على أي روبوت أن يؤذي أي إنسان، وأن أي روبوت يتوقف تمامًا عن العمل من قبل حدوث ما يكفي لتعطيل هذا القانون الأول بفترة طويلة جدًّا. هذا الأمر مستحيل من الناحية الرياضية.. إلى جانب ذلك، يأتي مهندس من يو إس روبوتس إلى هنا مرتين سنويًّا ليفحص الآلة المسكينة فحصًا دقيقًا. إن فرصة إصابة روبي بأي عطل هي نفسها فرصة إصابتكِ أو إصابتي بالجنون فجأة، بل هي أقل في الواقع. علاوة على ذلك، كيف ستتمكنين من إبعاده عن جلوريا؟».

ثم حاول مرة أخرى – بلا فائدة – أخذ الجريدة، ولكن زوجته ألقتها في الغرفة المجاورة بغضب.

«بالضبط يا چورچ! إنها ترفض اللعب مع أي أحد آخر. هناك العشرات من الأولاد والبنات الصغار الذين تستطيع أن تُصادِقَهُم، لكنها ترفض، بل هي لا تقترب منهم إلا إذا أجبرتها على ذلك. ليست هذه طريقة تربية طفلة صغيرة. ألا تريدها أن تكون طبيعية؟

لا بد أنك تريدها أن تشارك في المجتمع».

«أنتِ تخافين من ظلكِ يا جريس. اعتبري روبي مجرد كلب، لقد قابلت مئات الأطفال الذين يفضلون قضاء الوقت مع كلابهم أكثر من آبائهم».

«الكلب أمر آخر يا چورچ. يجب أن نتخلص من هذا الشيء البشع. يمكنك إعادة بيعه إلى الشركة. لقد سألت عن الأمر، ويمكنك فعل ذلك».

«*سألتِ عن الأمر*؟ انظري يا جريس، دعينا نتريث. سوف نحتفظ بالروبوت حتى تكبر جلوريا، ولا أريد مناقشة هذا الموضوع مرة أخرى.. قال ذلك وغادر الغرفة بسخط.

قابلت السيدة ويستون زوجها لدى الباب بعد يومين: «عليـك أن تسـتمع إليَّ يا چورچ. هناك شعور عام سيئ ينتشر في القرية».

استفسر ويستون: «بخصوص ماذا؟» ثم دخل دورة المياه، واختلطت إجابته بصوت اندفاع المياه.

انتظرت السيدة ويستون لحظة ثم قالت: «بخصوص روبي».

خرج ويستون والمنشفة في يده وقد احمر وجهه غضبًا: «عمَّ تتحدثين؟».

«الأمر آخذ في التزايد، وقد حاولت أن أغض الطرف عنه، ولكني لن أفعل هذا بعد الآن. معظم سكان القرية يعتبرون روبي خطرًا، ولا يسمحون لأطفالهم بالاقتراب من منزلنا في المساء».

- «نحن نأتمن هذا الشيء على *طفلتنا*».

- «حسنًا، الناس لا يحكمون عقولهم في مثل هذه الأمور».

«فليذهبوا إلى الجحيم إذن».

«هذا لا يحل المشكلة. أنا مضطرة للتسوق هناك، ولمقابلة الناس كل يوم، بل إن الأمور أكثر سوءًا في المدينة هذه الأيام فيما يتعلق بالروبوتات. لقد سنَّت نيويورك لتوها قانونًا محليًا بعدم السماح لأي روبوت بالوجود في الشوارع ما بين غروب الشمس وشروقها».

«حسنًا، ولكنهم لا يستطيعون منعنا من الاحتفاظ بروبوت داخل منزلنا. جريس، هذه إحدى محاولاتك. أنا أعرفها، ولكن لا فائدة. ردي ما يزال لا! سوف نحتفظ بروبي!».

إلا أنه على الرغم من كل ذلك كان يحب زوجته .. والأسوأ أن زوجته كانت تعلم؛ فلم يكن چورچ ويستون في نهاية الأمر سوى مجرد رجل مسكين، وكانت زوجته تستغل إلى أقصى درجة كل الوسائل التي تعلَّم - من خلال الحجة والمنطق والعبث - أن يخافها بحكم انتمائه للجنس الأكثر خرقًا وتشككًا.

وخلال الأسبوع التالي صاح عشر مرات: «سيبقى روبي، وهذا قرار *نهائي*!» وفي كل مرة كانت نبرته أضعف ومصحوبة بآهة أعلى وأكثر ألمًا.

وأخيرًا حلَّ اليوم الذي اقترب فيه ويستون من ابنته وملأه الشعور بالذنب، واقترح عليها الذهاب للسينما لمشاهدة فيلم «جميل» في القرية.

صفقت جلوريا بفرح وسألت: «هل يستطيع روبي الذهاب؟».

أجفل صوته وهو يقول: «لا يا عزيزتي، إنهم لا يسمحون بدخول الروبوتات السينما - ولكن يمكنكِ إخباره بكل شيء عندما تعودين» وتلعثم وهو يقول الكلمات الأخيرة فأشاح ببصره بعيدًا.

عادت جلوريا من البلدة وهي تفيض حماسًا لروعة ما رأته في العرض بالطبع.

انتظرت والدها حتى أدخل سيارته النفاثة في المَرآب الغائر تحت الأرض ثم قالت: «انتظر حتى أخبر روبي يا أبي. كان سيعجبه كثيرًا، خاصةً عندما كانت فرانسيس فران تتراجع بهدوء بالغ، حتى اصطدمت بأحد الرجال الفهود واضطرت للجري». وضحكت مرة أخرى: «أبي، هل هناك حقًّا رجال فهود على القمر؟».

رد عليها ويستون وهو شارد الذهن: «لا على الأرجح، لقد كان هذا مجرد خيال طريف». لم يستطع الانتظار في السيارة أكثر من ذلك، فقد كان مضطرًا لمواجهة الأمر.

قطعت جلوريا الحديقة جريًا، ونادت: «روبي .. روبي!».

ثم توقفت فجأة عندما وقعت عيناها على كلب من فصيلة كولي جميل على الشرفة نظر إليها بعينين بنيتين حادتين وهو يهز ذيله.

أبدت جلوريا إعجابها وهي تصعد الدرجات: «يا له من كلب جميل!» واقتربت منه بحذر وربتت عليه: «هل هو لي يا أبي؟».

كانت والدتها قد انضمت إليهما فقالت: «نعم، إنه لكِ يا جلوريا. أليس لطيفًا .. لديه فرو ناعم؟ إنه رقيق للغاية، ويحب الفتيات الصغيرات».

«هل يستطيع اللعب؟».

«بالطبع. يمكنه القيام بحركات كثيرة. هل ترغبين في مشاهدة بعضها؟».

«فورًا، وأرغب أن يراه روبي أيضًا. روبي!» توقفت بتردد وقطبت جبينها، ثم استطردت: «أراهن أنه في غرفته: لأنه غاضب مني لأني لم آخذه معي إلى العرض!!».

عليك أن تشرح له يا أبي، فقد لا يصدقني، ولكن إن أخبرته أنتَ فسيعرف أن هذا هو الصدق».

زمَّ ويستون شفتيه، ونظر تجاه زوجته ولكن لم يستطع أن يلفت انتباهها.

استدارت جلوريا باندفاع ونزلت إلى الطابق السفلي جريًا وهي تصيح: «روبي.. تعال لتشاهد ما أحضره أبي وأمي لي. لقد أحضرا لي كلبًا يا روبي».

وعادت بعد دقيقة واحدة وهي تقول مذعورة: «أمي، روبي ليس في غرفته. أين هو؟»، ولكنها لم تتلقَّ ردًا. سعل چورج ويستون وانصب اهتمامه فجأة على سحابة هائمة في السماء، بينما تهدج صوت جلوريا وهي على وشك البكاء: «أين روبي يا أمي؟».

جلست السيدة ويستون وضمت ابنتها إليها برفق: «لا تحزني يا جلوريا، أعتقد أن روبي قد رحل».

«*رحل*؟ إلى أين؟ أين ذهب يا أمي؟».

«لا أحد يدري يا حبيبتي، لقد اختفى، وقد بحثنا عنه وبحثنا، لكن دون جدوى».

واتسعت عيناها في جزع: «أتعنين أنه لن يعود أبدًا؟».

«قد نجده قريبًا. سوف نواصل البحث عنه، وفي هذه الأثناء يمكنكِ اللعب مع كلبكِ الجديد اللطيف. انظري إليه! اسمه برق ويستطيع...».

ولكنَّ عيني جلوريا فاضتا بالدمع: «لا أريد هذا الكلب البغيض .. أريد روبي. أريدك أن تعثري على روبي» وجرفتها مشاعر أقوى من الكلمات، وبدأت في نحيب حاد.

نظرت السيدة ويستون إلى زوجها طلبًا للمساعدة، ولكنه حرك قدميه بحزن وواصل التحديق إلى السماء، فبدأت تواسي ابنتها: «لماذا تبكين يا جلوريا؟ لم يكن روبي سوى مجرد آلة، مجرد آلة قديمة كريهة. لم تكن به أية حياة على الإطلاق».

«لم يكن سوى آلة».

صرخت جلوريا بعنف بكلمات لا معنى لها: «كان *شخصًا* مثلي ومثلكِ تمامًا.. كان صديقي، وأنا أريد استعادته. أمي، أريد استعادته».

أنَّت أمها بخيبة وتركت جلوريا لأحزانها.

وقالت لزوجها: «دعها تبكي حتى تهدأ؛ فأحزان الأطفال لا تدوم!! سوف تنسى في غضون أيام أن هذا الروبوت البشع كان موجودًا أصلًا».

ولكن الوقت أثبت أن السيدة ويستون كانت متفائلة أكثر من اللازم. لا شك أن جلوريا كفّت عن البكاء، ولكنها كفّت معه عن الابتسام، وازدادت بمرور الأيام صمتًا وغموضًا، حتى شعرت السيدة ويستون تدريجيًا بالإرهاق من جراء تعاسة جلوريا السلبية، وكان الشيء الوحيد الذي يمنعها من الاستسلام هو استحالة اعترافها بالهزيمة أمام زوجها.

في إحدى الأمسيات اندفعت السيدة ويستون فجأة إلى غرفة المعيشة، ثم جلست وعقدت ذراعيها وهي تستشيط غضبًا.

نظر إليها زوجها من خلف جريدته وقال: «ماذا هناك يا جريس؟».

«إنها هذه الطفلة يا چورچ، لقد اضطررت لإعادة الكلب اليوم. لم تتحمل جلوريا رؤيته على الإطلاق. سوف تصيبني بانهيار عصبي».

أنزل ويستون الجريدة وبريق الأمل في عينيه: «ربما... ربما علينا أن نُعيد روبي. يمكننا ذلك كما تعلمين. أستطيع الاتّصال بـ...».

أجابته بتجهم: «لا». ثم أردفت: «أرفض ذلك، لن نستسلم بهذه السهولة. لن تتربى ابنتي على يد روبوت، حتى لو استغرق نسيانه سنوات».

التقط ويستون جريدته مرة أخرى بخيبة أمل وهو يقول: «عام آخر على هذا الحال وسوف يشيب شعري قبل الأوان».

«حقًا نعم العون أنت يا چورچ». قالتها بفتور، ثم استطردت: «ما تحتاج إليه جلوريا هو تغيير البيئة المحيطة بها. لا عجب أنها لا تستطيع نسيان روبي هنا، فكيف يمكنها نسيانه وكل شجرة وكل صخرة تذكرها به؟ هذا حقًا أسخف ما سمعت به على الإطلاق. تخيل طفلًا يصيبه الهزال لفراق روبوت!».

«لا تخرجي عن الموضوع. ما ذلك التغيير الذي تخططين له؟».

«سوف نأخذها إلى نيويورك».

«المدينة! في أغسطس!

هل تعرفين كيف تكون نيويورك في أغسطس؟ إنها لا تُحتمل».

«الملايين يتحملونها بالفعل».

«ليس لديهم مكان مثل هذا ليذهبوا إليه. لن يبقوا في نيويورك لولا أنهم مضطرون لذلك».

«نحن أيضًا مضطرون. أرى أن نغادر الآن، أو فور الانتهاء من الترتيبات. سوف تجد جلوريا في المدينة ما يكفي من الأشياء المشوقة والأصدقاء لتبتهج وترتفع معنوياتها وتنسى تلك الآلة».

فتأوه زوجها: «يا ربي! تلك الأرصفة المشتعلة!».

«يتعين علينا ذلك» كان الرد حاسمًا: «لقد فقدت جلوريا خمسة كيلوجرامات من وزنها الشهر الماضي وصحة طفلتي الصغيرة أهم بكثير عندي من راحتك».

غمغم قائلًا لنفسه: «ليتك فكرتِ في صحة طفلتك الصغيرة قبل أن تحرميها من روبوتها الأليف».

بدت على جلوريا علامات التحسن فور علمها بأمر الرحلة المرتقبة إلى المدينة؛ فرغم أنها لم تتكلم كثيرًا عن الأمر فإنها عندما كان يحدث وتتكلم، كانت نبرتها دومًا نبرة ترقب وحماس، فعادت إليها ابتسامتها مرة أخرى، وبدأت تأكل بمساعدة بعض من شهيتها القديمة.

هنأت السيدة ويستون نفسها فرحًا، ولم تضيع أي فرصة لإعلان انتصارها على زوجها الذي كان لا يزال متشككًا.

«أرأيت يا چورچ؟ إنها تساعدنا في حزم الأمتعة كالملاك الصغير، وتتحدث كما لو كانت لا تحمل همَّ- شيء في العالم. الأمر كما أخبرتك تمامًا.. كل ما نحتاج إليه هو أن نستبدل بعض الاهتمامات بأخرى».

رد عليها بشك: «أتمنى ذلك».

انتهت الاستعدادات بسرعة؛ حيث تم الترتيب لإقامتهم في المدينة، وتم الاستعانة بزوجين للعناية بالمنزل الريفي. وعندما حان يوم الرحلة أخيرًا كانت جلوريا قد عادت لشخصيتها القديمة تقريبًا، ولم تأتِ على ذكر روبي نهائيًّا.

وبمزاج رائع أخذت العائلة التاكسي الطائر إلى المطار (كان ويستون يفضل أخذ «طائرته» الخاصة، ولكنها كانت ذات مقعدين فقط وليس بها مكان للحقائب) ودخلوا إلى الطائرة التي كانت في انتظارهم.

نادت السيدة ويستون: «جلوريا، تعالي، لقد حجزت لكِ مقعدًا بجانب النافذة كي تشاهدي الطريق».

جرت جلوريا في الممر ببهجة وفرح، وألصقت أنفها بالزجاج السميك الشفاف فأخذ شكلًا بيضاويًا أبيضَ، وبدأت في المشاهدة بتركيز ازداد بعد أن انطلق صوت المحرك فجأة في الخلف. كانت الفتاة أصغر من أن تخاف عندما بدأت الأرض في الابتعاد كما لو أنها سقطت من باب مسحور، في حين أصبح وزنها هي شخصيًا مثلي وزنها الأصلي. إلا أن صغر سنها على الرغم من ذلك لم يكن كافيًا لجعلها تهتم بدرجة كبيرة، فأبعدت أنفها عن الزجاج بعد أن تحول شكل الأرض إلى ما هو أشبه بلحاف صغير مُرقَّع، ثم جلست مواجهة لأمها مرة أخرى.

«هل سنصل إلى المدينة بسرعة يا أمي؟» سألتها وهي تحك أنفها البارد، وتتابع باهتمام بقعة البخار التي خلَّفتها أنفاسها على زجاج النافذة وهي تتلاشى تدريجيًا حتى اختفت تمامًا.

«خلال نصف ساعة فقط يا عزيزتي»، ثم استطردت بقليل من التلهُف: «ألستِ مسرورة بذهابنا؟ ألا تعتقدين أنكِ ستكونين سعيدة للغاية في المدينة بما فيها من مبانٍ وأشخاص وأشياء؟ سوف نذهب إلى ڤيزيفوكس كل يوم ونشاهد العروض ونذهب إلى السيرك والشاطئ ...».

ردت جلوريا بفتور: «نعم يا أمي». في تلك اللحظة مرت الطائرة فوق مجموعة من السحب، فانجذبت الفتاة على الفور إلى منظر السحاب المعتاد تحتها، ثم خرجت الطائرة إلى السماء الصافية مرة أخرى. التفتت الفتاة إلى أمها فجأة بأسلوب غامض وكأنها اطلعت على سر ما:

«أنا أعلم لماذا نحن ذاهبون إلى المدينة يا أمي».

«حقًّا؟» – سألتها السيدة ويستون وهي متحيرة – «لماذا يا عزيزتي؟».

«أنت لم تخبريني لأنكِ كنت تريدين مفاجأتي، ولكني أعرف» وشردت بذهنها لحظة؛ إعجابًا بنظرتها الثاقبة وحدة ذكائها، ثم ضحكت بابتهاج: «نحن ذاهبون إلى نيويورك حتى نعثر على روبي، أليس كذلك؟ بمساعدة المخبرين».

فاجأت عبارتها چورچ ويستون وهو يشرب كوبًا من الماء، فكانت النتائج كارثية؛ حيث أخذ يلهث كأنه يختنق، واندفع الماء من فمه كنبع من الماء الحار متبوعًا

بنوبة من السعال المكتوم. وعندما انتهى كل ذلك وقف محمر الوجه غارقًا في الماء وعلى وجهه علامات ضيق شديد.

حافظت السيدة ويستون على رباطة جأشها، ولكن عندما كررت جلوريا سؤالها بنبرة متلهفة للغاية، ضعفت شجاعتها ووهنت صلابتها.

فأجابت بمرارة: «ربما، والآن اجلسي بلا حركة من فضلك».

كانت مدينة نيويورك أشبه بالجنة لمن يراها عام 1998 أكثر من أي وقت مضى، وهو ما أدركه والدا جلوريا واستغلاه إلى أقصى درجة.

قام جورج ويستون بأوامر مباشرة من زوجته بالترتيب كي يسير عمله على ما يرام دون وجوده لمدة شهر أو ما يقرب من ذلك حتى يتفرغ تمامًا للقيام بما أطلق عليه هو «تدليل جلوريا إلى حد الإفساد». وكالعادة أنجز ويستون المهمة بفاعلية ودقة، وما من شيء كان يمكن القيام به إلا وفعلاه قبل انقضاء الشهر.

أخذ ويستون وزوجته ابنتهما لزيارة قمة بناية روزفلت التي يصل ارتفاعها إلى نصف ميل وأطلت في رهبة على بانوراما الأسطح غير المتساوية التي امتزجت على البعد في حقول لونج آيلاند والأراضي المسطحة في نيوجيرسي. كما زاروا حدائق الحيوان التي وقفت فيها جلوريا تحدق برعب إلى «الأسد الحقيقي» وهي مستمتعة (ولكن بخيبة أمل أيضًا؛ لأن الحراس أطعموه شرائح من اللحم النيء، بدلًا من أن يطعموه بشرًا كما كانت تتوقع)، وألحت بإصرار لرؤية «الحوت».

كما نالت المتاحف نصيبها من الاهتمام، إلى جانب المتنزهات والشواطئ ومُتحف الأحياء المائية.

وأخذها والداها كذلك في رحلة قصيرة غطت نصف المسافة إلى مدينة هادسون على متن باخرة رحلات تشبه بواخر العقد الثاني من القرن العشرين. وحلّقت في الجزء الأعلى من الغلاف الجوي في رحلة استكشافية رأت فيها السماء وقد تحولت إلى لون أرجواني داكن، والنجوم وقد وضحت في السماء، بينما كان كوكب الأرض الغائم بالأسفل يبدو كوعاء ضخم مقعر. أما تحت مياه مصب لونج آيلاند ساوند فقد أخذاها في رحلة داخل غوّاصة ذات جدران زجاجية، فرأت الكائنات البحرية الجذابة والغريبة في وسط عالم أخضر متمايل وهي تحدق بها ثم تسبح فجأة بعيدًا.

وفي رحلة أخرى أقل إمتاعًا أخذتها السيدة ويستون إلى متاجر التجزئة الضخمة؛ حيث استمتعت بنوع آخر من العجائب.

وقرب انقضاء الشهر تقريبًا كانت السيدة ويستون وزوجها مقتنعيْن تمامًا بأنهما فعلا كل ما بوسعهما لجعل جلوريا تنسى روبي تمامًا وإلى الأبد.. لكنهما لم يكونا على يقين بما إذا كانا قد نجحا في ذلك.

فالحقيقة التي ظلت قائمة هي أن جلوريا أينما ذهبت كانت تظهر اهتمامًا بالغًا ومُركَّزًا بأي روبوتات توجد حولها، ومهما تكن روعة المنظر الذي أمامها أو حتى إن كان جديدًا على ناظريها صغيري السن، فإنها تلتفت في لحظة إذا ما لمحت خيالًا خاطفًا لأية حركة معدنية.

وكانت السيدة ويستون تغير مسارها لتبعد جلوريا عن أية روبوتات.

ويلغ الموقف ذروته في مُتحف العلوم والصناعة؛ حيث أعلن المصنع عن «برنامج أطفال» خاص يتم خلاله عرض عجائب العلوم بأسلوب مُبسَّط يناسب عقل الطفل، وبالطبع وضعته العائلة في قائمة الزيارات «المؤكدة».

وأثناء استغراق العائلة الكامل في تعرُّف استخدامات مغناطيس إلكتروني عملاق، اكتشفت السيدة ويستون فجأة أن جلوريا لم تعُد موجودة بجوارها، فشعرت بفزع شديد في البداية بدأت بعده في التفكير بهدوء، فاستعانت بثلاثة مرافقين وبدأت عملية بحث دقيق.

بالطبع لم تكن جلوريا من النوع الذي يتجول على غير هدى؛ فقد كانت تتمتع بعزيمة وإصرار غير معتاديْن لطفلة في مثل عمرها. كانت الفتاة قد رأت لافتة عملاقة في الطابق الثالث تقول: «إلى الروبوت المتكلم». تهجَّت اللافتة لنفسها، ولـمَّـا لاحظت أن والديها لا تبدو عليهما الرغبة في السير في ذلك الاتجاه، فعلت ما بدا لها منطقيًّا؛ فتحيَّنت اللحظة الملائمة وعندما انشغل والداها عنها انفصلت عنهما في هدوء وتبعت اللافتة.

كانت جولة الروبوت المتكلم *شاقة*؛ فقد كان الروبوت عبارة عن آلة غير عملية بالمرة، ولم تكن قيمته توازي ما يحيط به من دعاية؛ حيث كان يقف أمامه كل ساعة مجموعة من الزوار يصاحبهم مرافق، ويهمس كل فرد في المجموعة بحرص ببعض الأسئلة للمهندس المسئول عن الروبوت، فيتم تحويل الأسئلة التي يرى الأخير أنها مناسبة لدوائر الروبوت إلى الروبوت المتكلم.

كان أمرًا مملًا. ربما كان من الجيد أن يعرف المرء أن 14 X 14 = 196، وأن درجة الحرارة في هذه اللحظة اثنتان وعشرون درجة مئوية، وأن ضغط الهواء 30.02 بوصة من الزئبق، وأن الوزن الذري للصوديوم 23، ولكنه لا يحتاج إلى روبوت ليعلمه ذلك، كما لا يحتاج بالأخص إلى كتلة غير عملية وغير متحركة على الإطلاق من الأسلاك والملفات تشغل مساحة خمس وعشرين ياردة مربعة.

لم يعبأ الكثيرون بالعودة لتكرار الزيارة، بخلاف فتاة واحدة في حوالي الخامسة عشرة جلست بهدوء على أحد المقاعد تنتظر الدخول للمرة الثالثة. وكانت هي الوحيدة الموجودة بالغرفة عندما دخلت جلوريا.

لم تنظر جلوريا إليها، ففي تلك اللحظة كان أي إنسان آخر في نظرها بمثابة شيء تافه لا قيمة له، وكانت تدخر كل اهتمامها وانتباهها لهذا الهيكل الضخم ذي العجلات. ترددت لحظة؛ فهذا الروبوت لا يبدو كأي روبوت رأته في حياتها.

ثم رفعت صوتها الحاد بحذر وقلق قائلة: «من فضلك يا سيدي الأستاذ روبوت، هل أنت الروبوت المتكلم يا سيدي؟» لم تكن تعرف ماذا تقول، ولكنها ظنت أن روبوتًا متكلمًا كهذا يستحق التعامل معه بدرجة كبيرة من الأدب.

(بدت علامات التركيز الشديد على الوجه النحيل الشاحب للفتاة المراهقة الجالسة في الغرفة، وسحبت مفكرتها الصغيرة بسرعة وبدأت في الكتابة بعجلة بحروف متشابكة).

انطلقت أصوات أزيز لتروس مشحمة وصوت ميكانيكي ليست له أي معالم محددة: «أنا – الروبوت – الذي – يتكلم».

حملقت إليه جلوريا بأسف، فعلى الرغم من أنه كان يتحدث *بالفعل* فإن الصوت كان يصدر من مكان ما بداخله. لم يكن له وجه يمكن التحدث إليه، لكنها قالت: «هل تستطيع مساعدتي يا سيدي الأستاذ روبوت؟».

كان الروبوت المتكلم مصممًا للإجابة عن الأسئلة، ولم يكن قد أُدخِل به سوى الأسئلة التي يستطيع إجابتها؛ ولذا كان واثقًا من نفسه تمامًا فأجابها: «أستطيع مساعدتك».

«أشكرك يا سيدي الأستاذ روبوت. هل رأيت روبي؟».

«مَنْ روبي؟».

«إنه روبوت يا سيدي الأستاذ روبوت». ثم شبت لتقف على أطراف أصابعها وقالت: «إنه بهذا الطول تقريبًا يا سيدي الأستاذ روبوت، أطول قليلًا، وهو لطيف جدًّا. وله رأس، كما تعلم، أعني أنك ليس لديك رأس، ولكنه لديه رأس يا سيدي الأستاذ روبوت».

لم يستطع الروبوت المتكلم استيعاب ما تقول: «روبوت»!

«نعم يا سيدي الأستاذ روبوت، روبوت مثلك تمامًا، ولكنه لا يستطيع التكلم، بالطبع، ويبدو كما لو كان إنسانًا».

«روبوت ... مثلي؟».

«نعم يا سيدي الأستاذ روبوت».

كان رد الروبوت المتكلم الوحيد على كلامها عبارة عن غمغمة غريبة وصوت متقطع غير مفهوم؛ حيث كان هذا التعميم الجذري الذي كُشِفَ له، بخصوص وجوده، ليس كشيء وحيد من نوعه وإنما كعضو في جماعة كبيرة، أكثر مما يستطيع تحمله. ولكنه حاول جاهدًا استيعاب الفكرة؛ مما أدى لاحتراق بضعة أسلاك بداخله، وبدأت إشارات تحذيرية قصيرة تطن.

(غادرت الفتاة المراهقة في تلك اللحظة بعد أن حصلت على ما يكفيها لكتابة بحثها في مادة الفيزياء حول «الجوانب العملية في علم الروبوتات»، وكان هذا هو البحث الأول من بين أبحاث كثيرة كتبتها سوزان كالفن حول هذا الموضوع).

وقفت جلوريا تنتظر إجابة الآلة بنفاد صبر حرصت على إخفائه، عندما سمعت مَنْ يصيح من خلفها: «ها هي هناك»، وأدركت أن تلك هي أمها.

صاحت السيدة ويستون بقلق تحول في الحال إلى غضب: «ماذا تفعلين هنا أيتها الفتاة الشقية؟ هل تعرفين إلى أي حد أفزعت أمكِ وأباكِ حتى الموت؟ لماذا ابتعدتِ عنا؟».

اندفع المهندس المسئول عن الروبوت هو الآخر إلى الحجرة وهو في أشد غيظه

ويسأل عمَّن عبَثَ بالآلة من بين الواقفين، صارخًا فيهم: «ألا يستطيع أحدكم قراءة اللافتة؟ غير مسموح بوجودكم هنا بدون مرافق».

رفعت جلوريا صوتها الحزين لتسمعها أمها وسط الجلبة: «أتيت لأرى الروبوت المتكلم يا أمي ليس إلا. ظننت أنه قد يعرف مكان روبي لأن كليهما روبوت»، ثم انفجرت باكية بعد أن عادت إليها فجأة فكرة روبي مرة أخرى وبقوة وأكملت: «وأنا يجب أن أعثر على روبي يا أمي، يجب أن أعثر عليه».

كتمت السيدة ويستون صرخة وقالت: «يا إلهي! فلنعُد إلى بيتنا يا چورچ، هذا أكثر مما أستطيع تحمُّله».

خرج چورچ ويستون ذلك المساء لعدة ساعات، وفي الصباح التالي اقترب من زوجته وهو يبدو عليه شيء أشبه بالرضا عن النفس.

«لديَّ فكرة يا جريس».

ردت بصوت مكتئب غير مكترث: «بخصوص ماذا؟».

«بخصوص جلوريا».

«أنت.. لن تقترح إعادة شراء ذلك الروبوت؟».

«لا، بالطبع لا».

«إذن قُلْ ما عندك، وقد أستمع إليك، فلا يبدو أن أيًّا مما فعلته *أنا* قد أجدى نفعًا».

«حسنًا. إليك ما أفكر فيه. مشكلة جلوريا كلها تتلخص في أنها تفكر في روبي كشخص وليس *آلة*؛ لذا فمن الطبيعي ألا تستطيع نسيانه. أما إذا تمكنَّا من إقناعها بأن روبي لم يكن سوى بعض الحديد والنحاس في شكل ألواح وأسلاك، وأن الكهرباء هي إكسير الحياة بالنسبة له، فإلى متى سيستمر اشتياقها إليه؟ إنه الهجوم النفسي، إن كنت تفهمين ما أقصد».

«وكيف تنوي القيام بهذا؟».

«هذا أمر بسيط، إلى أين تعتقدين أني ذهبت الليلة الماضية؟ لقد أقنعت روبرتسون من شركة يو إس روبوتس بترتيب جولة كاملة في مقر الشركة غدًا، وسوف نذهب نحن الثلاثة، ومع انتهاء الجولة سوف تكون جلوريا قد ترسخ بداخلها أن الروبوت ليس كائنًا حيًّا».

اتسعت عينا السيدة ويستون تدريجيًا، وظهر بهما بريق الإعجاب المفاجئ: «چورچ، هذه فكرة *رائعة*».

انتفخ چورچ ويستون حتى كادت أزرار قميصه تتمزق وهو يقول: «هذه هي نوعية الأفكار الوحيدة لديَّ».

كان السيد ستروذرز المدير العام دقيقًا، ويميل بالفطرة إلى أن يكون ثرثارًا بعض الشيء، ونتيجة لهذا المزيج كانت الجولة مسهبة الشرح، بل ربما أيضًا مسهبة بإفراط في كل خطوة منها. ولكن على الرغم من ذلك لم تُصَب السيدة ويستون بالملل، بل قاطعته عدة مرات لتطلب منه تكرار عباراته بأسلوب أبسط حتى تستوعبها جلوريا. وتحت تأثير هذا الإعجاب بقدراته على السرد توسَّع السيد ستروذرز بسخاء وأصبح أكثر تواصلًا كلما أمكن، حتى إن چورچ ويستون نفسه بدا عليه نفاد الصبر تدريجيًا.

فسأله مقاطعًا في وسط محاضرة حول الخلية الكهروضوئية: «عذرًا سيد ستروذرز، أليس لديكم قسم في المصنع لا يعمل به سوى الروبوتات فقط؟».

فابتسم للسيدة ويستون قائلًا: «ماذا؟ آه، نعم! نعم، بالتأكيد! إنها حلقة مغلقة نسبيًا، روبوتات تصنع مزيدًا من الروبوتات. لكننا لا نُعمِّم هذا الأمر بالطبع؛ لأن اتحادات العمال لن تدعنا نفعل ذلك أبدًا، ولكننا نستطيع تصنيع عدد قليل جدًّا من الروبوتات باستخدام عمالة تقتصر على الروبوتات فقط، كنوع من أنواع التجارب العلمية». وضرب بنظارته ضربة خفيفة على إحدى راحتيه بأسلوب جدلي وهو يتابع حديثه: «ما لا تدركه اتحادات العمال – وأنا أقول هذا كرجل لطالما تعاطف مع الحركة العمالية بشكل عام – أن ظهور الروبوت، على الرغم مما سيصحبه من الاستغناء عن بعض العمال في البداية، حتمًا أن...».

هنا قاطعه ويستون قائلًا: «نعم يا ستروذرز، ولكن ماذا عن القسم الذي تتحدث عنه في المصنع .. هل نستطيع رؤيته؟ أنا متأكد أنه سيكون مثيرًا للغاية».

«نعم! نعم بالطبع! وأعاد السيد ستروذرز نظارته إلى مكانها بحركة واحدة وسعل سعلة خفيفة تنم عن ارتباك وقال: «اتبعوني من فضلكم».

كان صامتًا نسبيًا وهو يقود الثلاثة عبر رواق طويل ونزولًا على درجات أحد

السلالم، ولكن بمجرد دخولهم غرفة كبيرة جيدة الإضاءة تَطِنُّ بحركة معدنية انطلق سيل جديد من الشرح.

«ها أنتم أولاء!» قالها بفخر واضح في نبرات صوته .. «روبوتات فقط! يعمل هنا خمسة رجال كمشرفين، وهم لا يبقون في هذه الغرفة، ولم تحدث أية حوادث هنا على مدى خمس سنوات منذ أن بدأنا في المشروع. لا شك أن الروبوتات التي يتم تجميعها هنا بسيطة نسبيًّا، ولكن ...».

كان صوت المدير العام قد تحوَّل في أذني جلوريا منذ وقت طويل إلى مجرد همهمة خافتة، وبَدَت الرحلة كلها مملة وغير ذات مغزى بالنسبة لها؛ فبالرغم من وجود كثير من الروبوتات حولها، فإن أحدهم لم يكن يشبه روبي ولو من بعيد، وكانت تتفحصهم بازدراء واضح.

كانت قد لاحظت عدم وجود أي أشخاص في تلك الغرفة على الإطلاق، ثم وقع بصرها على ستة أو سبعة روبوتات منهمكين في عملٍ ما على مائدة مستديرة في منتصف الغرفة، وفجأة اتسعت عيناها في مفاجأة يشوبها شك. كانت الغرفة واسعة، ولم تتمكن من الرؤية بوضوح، ولكن أحد الروبوتات كان يشبه ... كان يشبه ... *بل كان هو*!

«روبي!» .. انطلقت صرختها تخترق الهواء من حولها، واضطرب أحد الروبوتات الواقفين حول المائدة وأسقط الأداة التي كان يحملها. كادت جلوريا تُجنُّ من الفرحة، وحشرت نفسها خلال الدرابزين قبل أن يتمكن أيٌّ من والديها من إيقافها، وقفزت بخفة إلى الأرض تحتها ببضعة أقدام، وجرت باتجاه روبي، وهي تلوح بذراعها وشعرها يطير.

حينها رأى الثلاثة المصدومون وقد تسمروا في أماكنهم ما لم تره الفتاة الصغيرة المتحمسة - جرارًا ضخمًا يتقدم بثقل كالأعمى على مساره المحدد.

استغرق ويستون بضعة أجزاء من الثانية ليعود إلى رشده، وكانت هذه الأجزاء من الثانية تعني كل شيء؛ حيث لم يكن من الممكن إدراك جلوريا في تلك اللحظة، وعلى الرغم من أنه قفز فوق الدرابزين في محاولة متهورة منه، فقد كان من الواضح استحالة ما يحاول أن يفعله. أشار السيد ستروذرز بعنف للمشرفين لإيقاف الجرار، ولكنهم لم يكونوا إلا بشرًا؛ فاستغرقوا وقتًا للتصرف. روبي فقط هو الذي تصرف

على الفور وبدقة؛ حيث انطلق من الاتجاه المعاكس بساقيه المعدنيتين يلتهم المسافة بينه وبين سيدته الصغيرة. حدث كل شيء بعد ذلك في لحظة واحدة؛ فبحركة واحدة من ذراعه انتشل روبي جلوريا دون أن يقلل من سرعته مقدار ذرة فانحبست أنفاس الفتاة تمامًا. لم يستوعب ويستون ما كان يحدث على الإطلاق، فهو لم يرَ روبي وهو يمر أمامه إنما شعر به، وأصيب فجأة بحالة من السكون والذهول. مر الجرار على طريق جلوريا بعد نصف ثانية من تقاطع روبي معه وتدحرجه لمسافة عشرة أقدام ثم توقفه بعد احتكاك طويل بالأرض.

التقطت جلوريا أنفاسها واستسلمت للأحضان الانفعالية العاطفية من كِلا أبويها، ثم التفتت بتلهف إلى روبي، فبالنسبة لها لم يحدث أي شيء سوى أنها عثرت على صديقها.

ولكن تعبيرات وجه السيدة ويستون تغيَّرت من الارتياح إلى تعبير آخر قاتم ينُمُّ عن الشك؛ فالتفتت إلى زوجها، فبالرغم من مظهرها المشعث غير المرتب فإنها بدت مخيفة للغاية حين قالت له: «أنت خططت لهذا، *أليس كذلك*؟».

مسح چورچ ويستون جبهته الساخنة بمنديله بيدٍ ترتعد، وبالكاد استطاع رسم ابتسامة واهنة مرتجفة على شفتيه.

مضت السيدة ويستون تقول: «روبي ليس مصممًا للقيام بالأعمال الهندسية أو الإنشائية، ولا يمكن أن يكون ذا فائدة لهم هنا. لقد رتبت أنت أن يكون هنا حتى تعثر عليه جلوريا. أنت تعلم أنك فعلت هذا».

فردَّ عليها ويستون: «نعم، فعلت، ولكن من كان يتصور يا جريس أن يكون اللقاء بهذا العنف؟ كما أن روبي أنقذ حياتها، عليك أن تعترفي بذلك. *لا يمكنك* إبعاده عنها مرة أخرى».

أطرقت جريس ويستون تفكر، ثم التفتت إلى جلوريا وروبي وراقبتهما بشرود لحظات؛ كانت ذراعا جلوريا تطوقان رقبة الروبوت بإحكام كان يمكن أن يتسبب في اختناق أي مخلوق آخر سوى هذا المصنوع من الحديد، وهي تثرثر بكلام لا معنى له بطريقة شبه هيستيرية، أما روبي فقد أحاط الفتاة الصغيرة في رقة وحنان بذراعيه المصنوعتين من الصلب والكروم (والقادرتين على ثني عمود من الفولاذ قطره بوصتان وتحويله إلى ما يشبه الكعكة) وعيناه تتوهجان بلون أحمر داكن للغاية.

وأخيرًا قالت السيدة ويستون: «حسنًا، أعتقد أنه يمكن أن يبقى معنا حتى يصدأ».

هزت سوزان كالفن كتفيها وهي تقول: «ولكنه بالطبع لم يصدأ. كان ذلك عام 1998، وبحلول عام 2002 كنا قد اخترعنا الروبوت المتكلم المتحرك؛ مما جعل جميع الطراز غير المتكلمة تبدو عتيقة، إضافة إلى أنه كان بمثابة القشة الأخيرة فيما يتعلق بالعناصر غير الروبوتية، إلى جانب أن معظم الحكومات في شتى أنحاء العالم حظرت استخدام الروبوتات على الأرض لأية أغراض أخرى بخلاف البحث العلمي ما بين عامي 2003 و2007».

«أي أن جلوريا اضطرت في النهاية للتخلي عن روبي؟».

«أخشى هذا، ولكنني أظن أن الأمر كان أهون عليها في سن الخامسة عشرة مما كان في سن الثامنة. ولكنه يظل تصرفًا غبيًّا وغير ضروري من جانب الإنسان. لقد تراجعت يو إس روبوتس إلى أقل مستوياتها ماليًّا حينها، كان ذلك في نفس الوقت الذي انضممتُ فيه إلى الشركة عام2003، حتى إني في البداية كنت أعتقد أني سأفقد وظيفتي فجأة في غضون أشهر معدودة، ولكننا قمنا ببساطة بتطوير السوق الفضائية».

«وعندها استقر الوضع بالتأكيد».

«ليس تمامًا. لقد بدأنا بمحاولة تكييف الطرز التي كانت لدينا، أول الطرز المتكلمة - على سبيل المثال - كان طوله يصل إلى اثني عشر قدمًا، ولم تكن متناسقة على الإطلاق وليست بالجودة العالية، وأرسلناها إلى عطارد للمساعدة في بناء محطة التعدين، ولكن الأمر فشل».

نظرت إليها في دهشة: «حقًّا؟ لماذا؟ مناجم عُطارد تصل قيمتها إلى مليارات الدولارات».

«هي كذلك الآن، ولكن النجاح لم يتحقق سوى في المحاولة الثانية. إن كنت ترغب في الاطلاع على هذا الأمر أيها الشاب أنصحك بأن ترجع إلى جريجوري باول؛ فقد تولى بالاشتراك مع مايكل دونوفان أصعب المهام التي مررنا بها في العقدين الثاني والثالث. لم تصلني أية أخبار من دونوفان منذ سنوات، ولكن باول

يعيش هنا في نيويورك. لقد أصبح جَدًّا الآن، وهي فكرة غريبة يصعب تقبلها. لا أستطيع تخيله إلا شابًا. أنا أيضًا كنت أصغر سنًا في ذلك الوقت بالطبع».

حاولت حملها على مواصلة الحديث قائلًا: «ليتك تمديني ولو بالمعلومات الأساسية فحسب يا دكتورة سوزان، ويمكنني بعد ذلك جعل السيد باول يكملها». (وهو ما فعلتْه فيما بعد).

بسطت يديها النحيلتين على المكتب ونظرت إليهما وقالت: «لا أعرف سوى القليل بشأن أمرين أو ثلاثة».

فاقترحت عليها: «ابدئي بعُطارد».

«حسنًا، أعتقد أن الرحلة الثَانية لعطارد انطلقت عام 2015. كانت رحلة ذات طبيعة استكشافية، وكانت بتمويل من يو إس روبوتس وسولار مينرالز. وقد ضمَّت نوعًا جديدًا من الروبوتات كان لا يزال تجريبيًا. جريجوري باول ومايكل دونوفان».

الروبــوت الحـائـــر

إحدى العبارات التافهة التي كان جريجوري باول يفضلها هي أن الإثارة لا تجدي نفعًا؛ ولذلك عندما نزل مايك دونوفان وثبًا على درجات السلم تجاهه بشعره الأحمر الملبد بالعرق قطب باول حاجبيه.

«ماذا حدث؟ هل انكسر ظفرك؟».

زمجر دونوفان بانفعال شديد: «ماذا كنت تفعل في الأدوار السفلية طوال اليوم؟»، ثم أخذ نفسًا عميقًا وقال: «سبيدي يَعُدْ».

اتسعت عينا باول للحظات وتوقف على السلم قبل أن يستعيد رباطة جأشه ويكمل الصعود. لم يتحدث إلا بعد أن وصل إلى أعلى السلم، ثم قال:

«هل أرسلته للبحث عن السِلنيوم؟».

«نعم».

«منذ متى؟».

«الآن خمس ساعات».

ساد الصمت! كان موقفًا سيئًا للغاية، فها هما على سطح كوكب عُطارِد أكملا بالكاد اثنتي عشرة ساعة وقد غرقا بالفعل حتى أذنيهما في أسوأ أنواع المشكلات. لطالما كان عُطارِد هو مصدر الشؤم في المجموعة الشمسية، ولكن هذا الموقف أضاف إليه تأثيرًا يزيد على مجرد الشؤم.

قال باول: «أخبرني بما حدث من البداية، ودعنا نستوضح الأمر».

كانوا في تلك اللحظة داخل حجرة اللاسلكي - بما فيها من معدات عتيقة لم يمسّها أحد طوال السنوات العشر السابقة من وصولهم؛ وعشر سنوات تعني الكثير في التكنولوجيا. قارن سبيدي مثلًا بطرز الروبوتات التي كانت موجودة عام 2005، هذا بالإضافة إلى أن التقدم في عالم الروبوتات كان هائلًا هذه الأيام. لمس

باول أحد الأسطح المعدنية البراقة بحذر شديد. كان جو الهجران الذي طال كل ما في القاعة - بل المحطة بكاملها - محبطًا للغاية.

لا بد أن دونوفان قد شعر بذلك، وبدأ يقول: «لقد حاولت تحديد موقعه بواسطة اللاسلكي، لكن بلا طائل؛ فهو لا يُجدي نفعًا في الجانب المُشمِس من عُطارد.. لا يتعدى مداه ميلين على أي حال، وهذا أحد أسباب فشل الرحلة الاستكشافية الأولى، كما أننا لن نتمكن من تركيب المعدات التي تعمل بموجات أسرع من الضوء لعدة أسابيع...».

«دعك من كل هذا. هل توصلت لشيء؟».

«حددت موقع إشارة الجسم غير المنتظمة على الموجة القصيرة، لكن هذا لم يُفِد في أي شيء سوى تحديد موقعه. لقد تابعته على مدى ساعتين بهذه الطريقة وعيَّنت النتائج على الخريطة».

كان يحمل ورقة مربعة مُصفرة من ورق البرشمان [1] في جيبه الخلفي - تذكارًا من الرحلة الاستكشافية الأولى غير الناجحة - فألقاها على المكتب بعنف، وبسطها براحة يده، بينما طالعها باول عن بُعد ويداه معقودتان أمام صدره.

أشار قلم دونوفان بتوتر وعصبية على الخريطة «الصليب الأحمر يشير إلى بركة السِّلِنيوم. لقد وضعت أنت العلامة بنفسك».

فقاطعه باول قائلًا: «أي واحدة هذه؟ لقد حدد ماكدوجال لنا ثلاثة مواقع قبل رحيله».

«لقد أرسلت سبيدي إلى أقربها بطبيعة الحال، على بعد سبعة عشر ميلًا، ولكن ما الفارق؟» كان صوته متوترًا، ومضى يقول: «هذه النقاط المرسومة بالقلم الرصاص هي التي تحدد موقع سبيدي».

ولأول مرة اهتزت رباطة جأش باول المصطنعة، ودفع يده لالتقاط الخريطة.

«*هل أنت* جادٌّ؟ هذا مستحيل!».

تمتم دونوفان: «ها هي، انظر بنفسك».

كانت النقاط الصغيرة التي تحدد الموقع تأخذ شكل دائرة غير مستوية حول الصليب الأحمر الذي يعيِّن موقع بركة السِّلِنيوم، وامتدت أصابع باول إلى شاربه البني في إشارة أكيدة على توتره.

أضاف دونوفان: «لقد دار حول هذه البركة اللعينة أربع مرات خلال الساعتين

(1) ورق نفيس يشبه الرق.

اللتين تابعته فيهما، ويبدو لي أنه سيستمر في ذلك إلى الأبد على الأرجح. هل تدرك الموقف الذي نواجهه؟».

رفع باول عينيه ولم يقل شيئًا. بالطبع كان يدرك الموقف الذي يواجهانه؛ فقد فسر الوضع نفسه بشكل منطقي تمامًا؛ صفوف الخلايا الضوئية التي وقفت بمفردها كحائل بينهما وبين طاقة شمس عُطارد الرهيبة قد تلفت تمامًا؛ والشيء الوحيد الذي يمكن أن ينقذهما هو السّلِنيوم، والوحيد القادر على إحضار السّلِنيوم هو سبيدي؛ ولن يكون هناك سلِنيوم ما لم يرجع سبيدي؛ وإذا لم يحصلا على السّلِنيوم فلن تكون هناك صفوف خلايا ضوئية، وإذا لم تتوافر الخلايا الضوئية - حسنًا فالموت بالشيّ البطيء من أسوأ الطرق التي يمكن أن يلقى الإنسان بها حتفه.

مسح دونوفان شعره الكثيف بحركة عنيفة وعبَّر عما يجول في نفسه بمرارة: «سنصبح أضحوكة المجموعة الشمسية يا جريج، كيف ساءت الأمور على هذا النحو وبهذه السرعة؟ فريق باول ودونوفان العظيم يُرسَل إلى عُطارِد لإعداد تقرير عن جدوى إعادة فتح محطة تعدين بالجانب المُشمِس من الكوكب ومعهما أحدث التقنيات والروبوتات وهما يفسدان كل شيء في اليوم الأول. وفي مهمة روتينية بحتة كهذه... لن يمكننا تجاوز ذلك على الإطلاق».

أجاب باول بهدوء: «قد لا نضطر لذلك، فإن لم نتصرف سريعًا فسوف يكون تجاوز أي فشل - أو حتى مجرد الحياة - أمرًا مستحيلًا».

«لا تكُن أحمق! إن كنت تظن أن ما تقوله طريف يا جريج فأنا لا أراه كذلك. إن إرسالنا إلى هنا ومعنا روبوت واحد فقط يُعَدُّ جريمة، *وأنت* صاحب الفكرة النيِّرة بأننا قادران على التعامل مع صفوف الخلايا الضوئية بأنفسنا».

«هذا ليس إنصافًا، كان ذلك قرارًا مشتركًا وأنت تعلم هذا. كل ما احتجناه كان مجرد كيلوجرام واحد من السّلِنيوم، وصفيحة ستيلهيد دايليكترود، وحوالي ثلاث ساعات، وهناك برك من السّلِنيوم الصافي في أرجاء الجانب المُشمِس كافة، وقد عيَّن العاكس الطيفي الخاص بماكدوجال ثلاثًا منها خلال خمس دقائق، ألم يفعل؟ إذًا ما الأمر؟! لم يكن باستطاعتنا انتظار حدوث اقتران آخر».

«حسنًا، ماذا سنفعل؟ باول أنت لديك فكرة، أعرف أن لديك فكرة، وإلا لما كنت بهذا الهدوء. أنت لست أكثر بطولةً مني، هيا، أخبرني!».

«لا نستطيع ملاحقة سبيدي بأنفسنا يا مايك - ليس في الجانب المُشمِس، حتى البذلة الفضائية المصممة لتحمُّل الحرارة لن تصمد أكثر من عشرين دقيقة في ضوء الشمس المباشر، ولكنك تعلم المثل القديم القائل: «استخدم روبوتًا ليمسك به آخر». اسمعني يا مايك، قد لا تكون الأمور بهذا السوء؛ فلدينا ستة روبوتات موجودة في الأدوار السفلية قد نستطيع استخدامها لو كانت تعمل.. *لو* كانت تعمل».

برقت عينا دونوفان فجأة في أمل: «تقصد من الرحلة الاستكشافية الأولى؟ هل أنت متأكد؟ قد تكون آلات أدنى من الروبوتات؛ فكما تعلم عشر سنوات تعتبر مدة طويلة فيما يتعلق بأنواع الروبوتات».

«لا، بل هي روبوتات. لقد أمضيت اليوم كلَّه معها وأنا متأكد؛ فلديها عقول بوزيترونية، ولكنها بدائية بالطبع»، ثم وضع الخريطة في جيبه وقال: «فلننزل».

كانت الروبوتات موجودة في آخر دور أسفل السطح - وكل واحد منها يحيط به صندوق تعبئة عتيقة غير معلوم محتواها. وكانت الروبوتات ضخمة، فبالرغم من أنها كانت جالسة وسيقانها ممدودة أمامها، كانت رءوسها على ارتفاع سبعة أقدام كاملة عن الأرض.

صفَّرَ دونوفان قائلًا: «انظر إلى حجمها! لا بد أن قطر صدرها يبلغ عشرة أقدام».

«هذا بسبب تروس ماكجافي القديمة المثبتة داخلها. لقد اطلعت على تصميمها الداخلي - أسوأ ما يمكن أن ترى».

«هل زودتها بالطاقة؟».

«لا، لم يكن هناك ما يستدعي ذلك. لا أعتقد أن بها أية أعطاب، فحتى قرص السماعة بحالة جيدة، وربما تتحدث».

كان قد فك مسامير لوحة صدر أقرب الروبوتات إليه وهو يتحدث، ثم أدخل في جسده كرة قطرها بوصتان تحوي شرارة الطاقة الذرية التي تمُثِّل عصب حياة أي روبوت، وواجه بعض الصعوبة في تركيبها، ولكنه نجح في النهاية وانهمك في إعادة تثبيت اللوحة؛ حيث لم تكن أساليب التحكم اللاسلكية الخاصة بالعصر الحديث معروفة قبل عشر سنوات، وقام بعد ذلك بالشيء نفسه مع الروبوتات الخمسة الأخرى.

قال دونوفان بقلق: «لم تتحرك».

فردَّ عليه باول: «لم تَصدُر لها الأوامر بذلك»، ثم عاد إلى أول روبوت في الصف ووجه إليه ضربة على صدره وقال: «أنت.. هل تسمعني؟!».

مال رأس الروبوت ببطء وثبَّت عينيه على باول، ثم قال بصوت قاسٍ وعالٍ وحادٍّ، أشبه بصوت فونوغراف يعود إلى العصور الوسطى: «نعم سيدي!».

ابتسم باول بمرح لدونوفان، وقال: «هل سمعت هذا؟ كان ذلك أيام أول الروبوتات المتكلمة، حينما كان من المحتمل حظر استخدامها على سطح الأرض، وكان المصنعون يقاومون ذلك؛ فقاموا بصناعة عبيد مطيعين وطيبين داخل هذه الآلات البغيضة».

تمتم دونوفان: «لم يفِدهم ذلك».

«لا لم يفِدهم، ولكنهم حاولوا»، ثم استدار إلى الروبوت مرة أخرى آمرًا: «انهض!».

نهض الروبوت ببطء، فارتفعت معه عنق دونوفان، وضم شفتيه وصفَّر.

سأله باول: «هل تستطيع الصعود إلى السطح في الضوء؟».

مرت فترة تفكير قصيرة عَمِلَ خلالها عقل الروبوت البطيء، ثم قال: «نعم يا سيدي».

«جيد. هل تعرف ما هو الميل؟».

مرت فترة تفكير أخرى، ثم جاءت الإجابة الثانية بطيئة كسابقتها: «نعم يا سيدي».

«سوف نأخذك إلى السطح إذًا، ونحدد لك اتجاهًا، وسوف تسير حوالي سبعة عشر ميلًا، وفي مكان ما في تلك المنطقة سوف تقابل روبوتًا آخر أصغر منك حجمًا. هل تفهم حتى الآن؟».

«نعم يا سيدي».

«سوف تعثر على هذا الروبوت وتأمره بالعودة، وإذا لم يرغب فعليك أن تعيده بالقوة».

أمسك دونوفان باول من ذراعه: «لم لا ترسله لإحضار السِّلنيوم مباشرة؟».

«لأني أريد استعادة سبيدي يا ذكي. أريد أن أكتشف ما به». ثم وجه حديثه إلى الروبوت مرة أخرى: «حسنًا، أنت، اتبعني».

ظل الروبوت بلا حركة وقال: «اعذرني يا سيدي، ولكن لا أستطيع. يجب أن تمتطيني أولًا»، ثم ضم ذراعيه معًا وشبَّك أصابعه الغليظة مُصدِرًا صوتًا عاليًا.

فحَملَق باول وفتل شاربه وقال: «آه، حسنًا!».

جحظت عينا دونوفان: «هل علينا أن نمتطيه كالجواد؟».

«أعتقد أن هذه هي الفكرة، ولكني لا أعرف السبب رغم ذلك. لا أفهم - بل أفهم. أخبرتك أنهم كانوا يحاولون الترويج لمبدأ أمان الروبوتات في تلك الفترة، ومن الواضح أنهم كانوا سيروجون لفكرة الأمان هذه من خلال عدم السماح للروبوتات بالتجول دون وجود شخص فوق أكتافهم طوال الوقت. ماذا سنفعل الآن؟».

غمغم دونوفان: «هذا ما كنت أفكر فيه. لا يمكننا الخروج إلى السطح سواء بروبوت أو بدون.. يا إلهي!» .. ثم فرقع أصابعه مرتين، وبدت عليه الإثارة: «أعطني الخريطة التي معك. لم أدرسها لساعتين بلا سبب. هذه محطة تعدين، فما العيب في استخدام الأنفاق؟».

كانت محطة التعدين على الخريطة عبارة عن دائرة سوداء، وكانت الخطوط المنقطة الخفيفة التي تحدد مكان الأنفاق تمتد في شبكة عنكبوتية.

فحص دونوفان قائمة الرموز أسفل الخريطة: «انظر! النقاط السوداء الصغيرة عبارة عن فتحات إلى السطح، وهناك واحدة على بعد نحو ثلاثة أميال من بركة السّلنيوم. مكتوب هنا رقم 13أ - يجدر بهم أن يستخدموا خطًا أكبر في الكتابة. لو كان الروبوتات يعرفون طريقهم هنا».

ألقى باول السؤال وتلقى الرد المتبلد نفسه: «نعم يا سيدي»، فأردف برضا: «أحضر بذلتك المقاومة للحرارة».

كانت هذه هي المرة الأولى التي يرتدي فيها أي منهما البذلة المقاومة للحرارة - وكان ذلك أكثر مما توقعا عند وصولهما في اليوم السابق بمرة واحدة - ثم حاولا الحركة بها بصعوبة.

كانت البذلة أكبر حجمًا وأقبح شكلًا من البذلة الفضائية العادية، ولكنها كانت أخف كثيرًا؛ حيث كانت مصنوعة بالكامل من مواد غير معدنية، وكانت تتكون من بلاستيك مقاوم للحرارة وطبقات من الفلين المعالَج كيميائيًا، ومزودة بوحدة تجفيف للحفاظ على الجفاف التام للهواء؛ لذا كانت هذه البذلات قادرة على تحمل وهج شمس عطارد الملتهب لمدة عشرين دقيقة، بالإضافة لفترة خمس إلى عشر دقائق أخرى دون أن يهلك مرتدوها.

وضع الروبوت يديه ليرتقي عليهما باول ليمتطيه، ولم تظهر عليه أدنى علامات التعجب من المظهر الغريب الذي تحول إليه باول.

دوى صوت باول خشنًا عبر اللاسلكي: «هل أنت مستعد لأخذنا إلى المخرج 13أ؟».

«نعم يا سيدي».

فكر باول أن هذا جيد، فقد تفتقر هذه الروبوتات إلى التحكم اللاسلكي، ولكنها على الأقل مجهزة للاستقبال اللاسلكي. ثم قال لدونوفان: «امتطِ أيًا منها يا مايك».

وضع باول قدمه في الركاب المبتكر ووصل إلى الأعلى وهو يتأرجح، ووجد المقعد مريحًا؛ حيث يأخذ ظهر الروبوت شكلًا مُحدبًا، ومن الواضح أنه مُصمَّم لهذا الغرض، إلى جانب وجود أخدود غير عميق بطول كل من كتفيه لوضع الأفخاذ، وله «أذنان» طويلتان بدا الغرض منهما الآن واضحًا.

أمسك باول الأذنين بيديه وأدار الرأس، غير أن اعتلاء الروبوت أصبح مملًّا، وعلى الرغم من مزاحه بقوله: «انطلق يا ماكدف» فإنه لم يشعر بأي مرح.

تحرك الروبوتان العملاقان ببطء ودقة ميكانيكية عبر الباب الذي كان يفصل رأسيهما عن قمته أقل من قدم واحد فقط، بحيث اضطر الرجلان لإحناء رأسيهما بسرعة لتفاديه، وتحركا عبر الممر الضيق الذي دوَّت فيه خطواتهما البطيئة برتابة وسط غرفة الهواء المضغوط.

امتد بعد ذلك النفق الطويل الخالي من الهواء حتى صارت نهايته تبدو كنقطة صغيرة، فأعاد ذلك بقوة إلى ذاكرة باول ضخامة المهمة التي أنجزتها الرحلة الاستكشافية الأولى التي استعانوا فيها بروبوتات أولية ومستلزمات أساسية بدءوا بها من الصفر. ربما تكون أخفقت في مهمتها، إلا أن إخفاقها هذا كان أفضل بكثير من التعاقب العادي لنجاحات المجموعة الشمسية.

وتهادى الروبوتان بإيقاع ثابت وخطوات لم تتسع على الإطلاق.

قال باول: «هل لاحظت أن هذه الأنفاق تسطع بالأضواء وأن درجة الحرارة هي درجة الحرارة الطبيعية نفسها على سطح الأرض؟ ربما ظلت على هذا الوضع طوال السنوات العشر التي كان فيها هذا المكان خاليًا».

«كيف هذا؟».

«الطاقة الرخيصة، الأرخص في المجموعة الشمسية كلها؛ الطاقة الشمسية، وهي كما تعلم لها قوة خاصة في الجانب المُشمِس من عُطارد، ولهذا شُيِّدَت المحطة

تحت ضوء الشمس بدلًا من ظل أحد الجبال. إن المحطة تعتبر - بحق - محولًا ضخمًا للطاقة؛ حيث يتم تحويل الحرارة إلى كهرباء وضوء وطاقة ميكانيكية وأي شيء يخطر على بالك، ويتم الإمداد بالطاقة وتبريد المحطة في الوقت نفسه».

فقال دونوفان: «كلام قيِّم فعلًا، ولكن هل تمانع إن غيرنا الموضوع؟ لأن عملية تحويل الطاقة التي تتحدث عنها تتم في الأساس عن طريق بنوك الخلايا الضوئية.. وهذا موضوع حساس بالنسبة لي في الوقت الحالي».

غمغم باول بكلام مبهم، وتبعت ذلك فترة من الصمت قطعها دونوفان مُغيِّرًا الموضوع تمامًا قائلًا: «اسمع يا جريج. ماذا تظن قد حل بسبيدي على أية حال؟ لا أفهم».

وعلى الرغم من صعوبة هز الكتفين داخل البذلة الشمسية فإن باول حاول هز كتفيه وقال: «لا أعرف يا مايك. أنت تعلم أنه معد تمامًا للتأقلم مع بيئة عُطارد، والحرارة لا تمثل له أي مشكلة، كما أنه مُصمَّم ليتكيف مع الجاذبية الخفيفة والأرض الوعرة. بل إنه لا يتعطل أبدًا، أو على الأقل يُفترَض ذلك».

ساد الصمت، ولكنه استمر هذه المرة.

حتى قال الروبوت: «سيدي، لقد وصلنا».

«هه» انتبه باول من شبه النعاس الذي أصابه فأردف: «حسنًا.. أخرجنا من هنا.. إلى السطح».

وجدا نفسيهما داخل محطة فرعية ضيقة وفارغة وخالية من الهواء وخربَة، وقام دونوفان بفحص فتحة غير متساوية الحواف في الأجزاء العلوية من أحد الحوائط مستعينًا بضوء كشاف جيبه.

فتساءل: «هل تظن أنه حجر نيزكي؟».

هز باول كتفيه بلا مبالاة: «أيًا كان، لا يهم. هيا نخرج».

وجدا بالخارج جُرفًا مرتفعًا من صخور بازلتية سوداء يعترض ضوء الشمس، ويحيط بهما ظل كرقعة من ليل بهيم من عالم بلا هواء يمتد حولهما، وينتهي فجأة كطرف السكين وسط ضوء ساطع لا يكاد يُحتَمَل بفعل تلألؤ أعداد ضخمة من البلورات في أرجاء الأرض الصخرية.

قال دونوفان لاهثًا: «الفضاء! يبدو كالثلج»، وهو ما كان صحيحًا بالفعل.

مسح باول بعينيه بريق عُطارد القاسي الذي امتد حتى الأفق، وأجفل في مواجهة الوهج الساطع.

ثم قال: «لا بد أن هذه المنطقة غير معتادة؛ فالبياض السائد في عُطارد أقل، وأغلب التربة عبارة عن زجاج بركاني رمادي اللون، أشبه بالقمر، إلا أن المنظر جميل، أليس كذلك؟».

كان باول ممتنًّا لفلاتر الضوء الموجودة في لوحات الرؤية، فسواء كان المنظر جميلًا أو لا كانت مجرد نظرة واحدة إلى ضوء الشمس من خلال الزجاج مباشرة كفيلة بإفقادهم البصر خلال نصف دقيقة.

كان دونوفان في هذه الأثناء ينظر إلى الترمومتر الزنبركي على معصمه فصاح: «ياللهول! الحرارة ثمانون درجة مئوية!».

فنظر باول إلى الترمومتر الخاص به: «مرتفعة بعض الشيء. هذا هو الطقس هنا كما تعلم».

«في عُطارد؟ هل جُننت؟».

«عُطارد ليس عديم الهواء تمامًا» قالها باول شارحًا بذهن شارد وهو يُعدِّل المناظير المقربة الملحقة بلوحة الرؤية الخاصة به بأصابع البذلة المنتفخة التي حركها بصعوبة. وأكمل قائلًا: «توجد طبقة رقيقة من الهواء تتعلق بسطح الكوكب تتكون من أبخرة العناصر والمركبات الأكثر تطايرًا التي من الثقل بما يكفي لأن تحتفظ بها جاذبية عُطارد، مثل السِلِنيوم واليود والزئبق والجاليوم والبوتاسيوم والبزموت والأكاسيد الطيَّارة؛ حيث ترتفع الأبخرة في الظلال وتتكثف مُطلقة الحرارة؛ إنها أشبه بجسم ضخم ساكن، بل إنك إذا استخدمت كشافك اليدوي فستكتشف على الأرجح أن جانب الجُرف مُغطى ببخار كبريت متجمد مثلًا أو ندى زئبق».

«ولكن هذا لا يهم على أي حال، بذلتانا يمكنهما بالتأكيد تحمُّل ثمانين درجة من الحرارة».

عدَّل باول وضع المناظير الملحقة فأصبحت عيناه تبدوان كما لو كان لهما سيقان مثل الحلزونات.

كان دونوفان يتابعه بتوتر: «هل ترى أي شيء؟».

لم يردَّ الآخر على الفور، ولكن صوته كان قلقًا وينم عن استغراقه في التفكير عندما قال: «هناك بقعة سوداء في الأفق قد تكون بِركة من السِلِنيوم. إنها تقع في الموقع الصحيح. ولكني لا أرى سبيدي».

تسلَّق باول لأعلى في محاولة غريزية للحصول على رؤية أفضل حتى صار واقفًا

بلا اتزان على كتفي الروبوت بساقين متباعدتين وعينين متسعتين متوترتين، ثم قال: «أعتقد... أعتقد... نعم، إنه هوَ. إنه آتٍ في هذا الاتجاه».

تابع دونوفان إشارة إصبع زميله، ولم تكن معه أية مناظير مقربة، ولكن ظهرت بقعة ضئيلة متحركة تبدو سوداء أمام الخلفية الساطعة للأرض البلورية.

فصاح: «إنني أراه، هيا بنا!».

وثب باول مرة أخرى وأخذ وضع الجلوس على الروبوت، وضرب بكفه المغطاة بقفاز البذلة على صدر الروبوت العملاق الذي يشبه البرميل وهتف: «هيًّا!».

ضرب دونوفان بعقبيه كما لو كان يرتدي مهمازين[1]، وهتف هو الآخر:«هيًّا!».

تحرك الروبوتان، ولم تصدر خطواتها المنتظمة أي صوت لعدم وجود الهواء؛ لأن النسيج غير المعدني للبذل الحرارية لم يكن ينقل الصوت، وكان هناك بدلًا منه مجرد ذبذبة منتظمة أقل من الحد للسمع الفعلي.

هتف دونوفان: «أسرع» لكن الإيقاع لم يتغير.

فصاح باول: «لا فائدة. أكوام الخردة هذه لها سرعة واحدة فقط، فهل تعتقد أنها مجهزة بعضلات قابضة انتقائية؟».

اندفعا إلى خارج الظل، وسقط عليهما ضوء الشمس شديد الاتّقاد وانصب فوق رأسيهما كالسيل.

انحنى دونوفان لاإراديًّا: «ياللهول! هل أحلم أم أني أشعر حقًّا بهذه الحرارة؟».

فجاءته الإجابة متجهمة: «سوف يزيد إحساسك بها في الحال. لا ترفع عينيك عن سبيدي».

كان الروبوت إس بي دي 13 قد أصبح الآن قريبًا بما يكفي لرؤيته بوضوح. كان جسمه الانسيابي الرشيق يعكس أضواءً ساطعة مع قفزه السريع اليسير فوق الأرض الوعرة. وكان اسمه مُشتقًا بلا شك من حروفه التسلسلية، وكان اسمًا مناسبًا له[2]؛ حيث إن الروبوتات من طراز إس بي دي كانت من بين أسرع الروبوتات التي صنعتها شركة يو إس روبوتس.

هتف دونوفان ملوحًا بيده بشدة: «سبيدي».

---

(1) المهماز: حديدةٌ في مؤخر حذاء الفارس.

(2) كلمة سبيد أو «Speed» الإنجليزية تعني «سرعة» باللغة العربية.

وصاح باول: «سبيدي! تعال هنا!».

كانت المسافة بين الرجلين والروبوت التائه تتضاءل بسرعة - بفضل مجهودات سبيدي وليس مع الخطوات البطيئة لروبوتي دونوفان وباول العتيقين صاحبي الخمسين عامًا.

أصبحت المسافة قريبة الآن بما يكفي ليلاحظا أن طريقة سبيدي في العدْو كان يشوبها شيء من الترنح الغريب؛ كان فيها تمايل ملحوظ من جانب لآخر - وبينما كان باول يلوح بيده مرة أخرى ويطلق أعلى درجة من الطاقة في سماعة الإرسال الرأسية اللاسلكية المدمجة الخاصة به استعدادًا لصيحة أخرى، رفع سبيدي ناظريه ورآهما.

توقف سبيدي فجأة، وظل واقفًا للحظة وهو يترنح ترنحًا خفيفًا غير مستقر، كما لو كان يتمايل أمام رياح خفيفة.

صاح باول: «حسنًا، تعال هنا يا سبيدي».

وعندئذ تردد صوت سبيدي الآلي في سماعات باول للمرة الأولى.

وقال: «هوت دوج، هيا بنا نلعب، أنت تلاحقني وأنا ألاحقك، لا يوجد حب يستطيع أن يقطع سكيننا إلى نصفين. لأني زهرة صغيرة، زهرة صغيرة جميلة. أووه!»، ثم استدار على عقبيه، وأسرع في الاتجاه نفسه الذي أتى منه بسرعة وضراوة أثارتا الغبار الساخن.

وكانت كلماته الأخيرة قبل أن يبتعد مختفيًا: «كانت هناك زهرة صغيرة تحت سنديانة كبيرة»، وتبعها بنقرات معدنية غريبة قد تكون المقابل الآلي للفُواق.

قال دونوفان بوهن: «من أين حفظ شعر جيلبرت وسوليفان؟ قل لي يا جريج، إنه ... إنه ثمل أو شيء من هذا القبيل».

فأجابه الآخر بمرارة: «لو لم تقل أنت لي لما علمت قط. هيا بنا نعود إلى الجُرف. ستشوينا هذه الحرارة».

كسر باول صمتهما الباعث على اليأس قائلًا: «أولًا، سبيدي ليس ثملًا - ليس بالمعنى البشري للكلمة - لأنه روبوت، والروبوتات لا تثمل، ولكنه ربما كان *عطبًا ما يُعدّ المقابل الآلي للثمالة*».

فقال دونوفان بإصرار: «هو ثمل بالنسبة لي، وكل ما أعرفه أنه يظن أننا نلعب، ونحن لا نلعب. إنها مسألة حياة أو موت، بشع للغاية».

«حسنًا، لا تستعجلني. الروبوت ليس إلا مجرد روبوت، وما إن نكتشف ما به ستتمكن من إصلاحه وإكمال مهمتنا».

«*ما إن*» أردف دونوفان بتذمر حتى تجاهله باول ومضى يقول: «سبيدي مؤهل تمامًا لبيئة عُطارد الطبيعية، ولكن هذه المنطقة...» وبسط ذراعه مشيرًا إلى المنطقة المحيطة: «غير عادية بالمرة. هذه هي بداية الخيط. والآن من أين تأتي هذه البلورات؟ ربما تكونت من سائل يبرد ببطء؛ ولكن من أين تأتي بسائل ساخن إلى الدرجة التي تجعل شمس عُطارد بالنسبة إليه باردة؟».

فردَّ دونوفان فورًا: «نشاط بركاني» فتوتر جسد باول.

«من أفواه الرُّضَّع[1]» .. قالها بصوت خفيض حاسم، ثم ظل ساكنًا لخمس دقائق.

ثم استطرد: «اَسمع يا مايك، ماذا قلت لسبيدي عندما أرسلته لإحضار السِّلنيوم؟».

فوجئ دونوفان فأجاب قائلًا: «حسنًا، اللعنة.. لا أذكر. قلت له أن يحضره».

«نعم، أعلم، ولكن كيف؟ حاول أن تتذكر الكلمات بالضبط».

«قلت ... قلت: سبيدي، نحن بحاجة إلى بعض السِّلنيوم. تستطيع إحضاره من مكان كذا وكذا. اذهب وأحضره.. هذا كل شيء. ماذا كنت تريدني أن أقول له غير ذلك؟».

«ولم تُضِف أي نوع من الاستعجال على هذا الأمر، أليس كذلك؟».

«ولم أفعل هذا؟ كان إجراءً روتينيًّا تمامًا».

تنهَّد باول قائلًا: «حسنًا، لا يمكن فعل شيء حيال هذا الأمر الآن.. ولكننا في مأزق». كان باول قد هبط من فوق الروبوت وجلس مستندًا بظهره إلى الجرف. وانضم إليه دونوفان وشبَّكا ذراعيهما. وعلى البعد كان ضوء الشمس الحارق يبدو في انتظارهما كأنها لعبة القط والفأر، وبجانبهما تمامًا كانت رؤية الروبوتين العملاقين مستحيلة فيما عدا اللون الأحمر الباهت المُمَيِّز لأعينهما الكهروضوئية التي كانت تحدق بالأسفل باتجاههما دون أن تطرف أو تتحول عنهما وبلا مبالاة.

بلا مبالاة! تمامًا ككل شيء على سطح هذا الكوكب السام؛ مثله في درجة ضخامة شؤمه ودرجة ضآلة حجمه.

وصل صوت باول إلى أذني دونوفان عبر اللاسلكي مشوبًا بالتوتر: «انظر! فلنبدأ بقوانين الروبوتات الأساسية الثلاثة - القوانين الثلاثة الراسخة بعمق داخل

(1) جزء من آية إنجيلية تقول: «من أفواه الرُّضَّع والأطفال أسست حمدًا لتسكيت عدو منتقم»، وتعني أن الله أتى بالحكمة والحمد على لسان الرُّضَّع والأطفال.

العقل البوزيتروني لأي روبوت» وفي قلب الظلام نقر بأصابعه المُغلَّفة بالقفاز مع كل نقطة.

- «لدينا القانون الأول، لا يجوز لأي روبوت أن يؤذي أي إنسان أو أن يسمح، من خلال عدم أخذ أي رد فعل، بحدوث أي أذًى لأي إنسان».

- «صحيح!».

ثم أكمل: «والثاني، يتعين على أي روبوت طاعة الأوامر التي يصدرها له الإنسان، فيما عدا الأوامر التي تتعارض مع القانون الأول».

- «صحيح!».

«والثالث، يتعين على الروبوت حماية وجوده ما دامت هذه الحماية لا تتعارض مع القانونين الأول والثاني».

«صحيح! والآن أين نحن؟؟».

«تحديدًا في مرحلة الشرح. يتم تسوية التعارض بين القوانين المختلفة من خلال الاحتماليات البوزيترونية المختلفة داخل العقل. سوف نفترض مثلًا أن أحد الروبوتات يتجه نحو خطر ما وهو يدرك ذلك، فإن الاحتمالية التلقائية التي يحددها القانون الثالث تجعله يتراجع. ولكن افترض أنك *أمرته* باقتحام هذا الخطر؛ ففي هذه الحالة يفرض القانون الثاني احتمالية مقابلة أعلى من الاحتمالية السابقة ويتبع الروبوت الأوامر على حساب المخاطرة بوجوده».

«أعلم هذا.. ماذا به؟».

«فلنأخذ حالة سبيدي؛ سبيدي من أحدث طرز الروبوتات، وهو متخصص للغاية، وتكلفته تصل إلى تكلفة تصنيع بارجة حربية؛ لذا لا يمكن تدميره بسهولة».

«إذًا؟».

«إذًا تم تعزيز القانون الثالث - وقد كان هذا مذكورًا تحديدًا في ملاحظات التحديثات في طرز روبوتات إس بي دي - بحيث أصبحت حساسيته للخطر أعلى من المعتاد. في الوقت نفسه، عندما أرسلته أنت لإحضار السِّلنيوم، أعطيته الأوامر بأسلوب عادي ودون أي تأكيد خاص؛ لذا كانت الاحتمالية الخاصة بالقانون الثاني أضعف. والآن تمهل. أنا فقط أقرر الوقائع».

«حسنًا، تفضل. أظنني فهمت ما ترمي إليه».

«أنت تدرك كيف يسير الأمر، أليس كذلك؟ هناك شكل من أشكال الخطر قابعٌ في بركة السّلِنيوم، وهو يزيد كلما اقترب منها، وعند مسافة معينة تتعادل احتمالية القانون الثالث - والتي تكون مرتفعة للغاية على غير العادة - مع احتمالية القانون الثاني، والتي تكون منخفضة للغاية على غير العادة».

هبَّ دونوفان على قدميه بانفعال: «ويحدث توازن. فهمت. القانون الثالث يدفعه للرجوع والقانون الثاني يجعله يتقدم».

«ولهذا السبب يتحرك في دوائر حول بركة السّلِنيوم، ويظل في الموضع الذي تقع به كل نقاط التوازن المحتمل، وإن لم نفعل شيئًا سيظل يتحرك في هذه الدائرة إلى الأبد، ويواجهنا بهذا الأسلوب المراوِغ»، ثم استطرد بذهن شارد في التفكير: «وهذا بالمناسبة هو سبب ثمالته؛ ففي حالة التوازن المحتمل تتوقف نصف المسارات البوزيترونية داخل عقله عن العمل. أنا لست متخصصًا في الروبوتات، لكن الأمر يبدو واضحًا. ربما فقد القدرة على التحكم في الأجزاء الخاصة بطبيعته الآلية التلقائية التي يفقد الإنسان الثمل القدرة على التحكم بها. رائع جدًّا».

«ولكن ما هو هذا الخطر؟ لو علمنا ما الذي يهرب منه؟».

«أنت قلتها بنفسك. نشاط بركاني؛ ففي بقعة ما فوق بركة السّلِنيوم تمامًا هناك رشح غازي يتسرب من تجاويف عُطارد: ثاني أكسيد الكبريت وثاني أكسيد الكربون، وأول أكسيد الكربون، الكثير منه وفي درجة حرارة كهذه».

ازدرد دونوفان لعابه بصوت مسموع: «أول أكسيد الكربون مع الحديد ينتج عنهما كربونيل الحديد الطيّار».

فأضاف باول: «والروبوت مُصنَّع في الأساس من الحديد»، ثم قال بتجهم: «ليس هناك مثيل للاستدلال. لقد توصلنا إلى كل ما يتعلق بمشكلتنا فيما عدا الحل. لا نستطيع إحضار السّلِنيوم بأنفسنا، فهو بعيد جدًّا. ولا نستطيع إرسال هذه الجياد الآلية؛ لأنها لا تستطيع الذهاب بنفسها؛ كما لا يمكنها حملنا والتحرك بالسرعة الكافية لحمايتنا من الاحتراق. ونحن لا يمكننا القبض على سبيدي بأنفسنا؛ لأن الأحمق يظن أننا نلعب، كما أن سرعته بالعدْو أسرع بستين ميلًا من سرعة الأميال الأربعة التي نتحرك بها».

قال دونوفان بتردد: «إذا ذهب أحدنا فقط وعاد محترقًا فسوف يظل الآخر حيًّا».

وجاءه الرد ساخرًا: «نعم، وسوف تكون تلك تضحية تنُمّ عن عطف شديد فيما

عدا هذا الشخص فلن يكون في موضع يسمح له بإعطاء الأوامر قبل أن يصل إلى البركة من الأساس، ولا أظن أن الروبوتات سوف تعود إلى الجرف على الإطلاق دون أوامر. احسبها بنفسك! نحن على بُعد ميلين أو ثلاثة من البركة - قل اثنين - والروبوت يسير بسرعة أربعة أميال في الساعة، ونحن نستطيع التحمل داخل بَذلنا لمدة عشرين دقيقة فقط. وتذكر أن الأمر لا يقتصر على الحرارة، بل إن الإشعاع الشمسي فوق وتحت البنفسجي في الخارج *سام*».

تنحنح دونوفان قائلًا: «فارق عشر دقائق».

«بالضبط كما لو كانت فترة لانهائية. وهناك أمر آخر؛ إذا كانت احتمالية القانون الثالث قد أوقفت سبيدي حيث هو الآن، إذن لا بُد أن هناك كمية لا بأس بها من أول أكسيد الكربون في هذا الغلاف الجوي المشبع بالبخار المعدني - ولا شك أن قدرًا كبيرًا من التآكل يحدث نتيجة لذلك، وسبيدي بالخارج منذ ساعات الآن - فكيف نعلم متى ستتعطل إحدى مفصلات ركبتيه مثلًا فينهار. إن الأمر لا يقتصر على التفكير فقط، ولكن علينا كذلك التفكير *بسرعة*!».

ساد صمت عميق وقاتم وغير مريح وكئيب!

ثم قطعه دونوفان بصوت مرتعش حاول الحفاظ على بروده وعدم اكتراثه وقال: «ما دمنا غير قادرين على رفع احتمالية القانون الثاني من خلال إصدار مزيد من الأوامر، ما رأيك أن نجرب الطريقة العكسية؟ إذا رفعنا درجة الخطر فسوف نرفع من احتمالية القانون الثالث وندفعه للعودة».

استدار باول نحوه في تساؤل صامت.

فبدأ يشرح بحذر: «كما ترى، كل ما نحتاج إلى فعله لدفعه للخروج من تلك الساقية التي يدور فيها هو زيادة تركيز أول أكسيد الكربون في المنطقة المحيطة به، ويوجد في المحطة مختبر تحاليل كامل».

فصدَّق باول على كلامه: «وضع طبيعي، إنها محطة تعدين».

«حسنًا، لا بُد من وجود كميات من حامض الأوكساليك من أجل ترسيب الكالسيوم».

«يا إلهي! مايك، أنت عبقري».

فقال دونوفان بتواضع: «لا بأس بي. المسألة كلها تعتمد على تذكُّر أن حامض الأوكساليك يتحلل عند تسخينه إلى ثاني أكسيد الكربون والماء وأول أكسيد الكربون الرائع. إنها الكيمياء التي درسناها في الجامعة كما تعلم».

نهض باول ووقف على قدميه وجذب انتباه أحد الروبوتين العملاقين إليه بضربه على فخذه.

وصاح: «أنت، هل تستطيع الرمي؟».

«سيدي؟».

«لا عليك» ولعن باول عقولهم البطيئة، ثم نبش صخرة مُثلَّمة بحجم قرميدة، وقال للروبوت: «خذ هذه واضرب رقعة البلورات الزرقاء عبر هذا الصدع الملتوي. أتراه؟».

جذبه دونوفان من كتفه وقال له: «هذه مسافة بعيدة جدًّا يا جريج، تكاد تكون على بعد نصف ميل».

فأجابه باول: «اهدأ. المسألة ليست إلا مزيجًا من جاذبية عُطارد وذراع معدنية. راقب فحسب».

كانت عينا الروبوت تقيسان المسافة بتقنية ثلاثية الأبعاد دقيقة، وعدَّل ذراعه لتناسب وزن القذيفة، ثم أرجعها إلى الوراء. لم يكن من الممكن رؤية حركة الروبوت في الظلام، ولكن فجأة عَلا صوت مرتفع وهو يُعدِّل وزنه، وبعد ثوانٍ معدودة طارت الصخرة وبدت سوداء تحت أشعة الشمس. لم تكن هناك أية مقاومة من الهواء لإبطائها، أو رياح لتغير مسارها – وعندما ضربت الأرض تطايرت البلوُّرات في منتصف «البقعة الزرقاء» تمامًا.

فصاح باول بسعادة قائلًا: «هيا نعود لنُحضر حامض الأوكساليك يا مايك».

وبينما هما يدلفان إلى المحطة الفرعية المدمَّرة في طريق عودتهما إلى الأنفاق قال دونوفان بتجهم: «لقد ظل سبيدي يتحرك على هذا الجانب من بركة السّلنيوم منذ لاحقناه. هل لاحظته؟».

«نعم».

«أظن أنه يريد اللعب. حسنًا، سوف نلعب معه!».

عاد الاثنان بعد عدة ساعات، ومع كل منهما جرة بها ثلاثة لترات من المادة الكيميائية البيضاء ووجهاهما عابسان؛ فقد كانت بنوك الخلايا الضوئية تتدهور أسرع مما كان متوقعًا. وجَّه كل منهما الروبوت الخاص به في صمت وإصرار شديد إلى ضوء الشمس في اتجاه سبيدي الذي كان يقف بانتظارهما.

هرول سبيدي باتجاههما قائلًا: «ها نحن مرة أخرى. مرحى! لقد أعددت قائمة صغيرة، عازف الأرغن، كل الناس الذين يأكلون النعناع وينفثونه في وجهك».

غمغم دونوفان: «سوف نطلق شيئًا على وجهك *أنت*»، ثم استطرد: «إنه يعرج يا جريج».

ردَّ عليه رفيقه بنبرةٍ منخفضة قلقة «لاحظت ذلك. سوف يؤثر أول أكسيد الكربون عليه أكثر إذا لم نُسرِع».

وبدأ في الاقتراب بحذرٍ وهما يكادان يسيران بجنبيهما لتفادي حث الروبوت المجنون على التحرك. وكان باول يكاد يُقسِم - بالرغم من أنه كان بعيدًا جدًّا؛ ليتأكد عن يقين بالطبع - أن سبيدي المخبول كان يستعد للانطلاق.

فقال لاهثًا بسرعة: «فلنقذفها، ولتعدَّ حتى ثلاثة! واحد- اثنان»

انسحبت الذراعان الحديديتان إلى الخلف ثم اندفعتا إلى الأمام في اللحظة نفسها، ودارت في الهواء جرتان زجاجيتان انطلقتا إلى الأمام في قوسين عاليين متوازيين، فومضتا كماستين تحت الشمس التي لا تطاق، ثم ارتطمت الجرتان بالأرض في انفجار صامت خلف سبيدي وصارتا حطامًا انبعث منه حامض الأوكساليك يطير كالتراب.

وفي وسط هذه الحرارة الشديدة التي كانت تبعثها شمس عُطارِد علم باول أن الحامض يفور الآن كماء الصودا.

استدار سبيدي ليحملق ثم تراجع ببطء.. وزاد من سرعة خطواته بالنمط البطيء نفسه، ثم، وفي غضون خمس عشرة ثانية، كان يخب قافزًا بغير اتزان في اتجاه البشريين مباشرة.

لم يسمع باول كلمات سبيدي في تلك اللحظة، على الرغم من أنه التقط شيئًا شبيهًا بعبارة «اعترافات المحب عندما يُعبِّر عنها الهيسيون»[1].

فاستدار مبتعدًا وهو يقول: «هيا نعُد إلى الجُرف يا مايك. لقد خرج من تلك الساقية وسوف يتلقى الأوامر الآن. لقد بدأت أشعر بالسخونة».

فتحركا نحو الظل بالسرعة الرتيبة البطيئة للروبوتات التي يركبونها، ولم ينظر دونوفان خلفه إلا بعد أن دخلا في الظل وشعرا بالبرودة المفاجئة تتغمدهما بنعومة.

- «جريج!».

نظر باول وكاد يصرخ. كان سبيدي يتحرك ببطء - ببطء شديد - وفي *الاتجاه الخطأ*. كان ينجرف عائدًا إلى الساقية، وكان يزيد من سرعته، وكان يبدو من خلال المنظار قريبًا جدًّا، ولكن لا يمكن الوصول إليه أبدًا.

(1) الهيسي: أحد مواطني هس (ولاية ألمانية).

صاح دونوفان بشدة: «وراءه!» وضرب الروبوت الخاص به ليأخذ سرعته، ولكن باول ناداه.

تململ باول على كتفي الروبوت بعصبيةٍ وضم قبضته بعجز شديد قائلًا: «لن تمسك به يا مايك - لا جدوى من ذلك. لَم أرى بحق الجحيم هذه الأشياء بعد حدوثها بخمس ثوانٍ؟ مايك لقد أهدرنا ساعات طويلة».

قال دونوفان ببرود: «نحن بحاجة إلى المزيد من حامض الأوكساليك. لم يكن التركيز عاليًا بما يكفي».

- «سبعة أطنان منه لم تكن لتكفي.. كما أنه ليس لدينا الساعات اللازمة لإحضاره، حتى وإن كان سيجدي، بينما أول أكسيد الكربون يأكله الآن. هل رأيت ما حدث يا مايك؟».

أجابه دونوفان بهدوء: «لا».

«كنا فقط نحاول خلق توازنات جديدة. عندما نُعِدُّ أول أكسيد الكربون ونزيد من احتمالية القانون الثالث يتراجع هو حتى يصبح في وضع التوازن ثانية - وعندما انجرف أول أكسيد الكربون بعيدًا تقدم، فحدث توازن مرة أخرى».

بدا صوت باول بائسًا تمامًا وهو يقول: «إنها المراوغة القديمة نفسها. يمكننا رفع درجة القانون الثاني وتقليل القانون الثالث ولن نصل إلى أي شيء.. كل ما نستطيعه هو فقط تغيير نقطة التوازن. علينا تخطي القانونين». ثم اقترب بالروبوت الخاص به من روبوت دونوفان حتى أصبحا جالسين وجهًا لوجه وبدا كظلّين باهتين وسط الظلام، ثم همس قائلًا: «مايك!».

«أهي النهاية؟» - قالها الآخر ببرود - «أقترح أن نعود إلى المحطة، وننتظر توقف الخلايا الضوئية عن العمل، ثم نتصافح، ونأخذ السِّيانيد، ونرحل كالرجال المحترمين». ثم ضحك ضحكة قصيرة.

كرر باول بإصرار: «مايك، علينا أن نُرجِع سبيدي».

- «أعرف».

- مايك» .. ناداه باول مرة أخرى، وتردد قبل أن يكمل: «هناك دومًا القانون الأول. لقد فكرت فيه - في وقت سابق - ولكنها محاولة يائسة».

رفع دونوفان ناظريه، وقال وقد عادت الحيوية إلى صوته: «إننا يائسان».

- «حسنًا، وفقًا للقانون الأول، لا يمكن لأي روبوت أن يترك إنسانًا يتعرض

للخطر لعدم اتخاذه التصرف اللازم، ولا يمكن للقانونين الثاني والثالث التعارض مع هذا. لا يمكنهما يا مايك».

- «حتى وإن كان الروبوت شبه مجنـ..؟ حسنًا، إنه ثمل. أنت تعلم هذا».

- «الأمر يتوقف على حجم المجازفة».

- «باختصار، ماذا ستفعل؟».

- «سوف أخرج الآن وأرى ماذا سيفعل القانون الأول. فإذا لم يغلب هو هذا التوازن، إذن؛ فماذا قد يحقق ذلك - إما الآن أو بعد ثلاثة أو أربعة أيام».

- «تمهل يا جريج. هناك قوانين تحكم السلوك البشري أيضًا. لا يمكنك الخروج بهذه البساطة، فلتقم بعمل قرعة، وتعطيني فرصتي».

«حسنًا. من يحسب مكعب الرقم أربعة عشر أولًا يذهب» ثم وعلى الفور تقريبًا: «ألفان وسبعمائة وأربعة وأربعون!».

شعر دونوفان بالروبوت الخاص به يترنح على إثر دفعة مفاجئة من روبوت باول، ثم انطلق باول تحت ضوء الشمس. فتح دونوفان فاه ليصرخ، ثم أطبقه. لا شك أن الأحمق قد حسب مكعب أربعة عشر سلفًا وعمدًا. تصرف ليس غريبًا عليه.

كانت الشمس أشد حرارةً من أي وقت مضى، فشعر باول بحكة جنونية أسفل ظهره. قد يكون ذلك خياله، أو ربما بدأ الإشعاع في التأثير بالفعل خلال البذلة.

كان سبيدي يراقبه دون أن ينطق بكلمة من هذيان جيلبرت وسوليفان على سبيل التحية. حمدًا لله على هذا! ولكنه لا يجرؤ على الاقتراب.

كان على بُعد ثلاثمائة ياردة عندما بدأ سبيدي في التراجع خطوة خطوة وبحذر، وتوقف باول وقفز من فوق كتفي الروبوت الخاص به واستقر على الأرض البلورية بضربة خفيفة تطايرت معها بعض الشظايا المثلَّمة.

وتقدم مترجلًا على الأرض الرملية الزلقة بالنسبة لخطواته وقد صعَّبَت الجاذبية المنخفضة عليه حركته. شعر بوخز دافئ في باطن قدميه، ثم ألقى نظرة خاطفة من فوق كتفه على عتمة ظل الجُرف فأدرك أنه ابتعد بقدر أصبح معه الرجوع مستحيلًا، سواء وحده أو بمساعدة روبوته العتيق؛ إما أن يكون سبيدي شيئًا، وإما لا يكون شيئًا الآن، فشعر بانقباض في صدره عند إدراكه هذه الحقيقة.

توقف على البعد المناسب.

ونادى: «سبيدي، سبيدي!».

تردد الروبوت الرشيق العصري الذي كان يقف أمامه وكفَّ عن التراجع، ثم واصله مرة أخرى.

حاول باول إدخال نبرة من التوسل على صوته، ولكن وجدها لا تجدي كثيرًا، فقال: «سبيدي، يجب أن أعـود إلى الظـل وإلا قتلتني الشمـس، إنها مسـألة حيـاة أو موت يا سبيدي. أنا بحاجة إليك».

تقدم سبيدي خطوة واحدة إلى الأمام ثم توقف، وتحدث، ولكن باول أنَّ عندما سمع صوته؛ فقد كان يقول: «عندما تكون مستلقيًا وتعاني من صداع مؤلم وتكون الراحة محرمة عليك...» ثم أصبح صوته أهدأ، واستغرق باول بعض الوقت لسبب ما ليغمغم قائلًا: «أيولانثي»[1].

كان الحر قد أصبح حارقًا! لاحظ باول حركةً ما بطرف عينه، فاستدار وهو يترنح، ثم حدَّق بعينيه بدهشة تامة، فقد كان الروبوت الضخم الذي كان يمتطيه يتحرك - يتحرك في اتجاهه، وبدون راكب.

كان يقول: «اعذرني سيدي. يجب ألا أتحرك دون أن يكون هناك سيدٌ يمتطيني، ولكنك في خطر».

بالطبع كانت احتمالية القانون الأول تطغى على كل شيء، ولكنه لم يكن يريد هذا الأخرق العتيق، بل كان يريد سبيدي، فابتعد وتحرك بفزع: «آمرك أن تبقى بعيدًا. *آمرك* أن تتوقف!».

لم يكن ذلك يجدي. لا يمكن التغلب على احتمالية القانون الأول، وقال الروبوت بغباء: «أنت في خطر يا سيدي».

نظر باول حوله في يأس. لم يكن قادرًا على الرؤية بوضوح، وكان يشعر بدوار شديد في رأسه، ونفسه يحترق مع كل نَفَس، بينما أصبحت الأرض من حوله تومض كالسراب.

نادى مرة أخيرة بيأس: «سبيدي! أنا أموت، عليك اللعنة! أين أنت؟ سبيدي، أنا بحاجة إليك».

كان لا يزال يتراجع متعثرًا في محاولة يائسة للهرب من الروبوت العملاق الذي

---

(1) اسم مسرحية لجيلبرت وسوليفان اقتبس منها سبيدي عبارته الأخيرة.

لم يكن يريده، عندما شعر بأصابع فولاذية على ذراعيه، وصوت قَلِق ذي جرْس معدني على أذنيه يعتذر.

«يا للهول يا سيدي! ماذا تفعل هنا؟ وماذا أفعل *أنا* ...؟ إنني مرتبك جدًّا».

غمغم باول بضعف: «لا عليك، خذني إلى ظل الجُرُف - وأسرِع!». لم يشعر باول بعدها إلا بنفسه وهو يُرفَع في الهواء وبحركة سريعة وحرارة حارقة ثم فقد وعيه.

أفاق ليجد دونوفان مائلًا فوقه وهو يبتسم بلهفة: «كيف حالك يا جريج؟».

فأجابه: «بخير! أين سبيدي؟».

"هنا. لقد أرسلته إلى أحد برك السِلنيوم الأخرى - بأوامر أن يُحضِر السِّلنيوم بأي ثمن هذه المرة، وقد أحضره خلال اثنتين وأربعين دقيقة وثلاث ثوانٍ. لقد حسبت له الوقت. إنه لم يفرغ بعد من الاعتذار عن المراوغة التي جعلنا نعانيها. كما أنه يخشى الاقتراب منك خوفا مما ستقوله».

فقال باول بلهجة آمرة: «أحضره إلى هنا، لم يكن ذلك خطأه». ومد يده وجذب كف سبيدي المعدنية: «لا بأس يا سبيدي»، ثم توجه بالحديث إلى دونوفان قائلًا: «أتعرف يا مايك، لقد كنت أفكر آنفًا».

- «فيمَ؟».

مسح باول وجهه بيده .. كان الهواء البارد منعشًا: «هل تعرف أنهم سيرسلوننا، عندما ننتهي من إعداد كل شيء هنا ونبدأ في إخضاع سبيدي لاختباراته الميدانية، إلى المحطات الفضائية؟».

- «لا!».

- «نعم! على الأقل هذا هو ما أخبرتني به السيدة كالفن العجوز قبل رحيلنا مباشرة، ولم أقل أي شيء عن الأمر لأني كنت سأقاوم الفكرة كلها».

صاح دونوفان: «تقاومها؟ ولكن...».

- «أعرف. لا مانع لديَّ الآن. مائتان وثلاث وسبعون درجة تحت الصفر، ألن يكون هذا ممتعًا؟».

فقال دونوفان: «أيتها المحطات الفضائية، هأنذا آتٍ إليكِ».

التفكير المنطقي

بعد مرور ستة أشهر غيَّر الرجلان رأيهما؛ كان لهيب الشمس العملاقة قد اختفى ليحل محله ظلام الفضاء الناعم، إلا أن مثل هذه التغيرات الخارجية لا تعني الكثير في مجال فحص أعمال الروبوتات التجريبية؛ فأيًّا كانت الظروف يجد المرء نفسه وجهًا لوجه مع العقل البوزيتروني المبهم الذي يقول العباقرة إنه يستطيع أن يفعل هذا وذاك.

بيد أنهم لا يقومون بذلك، وهو ما اكتشفه باول ودونوفان بعد مرور أقل من أسبوعين على وجودهما في المحطة.

سكت جريجوري باول بين كل كلمة وأخرى للتأكيد عليها وهو يقول: «لقد قمنا أنا ودونوفان بتجميعك منذ أسبوع»، ثم عقد حاجبيه بشدة وجذب طرف شاربه البني.

كان الهدوء يسود مكتب المدير في المحطة الشمسية رقم 5 – فيما عدا الصوت المكتوم الهادئ لجهاز توجيه الأشعة الضخم في مكان ما بالأسفل.

جلس الروبوت كيو تي1– ساكنًا بلا حراك، وصفائح جسمه المصقولة تلمع باللوكسايتس وعيناه المكونتان من خلايا كهروضوئية متوهجة باللون الأحمر مثبتتان على الرجل الجالس على الجانب الآخر من الطاولة.

كتم باول نوبة عصبية مفاجئة داخله؛ فهذه الروبوتات لها عقول من نوع خاص. بالطبع كانت تعمل وفق قوانين الروبوتات الثلاثة، وكان لابُد من ذلك. ويؤكد جميع العاملين في شركة يو إس روبوتس بدءًا من روبرتسون نفسه وصولًا إلى ماسح الأرضيات الجديد على أن كيو تي1– روبوت آمن. غير أن طرز كيو تي كانت الأولى من نوعها، وكان هذا الروبوت هو طليعتها. وهنا نقول إن المعادلات الرياضية المكتوبة بعجلة على الأوراق ليست دومًا هي الحماية الفضلى في مواجهة الحقائق المتعلقة بالروبوتات.

أخيرًا تحدث الروبوت، وحمل صوته الجَرْس البارد مثل الذي لا ينفصل عن قرص السماعة: «هل تدرك مدى خطورة ما تقول يا باول؟».

فأوضح باول: «لا بُد أن *أحدهم* قد صنعك يا كيوتي. أنت بنفسك تعترف أن ذاكرتك تبدو كما لو أنها ظهرت من العدم فجأة مكتملة النمو منذ أسبوع واحد فقط، أنا أفسر لك الأمر؛ أنا ودونوفان قمنا بتجميعك من الأجزاء التي تم شحنها إلينا».

حدَّق كيوتي بأصابعه الطويلة اللينة في حيرة بشرية غريبة قائلًا: «يخطر لي أنه يجب أن يكون هناك تفسير أكثر إقناعًا من هذا؛ فأن تكون *أنت* من صنعني *أنا* فهذا أمر بعيد الاحتمال».

ضحك الرجل الأرضيّ فجأة: «لماذا بحق السماء؟».

- «سمِّه حَدْسًا؛ هذا هو كل ما في الأمر حتى الآن، ولكنني أنوي التفكير في ذلك بشكلٍ منطقي، فسلسلة التفكير المنطقي السليم لا تنتهي إلا إلى الحقيقة، وسوف ألتزم بها حتى أصل إلى هدفي».

نهض باول وجلس على الحافة المجاورة للروبوت من الطاولة، وشعر بتعاطف قوي ومفاجئ مع هذه الآلة الغريبة؛ فهي لم تكن كأي روبوت عادي يقوم بالمهمة المكلف بها في المحطة بتركيز مسار بوزيترونى مترسخ فيه بعمق.

ووضع إحدى يديه على كتف كيوتي الحديدية التي كان ملمسها باردًا وصلبًا.

وقال: «كيوتي، سأحاول أن أشرح لك أمرًا، أنت الروبوت الوحيد الذي أبدى فضولًا بخصوص وجوده هو شخصيًا.. كما أعتقد أنك الأول الذي يمتلك ذكاءً كافيًا لفهم العالم الخارجي. تعال معي».

وقف الروبوت منتصبًا بسهولة ولم تُحدِث قدماه المبطنتان بطبقة سميكة من المطاط الإسفنجي أي صوت وهو يتبع باول. لمس الرجل الأرضيٍّ زرًّا فتنحى جزء مربع من الحائط جانبًا، ومن خلف الزجاج الشفاف السميك ظهر الفضاء بنجومه المتناثرة.

قال كيوتي: «لقد رأيت هذا من قبل بمنافذ الملاحظة في غرفة المحركات».

فأجابه باول: «أعرف. ماذا يكون في رأيك؟».

- «كما يبدو بالضبط.. مادة سوداء خلف هذا الزجاج مباشرة مرسوم عليها

نقاط صغيرة مضيئة، وأعرف أن جهاز التوجيه يرسل حُزمًا من الأشعة إلى بعض هذه النقاط، إلى النقاط نفسها دومًا.. وأعرف كذلك أن هذه النقاط تنتقل وأن الأشعة تنتقل معها. هذا كل شيء».

«جيد! أريدك الآن أن تستمع بانتباه. هذا السواد عبارة عن فراغ، فراغ عظيم يمتد إلى ما لانهاية، والنقاط الصغيرة المضيئة هي كتل ضخمة مكونة من مواد مليئة بالطاقة، وهي عبارة عن أجرام، بعضها قطره يبلغ ملايين الأميال، وهذه المحطة بالمقارنة لا يزيد قطرها على ميل واحد. وهذه الأجرام تبدو في غاية الضآلة؛ لأنها بعيدة جدًّا.

«النقاط التي نوجه إليها أشعة الطاقة أقرب وأصغر بكثير، كما أنها باردة وصلبة ويعيش على أسطحها بشريون مثلي.. المليارات من البشر. أنا ودونوفان جئنا من أحد هذه العوالم. والأشعة التي نرسلها تغذي هذه العوالم بطاقة مأخوذة من أحد الأجرام الضخمة المتوهجة التي تصادف وجودها بالقرب منا. ونحن نطلق على هذا الجرم اسم الشمس، وهو موجود على الجانب الآخر من المحطة، حيث لا يمكنك رؤيته».

ظلَّ كيوتي ساكنًا أمام المَنفَذ كتمثال حديدي، ولم يُدِر رأسه وهو يقول: «أي نقطة بالضبط تلك التي تدَّعي أنك جئت منها؟».

بحث باول ثم قال «ها هي. النقطة شديدة السطوع في الركن. نحن نطلق عليها اسم الأرض»، ثم ابتسم وهو يقول: «الأرض العريقة الطيبة. يوجد ثلاثة مليارات شخص يعيشون هناك يا كيوتي.. وسوف أعود إليهم خلال أسبوعين».

وللعجب الشديد، همهم كيوتي بعدها بشرود، ولم يكن لهمهمته نبرة معينة، ولكنها كانت تحوي رنة غريبة تشبه رنين الأوتار. ثم انقطعت فجأة كما بدأت حين قال: «ولكن من أين أتيت أنا يا باول؟ أنت لم تفسر لي وجودي أنا».

- «البقية بسيطة. عندما تم تأسيس هذه المحطات في البداية لتوفير الطاقة الشمسية للكواكب، كان البشر هم الذين يديرونها، ولكن الحرارة والإشعاعات الشمسية القوية وعواصف الإلكترونات كلها جعلت المهمة صعبة؛ لذا تم تطوير الروبوتات لتحل محل البشر، والآن لا تحتاج كل محطة إلا لشخصين تنفيذيين،

ونحن نحاول حتى استبدال هذين الاثنين، وهنا يأتي دورك. أنت أعلى فئة من الروبوتات التي تم تطويرها على الإطلاق، وإذا أثبتَّ قدرتك على إدارة هذه المحطة وحدك، فلن تكون هناك حاجة لمجيء أي بشري إلى هنا ثانية إلا لإحضار قطع الغيار للصيانة».

رفع باول يده وأعاد غطاء الرؤية الحديدي إلى مكانه مرة أخرى، ثم رجع إلى الطاولة ومسح إحدى التفاحات في كمه قبل أن يقضمها.

استقر عليه الوهج الأحمر لعيني الروبوت الذي قال ببطء: «هل تتوقع مني أن أصدق مثل هذه الفرضية المعقدة غير المعقولة التي أوضحتها لتوِّك؟ ماذا تظنني برأيك؟».

لفظ باول قطع التفاح على الطاولة واحمر وجهه وهو يقول: «تبًّا لك، لم تكن تلك فرضية، بل حقائق واقعة».

قال كيوتي بصوت بدا عليه الإحباط: «أجرام من الطاقة على بعد ملايين الأميال! عوالم يعيش بها ثلاثة مليارات من البشر! فراغ لا نهاية له! اعذرني يا باول، ولكني لا أصدق ذلك. سوف أتوصل لتفسير هذا الأمر بنفسي.. وداعًا».

ثم استدار وخرج من الغرفة، ومرَّ بمايكل دونوفان على عتبة الباب أثناء خروجه فحيَّاه بإيماءة وقور، وتقدم في الممر دون انتباه لنظرة الذهول التي تبعته.

مسح مايك دونوفان شعره الأحمر ونظر في ضيق إلى باول متسائلًا: «عمَّ كان يتحدث مقلب القمامة المتحرك؟ وما هذا الذي لا يصدقه؟».

فجذب الآخر شاربه وهو يقول بمرارة: «إنه شكاك. لا يصدق أننا صنعناه ولا أن الأرض موجودة أو الفضاء أو النجوم».

«يا إلهي! لدينا روبوت مجنون إذن».

«يقول إنه سيكتشف الأمر وحده».

فقال دونوفان بلطف: «حسنًا، أتمنى أن يتنازل ويشرح لي الأمر كاملًا بعد أن يكتشف كل شيء».

ثم أردف بغضب مفاجئ: «اسمع! إذا تحدث *إليَّ* صندوق الحديد هذا بوقاحة فسوف أقطع رأسه المعدني هذا من فوق جسده».

ثم جلس بعنف وأخرج من جيب سترته الداخلية رواية بوليسية ورقية الغلاف

وأردف قائلًا: «هذا الروبوت يصيبني بالعصبية بأية حال.. فضولي أكثر من اللازم!».

همهم مايك دونوفان بشيء غير مفهوم، وقد وضع أمامه شطيرة كبيرة من الخس والطماطم في حين طرق كيوتي الباب برفق ودخل.

- «هل باول موجود؟».

قال دونوفان بصوت مكتوم وهو يمضغ الطعام: «إنه يجمع بيانات حول وظائف التيار الإلكتروني، يبدو أننا مقبلون على عاصفة».

في هذه اللحظة دخل جريجوري باول الغرفة، وعيناه على أوراق بين يديه بها رسوم بيانية وألقى بنفسه على الكرسي، بسط باول الأوراق أمامه وبدأ يخط بعض الحسابات، فحدق دونوفان من فوق كتفه وهو يمضغ الخس وتقع منه فتات الخبز. ووقف كيوتي ينتظر في صمت.

رفع باول عينيه قائلًا: «احتمال شحنة الزيتا يرتفع، ولكن ببطء، وبالمثل وظائف التيار غير منتظمة ولا أعرف ماذا أتوقع. آه، أهلًا كيوتي. لقد ظننت أنك تشرف على تثبيت قضيب القيادة الجديد».

رد الروبوت بهدوء: «لقد انتهيت؛ لذا أتيت لأتحدث إليكما».

بدا على باول عدم الارتياح وقال: «حسنًا، تفضل بالجلوس. لا، ليس على هذا الكرسي. إحدى أرجله ضعيفة وأنت لست خفيف الوزن».

فعل الروبوت كما أمره ثم قال بهدوء: «لقد توصلت إلى قرار».

حدق دونوفان به مندهشًا ووضع ما تبقى من شطيرته جانبًا، وقال: «إذا كان الأمر ينطوي على أيٍّ من ذلك السُّخف..» .

فتحرك باول بنفاد صبر يطلب منه الصمت: «تفضل يا كيوتي. كلنا آذان صاغية».

- «لقد قضيت اليومين الماضيين في تأمل، والنتائج التي توصلت إليها مثيرة جدًّا للاهتمام، وقد بدأت بالشيء المؤكد الوحيد الذي شعرت أني قادر على افتراضه؛ ألا وهو أني شخصيًّا موجود لأني أفكر..»..

زمجر باول: «يا إلهي! روبوت ديكارتي!».

«من ديكارت؟» سأل دونوفان ثم استطرد: «اسمع، هل نحن مضطرون إلى الجلوس وسماع هذا الهراء الآلي؟».

- «اصمت يا مايك!».

تابع كيوتي برباطة جأش: «وكان السؤال الذي فرض نفسه بعد ذلك مباشرة هو ما سبب وجودي؟».

فغر باول فاه وقال: «أنت تتصرف بحماقة. لقد أخبرتك من قبل أننا صنعناك».

وأضاف دونوفان: «إذا كنت لا تصدقنا فسنقوم بتفكيكك بكل سرور!».

بسط الروبوت يديه القويتين في إشارة استنكار: «أنا لا أقبل أي شيء بناءً على تأكيدات بلا دليل. أي فرضية يجب أن تكون مدعومة بأدلة منطقية، وإلا فهي بلا قيمة.. وأن تكونا أنتما من صنعني، فهذا أمر يتعارض مع كل ما يمليه المنطق».

وضع باول ذراعه على قبضة دونوفان التي ضمَّها فجأة ليمنعه من استخدامها وقال: «لِمَ تقول ذلك؟».

فضحك كيوتي، وكانت ضحكته أبعد ما تكون عن الضحكة البشرية، بل كان أكثر الأصوات التي أصدرها حتى تلك اللحظة ذا طبيعة آلية؛ فقد كانت حادة وتشبه الانفجار، ورتيبة كالبندول ومثله تمامًا لا يتغير إيقاعها.

ثم قال أخيرًا: «انظرا إلى أنفسكما، ولا أقصد الإهانة، لكن انظرا إلى أنفسكما! المادة التي صُنِعتُما منها ناعمة ولدنة، تفتقر إلى المتانة والقوة، وتعتمدان في الحصول على الطاقة على عملية أكسدة غير فعالة لمادة عضوية.. كهذه». وأشار بإصبعه باستنكار إلى بقايا شطيرة دونوفان، ثم تابع قائلًا: «وتدخلان بصفة دورية في غيبوبة، إلى جانب أن أقل تغير في درجة الحرارة أو ضغط الهواء أو الرطوبة أو تركيز الإشعاع يضعف كفاءتكما. أنتما مجرد *بديل مؤقت*».

- «أما أنا فمنتج نهائي؛ حيث أمتص الطاقة الكهربية مباشرة وأستخدمها بكفاءة تامة تقريبًا، كما أنني مصنوع من معدن قوي، ومستيقظ طوال الوقت، وأستطيع تحمل أصعب الأحوال البيئية بسهولة. كل هذه حقائق تقوِّض فرضيتكما السخيفة تمامًا إذا ما وُضِعَت بجانب الافتراض الذي لا يحتاج لإثبات أنه لا يمكن أن يقوم أي كائن بصنع كائن آخر أفضل منه».

ارتفع صوت دونوفان باللعنات وهو ينهض واقفًا على قدميه، وقد عقد حاجبيه الأصفرين: «حسنًا يا سليل الحديد الخردة، إن لم نكن نحن الذين صنعناك، فمن الذي صنعك؟».

أوما كيوتي بحدة: «جيد جدًا يا دونوفان. هذا هو بالفعل السؤال التالي. لا شك أن صانعي يجب أن يكون أقوى منّي؛ لذا لم يكن هناك سوى احتمال وحيد».

بدا الرجلان الأرضيان مشدوهيْن في حين تابع كيوتي: «ما مركز الأنشطة هنا في المحطة؟ ما الذي نخدمه جميعًا؟ ما الشيء الذي يحظى باهتمامنا جميعًا؟» ثم انتظر بترقب.

أدار دونوفان نظره في استغراب إلى رفيقه وهو يقول: «أراهن أن هذا الأحمق المطلي بالقصدير يتحدث عن محوِّل الطاقة نفسه».

ابتسم باول: «أهذا صحيح يا كيوتي؟».

- «أنا أتحدث عن الزعيم» .. جاءتهما الإجابة باردة وقاطعة.

كانت تلك بمثابة الإشارة لضحكة هادرة من دونوفان، حتى باول لم يستطع منع نفسه من ضحكة شبه مكتومة.

انتصب كيوتي على قدميه ونقل عينيه بين الرجلين: «هذا هو الأمر بالضبط، ولا أتعجب أنكما ترفضان التصديق. لن تبقيا هنا طويلًا، وأنا متأكد من ذلك، فقد قال باول بنفسه إن البشر وحدهم كانوا يخدمون الزعيم في بداية الأمر، ثم حلت محلهم الروبوتات في تأدية الأعمال الروتينية، وأخيرًا جئت أنا لتولي المهام التنفيذية. هذه الحقائق صحيحة بلا شك، ولكن التفسير غير منطقي بالمرة. أتريدان معرفة الحقيقة وراء كل ذلك؟».

- «تفضل يا كيوتي. أنت مُسَلٍ».

- «لقد صنع الزعيم البشر أولًا كالأدنى في المرتبة، والأسهل في التصنيع على الإطلاق، ثم استبدل بهم الروبوتات تدريجيًّا، وهم المستوى الأعلى. وأخيرًا صنعني أنا، لأحل محل آخر البشر. من الآن فصاعدًا *أنا* سأخدم الزعيم».

فقال باول بحدة: «لن تقوم بأي شيء من هذا القبيل. سوف تطيع أوامرنا بهدوء، حتى نتأكد تمامًا من أنك قادر على تشغيل المُحوِّل. هل فهمت؟! *المُحوِّل*.. وليس الزعيم، وإن لم يرضنا أداؤك فسوف يتم تفكيكك. أما الآن فتستطيع الخروج إن لم يكن لديك مانع، وخذ معك هذه البيانات، وقم بحفظها بشكل صحيح».

أخذ كيوتي الرسومات التي أعطيت له وغادر دون أن ينطق بكلمة أخرى. تراجع دونوفان في مقعده بثقل، ومرر أصابعه السميكة خلال شعره.

- «سنواجه متاعب مع هذا الروبوت. إنه مجنون تمامًا!».

كان صوت الطنين الناعس للمُحوِّل أعلى في غرفة التحكم ومختلطًا بصوت عدادات جايجر، بالإضافة إلى الذبذبة غير المنتظمة لنحو ست لمبات إشارة صغيرة.

أبعد دونوفان عينه عن التلسكوب وأضاء اللوكسايتس وقال: «تقاطَع شعاع المحطة رقم 4 مع المريخ في موعده. يمكننا قطع شعاعنا الآن».

فأومأ له باول برأسه في شرود: «كيوتي موجود أسفل في غرفة المحركات. سوف أضيء الإشارة ويمكنه الاهتمام بالأمر. انظر يا مايك، ما رأيك في هذه الأرقام؟».

ألقى الآخر نظرة عليهم ثم أطلق صفيرًا: «يا فتى، هذا هو ما أسميه كثافة أشعة جاما. الشمس العجوز تستشعر قوتها».

رد عليه بتجهم: «نعم»، وأضاف: «حسنًا، ونحن في وضع سيئ لا يسمح لنا بمواجهة عاصفة إلكترونات، وشعاعنا الموجه إلى الأرض في مساره المحتمل بالضبط». ثم دفع مقعده بعيدًا عن الطاولة بغضب: «هذا جنون! ليتها تتوقف حتى تصل سفينة الاستبدال، ولكن هذا لن يحدث قبل عشرة أيام كاملة. مايك، هلا نزلت وتابعت كيوتي من فضلك؟».

«حسنًا، ألقِ إليَّ بعضًا من هذا اللوز»، ثم التقط الكيس الذي ألقاه إليه واتجه نحو المصعد.

هبط المصعد بسلاسة إلى الأسفل، وانفتح بابه على ممر ضيق داخل غرفة المحركات العملاق.، مال دونوفان على الدرابزين ونظر إلى أسفل. كانت المولدات الكبيرة تعمل، وأتاه من أنابيب على شكل حرف «L» الطنين المنخفض المنتشر في أرجاء المحطة بأكملها.

واستطاع رؤية جسم كيوتي الكبير اللامع عند أنابيب حرف «L» المريخية وهو يتابع عن كثب بينما يعمل فريق الروبوتات بانسجام تام.

تصلب دونوفان بعد ذلك؛ حيث اصطفت الروبوتات التي بدت كالأقزام مقارنة بأنابيب على شكل حرف «L» العملاقة وقد أحنوا رءوسهم بزاوية حادة للغاية، بينما كان كيوتي يسير ببطء إلى الأمام والخلف بطول الصف. وبعد مرور خمس عشرة ثانية ركعوا على ركبهم محدثين صوت قعقعة يعلو فوق صوت الخرخرة الصاخب الذي يغمر أرجاء المكان.

صرخ دونوفان ونزل عَدْوًا على درجات السلم، وانقض عليهم وقد أصبح وجهه مثل لون شعره وأطبق قبضته وهو يضرب الهواء بحنق.

«مـا هـذا أيتهـا الكتـل الغبـيـة؟ هيا! فكـكـوا هذه الأنـبـوبـة! إذا لم تفككوها وتنظفـوها وتعيــدوا تركيبها مـرة أخـرى قبل انـتـهاء اليوم فسوف أجلِّط عقولكم بتيار متناوب».

ولكن لم يتحرك أي روبوت!

حتى كيوتي - الوحيد الذي كان لا يزال واقفًا على قدميه في المؤخرة - ظل صامتًا وعيناه مثبتتان على التجاويف المظلمة للآلة الضخمة أمامه.

دفع دونوفان أقرب الروبوتات إليه بقوة.

زمجر آمرًا: «انهض!».

أطاع الروبوت الأمر ببطء، وعيناه الكهروضوئيتان تركزان بتأنيب على الرجل.

ثم قال: «لا زعيم إلا الزعيم، وكيوتي1 - رسوله».

- «ماذا؟». هنا لاحظ دونوفان الأزواج العشرين من أزواج الأعين الميكانيكية المعلقة به والأصوات العشرين القوية وهي تقول بقدسية:

«لا زعيم إلا الزعيم، وكيوتي1 - رسوله!».

عندئذ تدخل كيوتي بنفسه قائلًا: «أخشى أن يطيع أصدقائي هنا سلطة أعلى منك الآن».

- «اللعنة على ما يفعلون! وأنت اخرج من هنا. سوف أتعامل معك فيما بعد، ومع هذه الآلات المتحركة الآن».

هز كيوتي رأسه الثقيل ببطء: «أنا آسف، ولكنك لا تفهم. هذه روبوتات - أي أنها كائنات مُفكِّرة، وهم يعرفون الزعيم الآن بعد أن بشَّرْتهم بالحقيقة. جميع الروبوتات يعرفون، وهم ينادونني بالرسول». ثم تدلى رأسه وهو يقول: «أنا غير جدير بهذا.. ولكن ربما..».

التقط دونوفان أنفاسه وبدأ يستغلها في التحدث: «حقًّا؟ أليس هذا طريفًا؟ أليس هذا رائعًا؟ دعني أخبرك بشيء أيها القرد النحاسي. ليس هناك زعيم، وليس

هناك رسول، وليس هناك جدال حول من يصدر الأوامر هنا. هل تفهم؟». ثم تحول صوته إلى ما يشبه الزئير وهو يصرخ: «اخرج من هنا الآن!».

- «أنا لا أطيع إلا الزعيم».

- «اللعنة على الزعيم!». ثم بصق دونوفان على الأنبوبة: «*هذا* من أجل الزعيم! افعل ما آمرك به!».

لم يقل كيوتي أي شيء، وكذلك بقية الروبوتات، ولكن دونوفان شعر بتصاعد حدة التوتر بشكل مفاجئ؛ حيث زادت الأعين الباردة المحدقة إليه من درجة لونها القرمزي، وبدا كيوتي أقسى من أي وقت مضى.

«هذا تدنيس للمقدسات» قالها - همسًا - بصوت معدني تشوبه عاطفة.

ويدأ دونوفان يشعر بأولى لمسات الخوف مع اقتراب كيوتي منه، فالروبوتات لا يمكنها *الشعور بالغضب*.. ولكن كان من المستحيل سبر غور عيني كيوتي.

قال الروبوت: «آسف يا دونوفان، ولكن لا يمكنك البقاء هنا بعدما فعلت. من الآن فصاعدًا أنت وباول ممنوعان من دخول غرفة التحكم وغرفة المحركات».

ثم أشار بيده بهدوء وخلال لحظة واحدة قام روبوتان بتثبيت ذراعي دونوفان إلى جانبه.

شهق دونوفان بفزع، وهو يشعر بنفسه يُرفَع عن الأرض ويُحمَل فوق السلالم بسرعة تزيد على سرعة الحصان.

تحرك جريجوري باول بسرعة جيئة وذهابًا في غرفة المدير وقد طوى قبضته، وألقى نظرة إحباط حانقة على الباب المغلق وقطب جبينه بمرارة في وجه دونوفان: «لِمَ بصقت على الأنبوبة».

غَاص مايك دونوفان في مقعده وضرب على مسنديه بعنف وهو يقول: «ماذا كنت تتوقع مني أن أفعل بخيال المآتة المكهرب هذا؟ أنا لن أخضع لأي شيء مكون من أجزاء ركبتها أنا بنفسي».

ردَّ عليه بحنق: «لا، ولكن ها أنت ذا في غرفة المدير، وهناك روبوتان يقفان على الباب لحراستك. ليس هذا خضوعًا لأحد، أليس كذلك؟».

زمجر دونوفان: «انتظر حتى نصل إلى القاعدة، وسوف يدفع شخص ما ثمن ما يحدث. هؤلاء الروبوتات يجب أن يطيعونا. هذا هو القانون الثاني».

– «وما فائدة ما تقول؟ فهم لا يطيعوننا، وربما كان هناك سبب لذلك، سوف نكتشفه بعد فوات الأوان. بالمناسبة هل تعرف ما سيحدث *لنا* عندما نصل إلى القاعدة؟». ووقف أمام مقعد دونوفان ونظر إليه بضراوة.

– «ماذا؟».

– «لا شيء! كل ما هنالك أننا سوف نعود إلى مناجم عُطارِد لمدة عشرين عامًا، أو ربما إلى سجن سيريز».

– «عمَّ تتحدث؟».

– «عاصفة الإلكترونات القادمة. هل تعرف أنها متجهة مباشرة إلى منتصف الشعاع الموجه للأرض تمامًا؟ كنت قد اكتشفت ذلك لتوِّي عندما جذبني ذاك الروبوت من مقعدي».

فجأة شحب دونوفان: «يا إلهي!».

– «وهل تعرف ما سيحدث للشعاع... سوف يقفز كما لو كان برغوثًا عند التقائها؛ لأن العاصفة سوف تكون قوية، ولأن كيوتي وحده في غرفة التحكم فسوف يتحول الشعاع عن بؤرة تركيزه، وإن حدث ذلك فليكن الله في عون الأرض.. وفي عوننا!».

قبل أن يصل باول إلى نصف كلامه كان دونوفان يحاول خلع الباب بعنف، فانفتح واندفع الأرضيُّ خارجًا ليواجه ذراعًا حديدية يستحيل تحريكها.

حدق الروبوت ببرود إلى الأرضيِّ اللاهث وهو يقاومه، ثم قال: «الرسول يأمرك بالبقاء. من فضلك امتثل!». ثم دفعه بذراعه، وتراجع دونوفان إلى الوراء، في اللحظة التي ظهر فيها كيوتي عند المنعطف في نهاية الممر، وحرَّك الحارسين الآليين جانبًا، ودخل غرفة المدير، ثم أغلق الباب برفق.

اندفع دونوفان نحو كيوتي بسخط وهو يلهث: «لقد تماديت في هذا بما يكفي، وسوف تدفع ثمن هذه المهزلة».

فردَّ عليه الروبوت بهدوء: «أرجوك لا تغضب. لقد كان هذا الأمر حتميًّا على أية حال، فأنتما الاثنان فقدتما وظيفتيكما».

هنا انتصب باول واقفًا بقوة: «أرجو المعذرة، ماذا تعني بأننا فقدنا وظيفتينا؟».

أجاب كيوتي: «لقد خدمتما الزعيم حتى صُنِعت أنا، وهذه الميزة أصبحت من حقي الآن، وبالتالي فقد زال السبب الوحيد لوجودكما. أليس هذا واضحًا؟».

فردَّ عليه باول بمرارة: «ليس تمامًا، ولكن ماذا تتوقع أن نفعل الآن؟».

لم يرد كيوتي على الفور، بل ظل صامتًا كأنه يفكر، ثم اندفعت إحدى ذراعيه والتفت حول كتف باول، بينما أمسكت الأخرى بمعصم دونوفان وقرَّبته منه.

- «أنا أحبكما أنتما الاثنين. فعلى الرغم من أنكما كائنان أقل في المرتبة، وقدراتكما على التفكير ضعيفة، فإنني أشعر تجاهكما بعاطفة ما؛ فقد خدمتما الزعيم بإخلاص، وسوف يكافئكما على هذا. أما وقد انتهت خدمتكما، فعلى الأرجح أنكما لن تكونا موجودَيْن بعد الآن، ولكن ما دمتما موجودَيْن فسوف نقدم لكما الطعام والملبس والمأوى، بشرط أن تظلا بعيدَيْن عن غرفتي التحكم والمحركات».

صاحَ دونوفان: «إنه يحيلنا إلى التقاعد يا جريج! افعل شيئًا، هذا مهين!».

- «انظر يا كيوتي، نحن لا نقبل هذا، فنحن *الرئيسان*، وهذه المحطة من صنع بشر مثلي.. البشر الذين يعيشون على سطح الأرض وعلى سطح كواكب أخرى، وهذه المحطة ليست إلا ناقلًا للطاقة. وأنت لست إلَّا مجنونًا!».

هز كيوتي رأسه ببطء: «هذا يرقى إلى الهوس. لِمَ تُصران على هذه الرؤية الخطأ تمامًا للحياة؟ إن افتقار غير الآليين للقدرة على التفكير المنطقي أمر معترف به، ولكن تظل هناك مشكلة».

خفت صوته تدريجيًا حتى تحول إلى صمت تأملي، وهمس دونوفان محتدًّا: «لو كان لك وجه من لحم ودم لكسرته لك».

كانت أصابع باول تعبث بشاربه وعيناه تضيقان: «اسمع يا كيوتي، إن لم يكن هناك أي شيء يسمى الأرض، فما تفسيرك لما تراه عبر التلسكوب؟».

- «معذرة!».

ابتسم الرجل الأرضيُّ وقال: «أفحمتك، أليس كذلك؟ لقد قمت ببعض الفحوصات التلسكوبية بنفسك منذ أن تم تجميعك يا كيوتي، فهل لاحظت أن كثيرًا من هذه النقاط المضيئة بالخارج تصبح مدورة ومسطحة عندما تشاهدها من خلاله؟».

- «آه، هذه! بالطبع، هذه عملية تكبير بسيطة بهدف تصويب الشعاع بدقة أكبر».

- «لماذا إذن لا يتم تكبير النجوم كذلك؟».

- «أتعني النقاط الأخرى؟ حسنًا لا توجد أشعة موجهة إليها؛ لذا فليس هناك حاجة لتكبيرها. حقًا يا باول حتى أنت يجب أن تكون قادرًا على استنتاج هذه الأشياء».

حدَّق باول ببرود إلى أعلى، ثم قال: «ولكنك ترى *المزيد* من النجوم عبر التلسكوب، فمن أين تأتي؟ هيا أجب أيها العبقري، من أين تأتي؟».

اعترى الضيق كيوتي: «اسمع يا باول، أتظن أني سوف أضيع وقتي محاولًا التوصل إلى تفسير مادي لكل خدعة بصرية تسببها أدواتنا؟ منذ متى والدليل الحسي يوازي بأي شكل من الأشكال النور الجلي للمنطق الرصين؟».

صاح دونوفان فجأة - وهو يتلوى تحت ذراع كيوتي الودود غير أنها معدنية وثقيلة - «انظر، لُبُّ الموضوع هو لماذا توجد الأشعة من الأساس؟ نحن نقدم لك تفسيرًا جيدًا ومنطقيًا، فهل تستطيع التوصل إلى تفسير أفضل منه؟».

وجاء الرد صارمًا: «لقد وضع الزعيم الأشعة لأهدافه الخاصة. هناك أشياء».

ورفع عينيه بخشوع وهو يتابع: «لا يجوز لنا التطفل عليها، وفيما يتعلق بهذا الأمر فأنا أسعى فقط إلى تقديم خدماتي، لا إلى السؤال».

جلس باول ببطء ودفن وجهه بين يدين مرتعشتين، وقال: «اخرج من هنا يا كيوتي، اخرج ودعني أفكر».

فقال كيوتي موافقًا: «سوف أرسل لكما الطعام».

ولم يتلق ردًا - قبل أن يرحل - سوى زمجرة استياء.

«جريج».. قالها دونوفان بصوت هامس أجش: «الوضع يحتاج إلى استراتيجية، يجب أن نهاجمه في الوقت الذي لا يتوقعه على الإطلاق، ونقطع دائرته الكهربية. يمكننا استخدام حامض النيتريك المركز في مفاصله».

«لا تكن أحمق يا مايك، هل تظن أنه سيدعنا نقترب منه والحامض في أيدينا؟ بل يجب أن نتحدث إليه، ينبغي أن نتناقش معه؛ ليدعنا ندخل غرفة التحكم خلال ثمانٍ وأربعين ساعة وإلا فستشوينا الحرارة الشديدة».

ثم تأرجح إلى الأمام والخلف في ضيق من عجزه: «ومن يريد أن يجادل مع روبوت؟ إنها... إنها...».

أكمل دونوفان العبارة قائلًا: «إهانة».

«أسوأ!».

ضحك دونوفان فجأة وهو يقول: «قل لي! *ولماذا* نتناقش؟ فلنريه بأنفسنا! لنقم بتجميع روبوت آخر أمام عينيه، وسيضطر عندها إلى التراجع عما يقول».

فظهرت ابتسامة، اتسعت ببطء على وجه باول.

وتابع دونوفان: «وتخيل وجه هذا الأحمق عندما يشاهدنا ونحن نقوم بذلك؟».

لا شك أن الروبوتات يجري تصنيعها على الأرض، ولكن شحنها عبر الفضاء يكون أسهل كثيرًا إذا تم على أجزاء ليتم تجميعها بعد ذلك في أماكن استخدامها، كما أن ذلك يقلل من إمكانية خروج الروبوتات المُجمَّعة، وهي لا تزال على الأرض وهو ما سيضع يو إس روبوتس في مواجهة القوانين الصارمة التي تحظر الروبوتات على الأرض.

ولكن هذا يَضطرُّ أشخاصًا مثل باول ودونوفان إلى ضرورة تجميع الروبوتات.. وهي مهمة شاقة ومعقدة.

لم يدرك باول ودونوفان هذه الحقيقة بهذه الصورة من قبل كما أدركاها في ذاك اليوم عندما بدآ في تركيب روبوت في غرفة التجميع أمام ناظري كيوتي1 – رسول الزعيم.

كان الروبوت الذي يتم تجميعه بسيطًا من طراز إم سي، وكان موضوعًا على الطاولة.

وقد اكتمل تقريبًا بعد ثلاث ساعات من العمل سوى الرأس، فتوقف باول ليمسح العرق عن جبهته وألقى نظرة متشككة على كيوتي.

غير أن تلك النظرة لم تطمئنه، فقد جلس كيوتي على مدى الساعات الثلاث دون كلمة أو حركة، ولم يظهر أي تعبير على وجهه طوال الوقت، والآن أصبح من المستحيل رؤية التعبير على وجهه.

همهم باول ساخرًا: «هيا نحضر العقل الآن يا مايك!».

رفع دونوفان غطاء الوعاء المحكم الغلق، ثم جذب علبة أخرى كانت منغمسة في الزيت الموجود داخل الوعاء، وفتح العلبة ليخرج كرة من علبة إسفنجية مطاطية.

كان دونوفان يتعامل معها بحرص شديد؛ فقد كان ذلك الجزء هو أكثر الآليات التي صنعها الإنسان تعقيدًا؛ «البشرة» البلاتينية الرقيقة للكرة تحمل بداخلها عقلًا بوزيترونيًّا يضم داخل هيكله الرقيق غير المستقر مسارات خلوية عصبية محسوبة، هي التي تَصبُغ كل روبوت بما يمكن أن يُعتبَر تعليم المرحلة التي تسبق الميلاد.

كان مقاس الرأس مناسبًا تمامًا لتجويف جمجمة الروبوت المستلقي على الطاولة، ثم أغلقا عليه بقطعة معدنية زرقاء وتم لحامها بإحكام عن طريق الشعلة الذرية الصغيرة، كما تم تركيب العينين الكهروضوئيتين بدقة، وربطهما بإحكام بالمسامير في مكانهما، وكذلك تغطيتهما بصفائح شفافة رقيقة من البلاستيك في متانة المعادن.

لم يكن الروبوت ينقصه سوى شعاع الكهرباء عالي الفولت، توقف باول برهة وهو يضع يده على المفتاح.

- «الآن انظر إلى هذا يا كيوتي. انظر بانتباه».

عاد المفتاح إلى وضعه الأصلي بسرعة وصدر طنين مصحوب بصوت طقطقة، ومال الأرضيَّان بلهفة على ما صنعت أيديهما.

كانت هناك حركة غير واضحة في البداية فقط، وكان هناك انتفاض في المفاصل، ثم ارتفع الرأس واستند الروبوت إلى مرفقيه، وبدأ الروبوت الـ «إم سي» يهتز بحركات مضطربة وهو ينزل عن الطاولة. كانت خطواته غير متزنة، ولم يتمكن من التحدث بأي شيء بخلاف صوتين قصيرين أشبه بالصرير.

ثم بدأ صوته أخيرًا يتشكل بتردد وعدم ثقة فقال: «أرغب في بدء العمل، إلى أين أتوجه؟».

اندفع دونوفان إلى الباب قائلًا: «أسفل هذه السلالم، وسوف يتم إخبارك بما يتوجب عليك عمله».

ذهب الروبوت الجديد، وأصبح الرجلان الأرضيَّان وحدهما مرة أخرى مع كيوتي الذي كان لا يزال ساكنًا بلا حراك.

قال باول وهو يبتسم: «حسنًا، الآن هل تصدق أننا صنعناك؟».

وكانت إجابة كيوتي مقتضبة ونهائية: «لا!».

تجمدت ابتسامة باول ثم اختفت ببطء، أما دونوفان فقد فغر فاه وبقي على هذا الحال.

ثم تابع كيوتي ببساطة: «كما تريان لم تقوما إلا بتجميع أجزاء مُصنَّعة بالفعل، وقد أبليتما بلاءً متميزًا - بل كنتما تعملان بتلقائية غريزية على ما أظن، ولكنكما لم *تصنعا* الروبوت بأنفسكما؛ فإن الزعيم هو الذي صنع الأجزاء».

قال دونوفان بصوت أجش: «اسمع، لقد صُنِّعَت هذه الأجزاء على الأرض وأُرسِلَت إلى هنا».

فقال كيوتي بأسلوب به محاولة للتهدئة: «حسنًا، حسنًا، لن نتجادل».

اندفع الرجل الأرضيُّ إلى الأمام وجذب ذراع الروبوت الحديدية قائلًا: «لا، أنا أعني ما أقول. ولو قرأت الكتب الموجودة في المكتبة فقد توضح لك أنه لا يمكن أن يوجد شك فيما نقول».

«الكتب؟ لقد قرأتها كلَّها! وهي رائعة للغاية».

هنا اندفع باول فجأة قائلًا: «إذا كنت قد قرأتها فما الذي يسعك أن تقول بعد؟ لا يمكنك أن تطعن في أدلتها. لا *يمكنك* ذلك!».

فظهرت نبرة إشفاق في صوت كيوتي وهو يقول: «أرجوك يا باول، أنا لا *أعتبرها* مصدرًا موثوقًا للمعلومات؛ فهي أيضًا قد كتبها الزعيم، وكنت أنت المقصود بها ولست أنا».

فاستفسر باول قائلًا: «وكيف توصلت إلى هذا؟».

قال كيوتي: «لأنني، بوصفي كائنًا مُفكرًا، قادر على استنباط الحقيقة من الأسباب *البديهية*؛ أما أنت بوصفك كائنًا ذكيًا، ولكن غير قادر على الاستنباط المنطقي؛ فأنت بحاجة إلى من يفسر لك الوجود، وهو ما قام به الزعيم، أما إمداده لك بتلك الأفكار المضحكة عن العوالم البعيدة والناس، فهذا من أجل الصالح العام بالطبع. من المحتمل أن عقولكما غير قادرة على استيعاب الحقيقة المُطلقة، ولكن على الرغم من ذلك ما دامت رغبة الزعيم هي أن تؤمنا بكتبكما، فلن أجادلكما في الأمر أكثر من هذا!».

وقبل أن يخرج التفت إليهما وقال بنبرة عطف: «ولكن لا عليكما، فخطة الزعيم تسع كل شيء، وأنتم أيها البشر المساكين لكم دور فيها، وعلى الرغم من تواضع هذا الدور فإنكم سَتُكَافَئون إن أديتموه كما ينبغي».

ثم غادر ببهجة تناسب رسول الزعيم، فيما تجنب كل من الرجلين النظر في عيني الآخر.

أخيرًا تحدث باول بصعوبة: «هيا بنا نَنَمْ يا مايك. فأنا منهك».

قال دونوفان بصوت خفيض: «جريج، أنت لا تظن أنه على حق في كل ما يقول، أليس كذلك؟ إنه يبدو واثقًا للغاية لدرجة أني...».

استدار باول إليه قائلًا: «لا تكن أَحْمَقَ، سوف تكتشف أن الأرض موجودة عندما تأتي سفينة الاستبدال الأسبوع القادم ونضطر للعودة لمواجهة عاقبة عملنا».

فقال دونوفان وهو يكاد يبكي: «يجب أن نفعل شيئًا إذن. إنه لا يصدقنا، ولا يصدق الكتب، ولا عينيه».

أجابه باول بمرارة قائلًا: «لا، إنه روبوت صاحب تفكير منطقي.. اللعنة. إنه لا يصدق إلا المنطق، وتوجد مشكلة واحدة فيما يتعلق بهذا الأمر..» ثم تلاشى صوته.

حثه دونوفان على الحديث متسائلًا: «ماذا؟».

- «يمكنك إثبات أي شيء تريده من خلال التفكير المنطقي البحت.. إذا توصلت للمُسلَّمات المناسبة. ونحن لدينا مُسلَّماتنا وكيوتي له مُسلَّماته».

- «إذًا دعنا نصل لهذه المُسلَّمات سريعًا، فالعاصفة موعدها يحين غدًا».

تثاءب باول بسأم قائلًا: «هنا يتداعى كل شيء؛ فالمُسلَّمات تقوم على افتراضات ويتم التمسك بها من خلال الإيمان، ولا يوجد شيء في الكون بإمكانه تقويضها. أنا ذاهب للنوم».

- «تبًّا! لا يمكنني النوم!».

- «ولا أنا! لكنني سأحاول.. من ناحية المبدأ».

وبعد مرور اثنتي عشرة ساعة لم يتعدَّ النوم كونه مسألة مبدأ، لا يمكن تحقيقها على أرض الواقع.

هبَّت العاصفة قبل الموعد المتوقع، وهربت الدماء من وجه دونوفان المتورد وهو يشير بإصبع مرتعشة، فحدق باول - بذقنه المنبت وشفتيه الجافتين - عبر المنفذ وجذب شاربه بيأس.

كان يمكن أن يكون هذا المنظر جميلًا في ظل ظروف أخرى؛ فقد كان تيار الإلكترونات عالية السرعة يصطدم بشعاع الطاقة فيصدر أشكالًا شوكية من الضوء الكثيف. امتد الشعاع في فراغ متقلص في شكل لامع مصحوب بذرات مضيئة راقصة.

كان عمود الطاقة ثابتًا، ولكن الرجلين كانا يعرفان قيمة ما يبدو للعين المجردة. فأي انحراف في القوس بجزء من مائة من الملليثانية، وهو ما لا يمكن للعين المجردة رؤيته - كان كفيلًا بإخراج الشعاع عن التركيز المخصص له تمامًا، وبما يكفي لتفجير مئات من الأميال المربعة من الأرض وتحويلها إلى حطام متوهج.

ولم يكن هناك في غرفة التحكم سوى روبوت غير مهتم بالشعاع ولا التركيز ولا الأرض ولا أي شيء على الإطلاق فيها عدا زعيمه.

مرت الساعات، والرجلان الأرضيَّان مستمران في المشاهدة بصمت أشبه بالنوم المغناطيسي، ثم خفتت نقاط الضوء المندفعة وانطفأت، وهكذا انتهت العاصفة.

قال باول بصوت لا يحمل أي مشاعر: «لقد انتهت!».

كان دونوفان قد استسلم لنوم مضطرب، وعينا باول المرهقتان تتابعانه بغبطة؛ وسطعت الإشارات الضوئية الواحدة تلو الأخرى، ولكنَّ الرجل الأرضيَّ لم يعرها انتباهًا، حيث كان كل شيء لا يهمُّ! كل شيء! ربما كان كيوتي على حق.. وأنه ليس سوى كائن أدنى ذي ذاكرة معدة بترتيب معين وحياة تخطت الغرض المحدد لها.

وتمنى لو كان ذلك حقيقيًا!

كان كيوتي يقف أمامه قائلًا بصوت خفيض: لم تُجيبا على الإشارات الضوئية؛ لذا دخلت».

«لا تبدو بخير على الإطلاق يا باول، وأخشى أن تكون فترة وجودك قد قاربت نهايتها، ولكن هل ترغب في رؤية بعض القراءات التي تم تسجيلها اليوم؟».

كان باول يدرك أن الروبوت يحاول عمل لفتة ودود، ربما للتغلب على بعض الشعور بتأنيب الضمير؛ لأنه حل محل البشريين الموجودين في غرفة التحكم بالمحطة بالقوة. أخذ باول الأوراق الممدودة له وحملق إليها دون أن يرى شيئًا.

وبدت على كيوتي السعادة: «لا شك أن خدمة الزعيم ميزة عظيمة. ولكن يجب ألَّا تشعر بالأسى لأني حللت محلك».

تنحنح باول وانتقل من ورقة إلى أخرى بطريقة آلية حتى ركَّز نظره المشوش على خط أحمر رفيع متذبذب فوق الأوراق المسطرة.

حملق باول ثم حملق مرة أخرى، ثم جذب الورقة بقوة وأمسكها بكلتا قبضتيه وانتصب واقفًا، وهو لا يزال محملقًا إليها. ووقعت بقية الأوراق على الأرض ولكن لم يهتم بها.

«مايك، *مايك*!» قالها وهو يهز رفيقه بجنون «*لقد حافظ على ثباته*!».

عاد دونوفان إلى الحياة: «ماذا؟ أ ... أين؟» ثم حدَّق هو الآخر بعينين متفختين إلى السجل أمامه.

فقاطعهما كيوتي: «ما الخطب؟».

رد باول: «لقد أبقيته في بؤرة التركيز. هل كنت تدرك ذلك؟».

– «تركيز؟ ما هذا؟».

– «لقد حافظت على توجيه الشعاع بدقة نحو محطة الاستقبال.. إلى قلب عشرة آلاف من المللي‌ثانية من القوس».

– «أيّ محطة استقبال؟».

قال باول كأنه يهذي: «على الأرض، محطة الاستقبال على الأرض. لقد حافظت على تركيزه».

استدار كيوتي على عقبيه بضيق: «من المستحيل التصرف بأي عطف تجاهكما أنتما الاثنين. دائمًا نفس الوهم! كل ما فعلته هو الحفاظ على توازن كافة الأرقام وفق رغبة الزعيم».

جمَّع الأوراق المبعثرة معًا، ثم انسحب بحدة، وقال دونوفان وهو يغادر: «أنا مذهول».

ثم التفت إلى باول: «ماذا سنفعل الآن؟».

شعر باول بالإرهاق، ولكنه نهض قائلًا: «لا شيء. لقد برهن في الحال أنه قادر تمامًا على إدارة المحطة. لم أرَ من قبل عاصفة إلكترونات يتم التعامل معها بهذا المستوى من الجودة».

– «ولكن هذا لم يحل شيئًا. أنت سمعت ما قاله عن الزعيم. لا نستطيع...».

– «انظر يا مايك، إنه يتبع تعليمات الزعيم عن طريق الأرقام والمعدات والرسوم البيانية، وهذا هو ما اتبعناه نحن دومًا. بل إن هذا في الواقع يفسر رفضه طاعتنا؛ إن الطاعة هي القانون الثاني، بينما الأول يتعلق بعدم حدوث أي أذى للإنسان؛ فكيف يستطيع هو الحفاظ على سلامة البشر، سواء كان *مدركًا* لذلك أو لا من خلال الحفاظ على استقرار شعاع الطاقة. وهو يعلم أنه يستطيع الحفاظ على استقراره أفضل مما نستطيع نحن، بما أنه يصر على أنه الكائن الأعلى مرتبة؛ ولذا يرى أنه يجب أن يبقينا بعيدًا عن غرفة التحكم. هذا أمر حتمي إذا فكرت في قوانين الروبوتات».

– «بالطبع، ولكن هذا ليس المقصود. لا يمكننا تركه يكمل حماقته تلك بشأن الزعيم».

– «ولم لا؟».

– «لأنه سمع من قبل عن مثل هذا الهراء، فكيف نأتمنه على المحطة إذا كان لا يؤمن بوجود الأرض؟».

– «هل يستطيع إدارة المحطة؟».

– «نعم، ولكن...».

– «إذن ما الفارق الذي يحدثه ما يؤمن به!».

مدَّ باول ذراعيه إلى الأمام وشبح ابتسامة على وجهه، ثم سقط إلى الخلف على الفراش ونام.

كان باول يتحدث وهو يكافح داخل سترته الفضائية خفيفة الوزن.

– «ستكون مهمة بسيطة. يمكنك إحضار طرز جديدة من كيوتي الواحد تلو الآخر، وتجهيزها بمفتاح غلق تلقائي يعمل خلال الأسبوع؛ بحيث يُتاح أمامهم وقت كافٍ لتعلم .... دين الزعيم من الرسول نفسه، ثم ننقلهم إلى محطة أخرى ونعيد تشغيلهم. ونستطيع أن نعمل على روبوتين من طراز (كيوتي) كل...».

فلكّ دونوفان مقدم خوذته الزجاجي وقطب جبينه قائلًا: «اصمت، وهيا بنا نخرج من هنا. سفينة الاستبدال بانتظارنا، وأنا لن أشعر أني بخير حتى أرى كوكب الأرض فعلًا وأشعر بأرضه تحت قدميَّ - فقط لأتأكد أنه موجود».

انفتح الباب وهو يتحدث، وقام دونوفان، وهو يطلق لعنة مكبوتة، بإنزال مقدم خوذته وأدار ظهره بعبوس في وجه كيوتي.

اقترب الروبوت برقة وكان بصوته نبرة حزن: «هل أنتما راحلان؟».

أومأ باول باقتضاب وهو يقول: «سوف يحل آخرون محلنا».

فتنهد كيوتي، فطنَّ كصوت الهواء بين الأسلاك المتقاربة: «لقد انتهت فترة عملكم وحانت النهاية. لقد توقعتها، ولكن حسنًا، فلتكن مشيئة الزعيم!».

تفاجأ باول بنبرة الاستسلام في صوته: «وفر عاطفتك يا كيوتي. نحن ذاهبان إلى الأرض، وليس إلى الموت».

«من الجيد أنكما تفكران بهذه الطريقة» - تنهد كيوتي مرة أخرى - «أرى الحكمة في هذا الوهم الآن، لن أحاول أن أؤثر على إيمانكما حتى إن استطعت»، ثم رحل وكله رثاء.

زمجر باول وتحرك نحو دونوفان، وتوجها إلى غرفة الهواء المضغوط وهما يحملان حقائبهما.

وفي منطقة الهبوط الخارجية كانت سفينة الاستبدال موجودة وفرانز موللر رجل الاستبدال بانتظارهما، فحيَّاهما باحترام بأسلوب رسمي، وبالكاد بادله دونوفان التحية، وتوجه إلى غرفة الطيَّار لتولي التحكم من سام إيفانز.

تريث باول قليلًا وسأل «كيف حال الأرض؟».

كان سؤاله تقليديًّا للغاية؛ فرد عليه موللر بالإجابة التقليدية «لا تزال تدور».

فقال باول: «جيد».

ثم نظر إليه موللر «لقد اخترع الفتيان في يو إس روبوتس روبوتًا جديدًا بالمناسبة؛ روبوتًا متعددًا».

- «ماذا؟».

- «ما قلته. يوجد عقد كبير بانتظاره. لا بد أنه سيكون الروبوت المناسب

للتعدين على سطح الكويكبات. لديك روبوت رئيسي ومعه ستة روبوتات ثانوية يعملون تحت إشرافه.. تمامًا كأصابع يدك».

سأله باول بقلق: «هل تم اختباره ميدانيًّا؟».

ابتسم موللر قائلًا: «سمعت أنه بانتظارك».

ضم باول قبضته وقال: «اللعنة، نحن بحاجة إلى إجازة».

«سوف تحصل عليها. أسبوعان على ما أظن».

كان يرتدي القفازات الفضائية الثقيلة استعدادًا لفترة خدمته هنا وقد اقترب حاجباه الثقيلان من بعضهما البعض: «كيف هو هذا الروبوت الجديد؟ من الأفضل أن يكون جيدًا، وإلا فلن أتركه يلمس مفاتيح التحكم أبدًا».

تريث باول قبل الإجابة، وتفحَّص بعينيه الرجل الفخور الذي يقف أمامه بدءًا من الشعر القصير المنتصب فوق الرأس العنيد القوي حتى القدمين الواقفتين بصرامة في وضع الانتباه.. وفجأة شعر بحالة من السعادة الخالصة تتصاعد بداخله.

وقال ببطء: «الروبوت جيد جدًّا، لا أعتقد أنك ستزعج نفسك كثيرًا بأمر مفاتيح التحكم».

ثم ابتسم ودخل السفينة.. سوف يمكث موللر هنا عدة أسابيع.

أمسك هذا الأرنب

زادت الإجازة على أسبوعين، وكان على مايك دونوفان الاعتراف بذلك؛ فقد امتدت حتى ستة أشهر مدفوعة الأجر، وهو ما اعترف به أيضًا، غير أن هذا الوضع - كما وصفه بانفعال - كان مصادفة؛ حيث كان على يو إس روبوتس أن تعالج العيوب الموجودة في الروبوت المتعدد، والتي كانت كثيرة، ولكن دائمًا ما يتبقى منها نصف دستة على الأقل لمرحلة الاختبار الميداني؛ لذا فقد استرخيا وانتظرا حتى يقول مسئولو التصميم ومسئولو القياس: «إن كل شيء على ما يُرام!» والآن خرج هو وباول إلى الكويكب ولكن الموقف لم يكن على ما يُرام. قال ذلك عشرات المرات ووجهه شديد الاحمرار.

«يا إلهي! كن واقعيًّا يا جريج. ما فائدة الالتزام بقائمة المواصفات والاختبار يفشل أمام أعيننا؟ لقد آن الأوان لتتخلى عن هذا الروتين وتبدأ العمل».

أجابه جريجوري باول بصبر كشخص يشرح الإلكترونيات لطفل أبله: «لم أقل سوى أنه وفقًا للمواصفات فإن هذه الروبوتات مُعدَّة للتعدين على سطح الكويكبات دون إشراف؛ لذا فليس من المفترض أن نراقبها».

«حسنًا. انظر يا أستاذ منطقي!» ثم رفع أصابعه كثيفة الشعر وأشار «أولًا: لقد اجتاز هذا الروبوت الجديد كل الاختبارات التي أجريت عليه في المعامل على الأرض. ثانيًا: ضمنت يو إس روبوتس اجتيازه اختبار الأداء الفعلي على سطح أي كويكب. ثالثًا: الروبوتات لا تجتاز الاختبارات التي قالوا عنها. رابعًا: ما لم تجتَز الروبوتات الاختبارات فسوف تخسر يو إس روبوتس عشرة ملايين نقدًا، وحوالي مائة مليون من السمعة. وخامسًا: إذا لم تجتَز الروبوتات الاختبارات ولم نتمكن نحن من تفسير السبب، فمن المحتمل أن نودع آسفين وظيفتين مميزتين للغاية».

تأوه باول بقوة وهو يرسم ابتسامة زائفة على شفتيه؛ حيث كان الشعار غير المُعلَن لشركة يو إس روبوتس معروفًا: «لا يرتكب أي موظف نفس الخطأ مرتين؛ لأنه يُفصَل من العمل في المرة الأولى».

وقال بصوت عالٍ: «أنت تضاهي إقليدس في صفاء تفكيره في كل الأمور عدا ما يتعلق بالوقائع. لقد راقبت مجموعة الروبوتات هذه لثلاث نوبات عمل يا صاحب الشعر الأحمر، وقد قاموا بعملهم على أكمل وجه. أنت بنفسك قلت هذا، فماذا يسعنا عمله غير هذا؟».

«اكتشاف الخلل، هذا هو ما نستطيع عمله. لقد أدت الروبوتات العمل على أكمل وجه عندما كنت أراقبها، ولكن في ثلاث مرات أخرى لم أكن أراقبها خلالها، لم تحضر الروبوتات أي معدن خام، بل لم تعد في الموعد المحدد، واضطررت للذهاب لإحضارها».

«وهل كان هناك أي خلل؟».

«لا شيء. لا شيء. كل شيء كان سلسًا وسليمًا، تمامًا *كالأثير* الوضَّاء، باستثناء شيء واحد بسيط هو الذي أزعجني، لم يكن هناك *أي معدن خام*».

حدق باول تجاه السقف وجذب شاربه البني قائلًا: «أتعلم يا مايك؟ إننا نشغل وظيفتين من أصعب الوظائف في زمننا هذا، ولكن هذا يشمل كويكب الإيريديوم. الأمر كله معقد بدرجة لا تحتمل. انظر مثلًا إلى هذا الروبوت المُسمَّى دي في5-؛ إنه يرأس ستة روبوتات، وهو لا يرأسهم فقط - بل هم جزء منه».

«أعلم هذا...».

نهره باول بعنف: «اصمت! أعرف أنك تعلم هذا، ولكني أصف الموقف؛ هذه الروبوتات المساعدة جزء من دي في5- بالضبط كما أن أصابعك جزء منك، وهو لا يوجه إليهم أوامره صوتيًّا أو لاسلكيًّا، بل عن طريق المجالات البوزيترونية مباشرة. والآن - ليس هناك متخصص واحد في الروبوتات في يو إس روبوتس يعلم ما هو المجال البوزيتروني أو كيفية عمله، ولا أنا أعرف ذلك، ولا أنت أيضًا».

أخيرًا وافقه دونوفان بهدوء قائلًا: «أعرف فعلًا هذا الجزء الأخير».

«والآن تأمل الموقف الذي نحن فيه؛ إذا سارت الأمور كما ينبغي - فلا بأس إذن! أما إذا حدث خطأ في أي شيء فلن نفهم السبب، وربما لا يوجد أي شيء

يمكننا أو يمكن لأي شخص آخر عمله، ولكن هذه مهمتنا نحن، وليست مهمة أي شخص آخر؛ لذلك فإنَّ الضوء يسلط علينا نحن يا مايك». وصمت لحظة ثم قال: «حسنًا، هل أحضرته بالخارج؟».

«نعم».

«هل كل شيء طبيعيٌّ الآن؟».

«حسنًا، ليس به أيُّ ولع ديني، ولا يجري في دوائر وهو يفيض علينا من أشعار جيلبرت وسوليفان؛ لذا أظن أنه طبيعي».

خرج دونوفان من الباب وهو يهز رأسه بشدة.

مد باول يده إلى «دليل الروبوتات» الذي أثقل أحد طرفي مكتبه وفتحه باحترام وهيبة. كان المنزل قد احترق ذات مرة واضطر للقفز من النافذة وهو لا يرتدي أي شيء سوى سروال قصير وفي يده «الدليل»، ولو أنه اضطر؛ لاستغنى عن السروال.

كان «الدليل» موضوعًا أمامه عندما دخل الروبوت دي في5-، ودونوفان خلفه يركل الباب ليغلقه.

قال باول بجد: «مرحبًا ديف، كيف تشعر؟».

فأجاب الروبوت: «بخير. هل تمانع إن جلست؟» ثم جذب المقعد المُدعَّم خصيصًا من أجله، وجلس عليه برفق.

نظر باول إلى ديف بإعجاب؛ ففي حين قد يفكر الشخص العادي في الروبوتات كمجرد أرقام تسلسلية، لا يفعل متخصصو الروبوتات هذا أبدًا. لم يكن الروبوت ضخمًا بأي حال، على الرغم من تركيبه كوحدة تفكير لفريق روبوتات متكامل يتكون من سبع وحدات. كان طوله سبعة أقدام، ويزن نصف طن من المعادن والكهرباء. أهذا كثير؟ ليس إذا كان نصف الطن هذا يتكون من كمية من المكثفات والدوائر الكهربية والمُرحِّلات والخلايا الفارغة القادرة على التعامل بأسلوب عملي مع أي رد فعل نفسي يعرفه الإنسان، بالإضافة إلى عقل بوزيتروني يدير العملية كاملة عن طريق عشرة أرطال من المواد وبضع كوينتيليونات من البوزيترونات.

تحسس باول داخل جيب قميصه بحثًا عن سيجارة، ثم قال: «ديف، أنت رجل

طيب، ولا تتصف بطيش أو خُيَلاء، بل أنت روبوت تعدين مستقر ورزين، إلا أنك مُعدٌّ للتحكم في ستة روبوتات مساعدة من خلال التنسيق المباشر، وعلى حد علمي لم يتسبب ذلك في ظهور أي مسارات غير مستقرة في خريطة المسارات البوزيترونية الخاصة بك».

أومأ الروبوت قائلًا: «ما تقوله يملؤني غرورًا، ولكن إلام ترمي يا سيدي؟» كان قرص السماعة المزود داخله ممتازًا، كما خلصته النغمات التوافقية الموجودة في وحدة الصوت من البرود المعدني المميِّز لصوت الروبوت العادي.

«سأخبرك. رغم كل هذه المزايا الموجودة فيك ولكن ما الذي أصاب مهمتك؟ كالمناوبة (ب) اليوم على سبيل المثال؟».

تردد ديف ثم أجاب: «لا شيء على حد علمي».

«أنت لم تستخرج أي معدن خام».

«أعلم».

«حسنًا، إذن...».

كان منزعجًا؛ فأجاب: «لا أستطيع أن أفسر الأمر يا سيدي، إنه يوتر أعصابي، أو قد يوترها إن تركت له الفرصة - لقد كان مساعديَّ يعملون بهدوء. أنا متأكد من هذا». ثم أطرق يفكر وعيناه الكهروضوئيتان تتوهجان بشدة، ثم أضاف: «لا أتذكر. في نهاية اليوم كان مايك موجودًا وكانت عربات المعادن الخام خالية تقريبًا».

هنا تدخَّل دونوفان: «أنت لم ترفع أي تقارير عند نهاية المناوبات عن تلك الأيام يا ديف، هل أنت مدرك هذا؟».

«أعلم، ولكن السبب...»، وهز رأسه ببطء وثقل.

فانتاب باول القلق بأنه لو كان وجه الروبوت قادرًا على التعبير لأظهر شعورًا بالألم والخزي؛ فالروبوت بطبيعته لا يتحمل الفشل في مهمته.

سحب دونوفان كرسيه إلى مكتب باول ومال عليه: «هل تعتقد أنها حالة فقدان ذاكرة؟».

«لا أستطيع أن أَجْزِمَ، ولكن لا طائل من محاولة تعريف الحالة بأسماء الأمراض؛ فالاضطرابات البشريةَ تنطبق على الروبوتات على سبيل التشبيه الرومانسي، ولكن لا فائدة منها في هندسة الروبوتات». ثم حكَّ رقبته وقال: «أكره فكرة إخضاعه لاختبارات ردود أفعال المخ الأولية، فهي لن تعزز احترامه لذاته على الإطلاق».

ونظر إلى ديف وهو يفكر مليًّا ثم إلى مخطط الاختبارات الميدانية المذكور في «الدليل» وقال: «ما رأيك يا ديف في أن تخضع لاختبار؟ سيكون تصرفًا حكيمًا».
نهض الروبوت وهو يقول: «حسبما ترى يا سيدي» وكانت هناك نبرة ألم في صوته.

بدأ الاختبار ببساطة. قام الروبوت دي في5- بضرب أعداد مكونة من خمسة أرقام في بعضها على نغم دقات المؤقت، وحدَّد الأعداد الأوليّة ما بين الألف وعشرة الآلاف، واستخرج الجذور المكعبة والدوال المدمجة بدرجات مختلفة من الصعوبة، كما قام بعمل تفاعلات كيميائية لزيادة درجة الصعوبة، وأخيرًا اختبر دقة مخه الميكانيكي في أداء أصعب مهمة في عالم الروبوتات - حلول مسائل الحكم على الأمور والأخلاق.

وبعد ساعتين كاملتين كان باول غارقًا في عرقه، ودونوفان قد قضم كل أظفاره تقريبًا، وتساءل الروبوت: «كيف يبدو الأمر يا سيدي؟».

أجابه باول: «عليَّ التفكير بتمعن يا ديف؛ فالأحكام السريعة لا تساعد كثيرًا. أظن أن عليك العودة إلى المناوبة «ج». وهَوِّنْ عليك. لا تضغط على نفسك لتحقيق الحصة المقررة لبعض الوقت، وسوف نصلح الأمر».

غادر الروبوت، ونظر دونوفان إلى باول.

«حسنًا..».

كان يبدو أن باول مُصرٌّ على جذب شاربه من جذوره، وقال: «لا يوجد أي خلل في تيارات عقله البوزيترَوني».

«لا أحبذ أن أكون بهذه الثقة».

«يا إلهي! العقل يا مايك هو أكثر جزء يمكن الاعتماد عليه في الروبوت، وقد تم اختباره خمس مرات على الأرض، وإذا اجتاز الاختبارات الميدانية ببراعة كما فعل ديف، فلا يوجد أي احتمال لوجود خلل في العقل. لقد غَطَّى الاختبار كل المسارات الأساسية به».

«أين نحن إذن؟».

«لا تستعجلني، وامنحني الفرصة للتوصل إلى نتيجة. لا يزال هناك احتمال وجود عطل ميكانيكي داخل الجسم، وهذا يضعنا أمام ألف وخمسمائة مُكثِّف،

وعشرين ألف دائرة كهربية منفردة، وخمسمائة خلية فارغة، وألف مُرحِّل، وآلاف القطع الأخرى المعقدة التي يمكن أن تكون مُعطَّلة، هذا فضلًا عن المجالات البوزيترونية التي لا يعلم عنها أحد شيئًا».

فقال دونوفان بإلحاح شديد: «اسمع يا جريج، لديَّ فكرة. قد يكون هذا الروبوت كاذبًا؛ لم...».

«الروبوتات لا تستطيع تعمُّد الكذب أيها الأبله. لو كان لدينا جهاز اختبار مكورماك-ويزلي لكُنَّا استطعنا فحص كل جزء من أجزاء جسمه خلال أربع وعشرين إلى ثمانٍ وأربعين ساعة، ولكنَّ الجهازين الوحيدين المتوافرين منه موجودان على سطح الأرض، ويزنان عشرة أطنان، ومثبتان على قواعد خرسانية، ولا يمكن تحريكهما. أليس هذا رائعًا؟».

خبط دونوفان على المكتب قائلًا: «ولكنه يا جريج لا يخطئ إلا في غيابنا. هناك أمر مريب في هذا الموضوع» وفصل بين كلماته بضربات وجهها إلى المكتب بقبضته.

فقال باول ببطء: «أنت تثير غثياني. لقد كنت تقرأ الروايات البوليسية».

صاح دونوفان: «ما أرغب في معرفته هو ماذا نفعل في هذا الأمر؟».

«سوف أخبرك. سأضع لوحة عرض بها كاميرا مراقبة فوق مكتبي، على الحائط هناك، أترى؟!» وضرب المكان بإصبعه بعنف: «وبعدها سأركزها على موقع العمل داخل المنجم أينما كان، وسوف أراقب. هذا كل ما في الأمر».

«هذا كل ما في الأمر؟ جريج...».

هنا نهض باول من مقعده واستند بقبضتين مطبقتين إلى المكتب وقال بصوت متعب: «مايك، أنا أمر بأوقات عصيبة؛ فعلى مدى أسبوع كامل وأنت تعذبني بأمر ديف. أنت تقول إن به عُطْبًا، فهل تعرف ما به؟ لا! هل تعرف ما شكل هذا العطب؟ لا! هل تعرف سببه؟ لا! هل تعرف ما يعيده لطبيعته؟ لا! هل تعرف أي شيء عن الأمر؟ لا! هل أعرف أنا أي شيء عنه؟ لا! إذن ماذا تريد مني؟».

مد دونوفان ذراعه إلى الأمام في إيماءة بلهاء: «لقد أفحمتني!».

«سأكرر عليك مرة أخرى، قبل أن تحاول علاج أي شيء، عليك اكتشاف ما هو المرض أولًا. الخطوة الأولى في إعداد حساء الأرانب هي الإمساك بالأرنب. إذن علينا الإمساك بهذا الأرنب أولًا.. والآن اخرج من هنا».

حملق دونوفان إلى المُسوَّدةِ الأولية لتقريره عن الاختبار الميداني بعينين مرهقتين، فقد كان متعبًا، ولم يكن هناك ما يكتبه أصلًا إذ لم يكن الأمر قد تحدد بعد. فشعر بالامتعاض.

وقال: «جريج، تأخرنا عن جدول الأعمال بحوالي ألف طن».

أجابه باول دون أن يرفع عينيه: «أنت تخبرني بأمر لا أعلمه».

فقال دونوفان بعنف مفاجئ: «ما أريد أن أعرفه هو: لماذا نقع دومًا في الأنواع الجديدة من الروبوتات؟ لقد توصلت أخيرًا إلى أن الروبوتات التي كانت تناسب خالي الأكبر تناسبني أنا أيضًا. أنا أُشجِّع الروبوتات المُجرَّبة بالفعل، والتي ثبت فعلًا أنها تعمل، اختبار الزمن هو المهم.. الروبوتات الرائعة المتينة القديمة التي لا تتعطل أبدًا».

رماه باول بكتاب جعله ينقلب من فوق مقعده.

وقال بهدوء: «لقد كانت وظيفتك على مدى السنوات الخمس الماضية في يو إس روبوتس هي اختبار الروبوتات الجديدة في بيئة العمل الفعلية، ولأن كلينا كان من الحماقة بما يكفي لإظهار كفاءته في هذه المهمة، فقد تمت مكافأتنا بأسوأ الوظائف على الإطلاق» ثم قال وهو يشير بأصبعه في الهواء باتجاه دونوفان: «وهذا هو عملك. وحسبما أتذكر فقد بدأت في الشكوى منه بعد خمس دقائق فقط من تعيينك في يو إس روبوتس، فلِماذا لا تستقيل؟».

«حسنًا سأخبرك». تقلَّب دونوفان على معدته وقبض شعره الأحمر المشعث بقوة ليرفع رأسه قائلا «إنها مسألة مبدأ، فبعد كل شيء لقد أتاح لي عملي في التوصل للمشكلات المشاركة في تطوير الروبوتات الجديدة، وهنا يتمثل مبدأ الإسهام في التقدم العلمي. ولكن لا تسئ فهمي، ليس المبدأ هو الذي يبقيني، بل الراتب الذي يعطونه لنا. جريج!».

انتفض باول على صيحة دونوفان العالية وتتبع اتجاه نظر زميله الأصهب إلى لوحة العرض، وهنا جحظت أعين الاثنين في رعب، ثم همس: «يا إلهي!».

زحف دونوفان واقفًا وهو يلهث: «انظر إليهم يا جريج، لقد أصابهم الجنون».

فقال باول: «أحضر بذلتين. سوف نذهب إلى هناك».

ثم وقف يشاهد وضعيات الروبوتات على لوحة العرض. كانت حركتهم عبارة عن ومضات برونزية لحركة سلسة سهلة على الصخور المعتمة فوق سطح الكويكب عديم الهواء، والآن يوجد تكوين خطوات عسكرية ، وعلى ضوء أجسامهم الخافت كانوا يمرون بجوار الحوائط الخشنة لنفق المنجم دونما صوت، ويظهر على هذه الحوائط بقع ضبابية غريبة من الظلال. كان السبعة يسيرون متحدين وعلى رأسهم ديف، ثم انعطفوا واستداروا بتزامن مرعب، وتداخلوا معًا مع تغير التكوينات بسلاسة عجيبة، كأنهم مجموعة من الراقصين المحترفين.

عاد دونوفان بالبذلتين وقال: «لقد ثاروا علينا يا جريج، هذا مارش عسكري».

فكان الردُّ باردًا: «كل ما نعرفه هو أن ربما كانت هذه سلسلة من التمرينات الرياضية، أو ربما يتخيل ديف أنه رئيس فرقة رقص. كل ما عليك هو أن تفكر أولًا، ولا تبالي بالكلام بعد ذلك».

قطب دونوفان جبينه ودَسَّ مفجرًا في جرابه الجانبي الفارغ بتفاخر، وقال: «على أي حال، هأنتذا تعمل مع طرازات الروبوتات الجديدة، هذا عملنا لا جدال. ولكن أجبني عن سؤال واحد: لماذا... لماذا يصيبهم دائمًا خلل ما».

فأجاب باول بكآبة: «لأننا ملعونان. هيا بنا!».

ومضت أضواء الروبوتات على البعد في قلب الظلام المخملي الكثيف الذي أحاط بالممرات الممتدة أمام الدوائر المنيرة لأضوائهم الكاشفة.

زفر دونوفان قائلًا: «ها هم».

فهمس باول بتوتر: «لقد حاولت الوصول إليه عبر اللاسلكي ولكنه لم يُجِب. من المحتمل أن تكون الدائرة اللاسلكية مقطوعة».

«أنا سعيد إذن أن المصممين لم يتوصلوا بعد إلى تطوير روبوتات تستطيع العمل في الظلام الدامس. لن أحبذ على الإطلاق البحث عن سبعة روبوتات مجنونة داخل حفرة سوداء ودون اتصال لاسلكي، إن لم تكن مضيئة كأشجار كريسماس مشعة».

«اصعد إلى النتوء بالأعلى يا مايك. إنهم آتون في هذا الاتجاه، وأرغب في مراقبتهم عن قرب. هل تستطيع فعل ذلك؟».

فقفز دونوفان وهو يزفر. كانت الجاذبية أقل بكثير من المستوى الطبيعي لجاذبية

الأرض، ولكن البذلة الثقيلة عوضت الفارق، وكان اعتلاء النتوء يتطلب القفز مسافة حوالي عشرة أقدام. وتبعه باول.

تبع صف الروبوتات ديف في طابور واحد، ثم وبإيقاع ميكانيكي انقسموا إلى طابورين، وعادوا إلى طابور واحد بترتيب مختلف. ثم كرروا هذه الخطوات المرة تلو الأخرى وديف لا يلتفت برأسه أبدًا.

ثم توقف العرض عندما أصبح ديف على بعد عشرين قدمًا منها، ونقضت الروبوتات المساعِدة تكوينها وتمهلت للحظة ثم تفرقت على البعد بسرعة كبيرة. وتابعهم ديف ثم جلس ببطء، وأراح رأسه على يدٍ واحدة بأسلوب بشري جدًّا.

وتردد صوته عبر سماعة باول: «هل أنت هنا يا سيدي؟».

أومأ باول إلى دونوفان، ثم هبط على الأرض من فوق النتوء.

«حسنًا يا ديف، ما الذي كان يحدث؟».

هز الروبوت رأسه وهو يقول: «لا أعرف. في لحظة كنت أتولى عملية تفجير هائلة في نفق 17، وفي اللحظة التالية اكتشفت وجودًا بشريًّا قريبًا ووجدت نفسي على بعد نصف ميل من الممر الرئيسي».

سأل دونوفان: «أين الروبوتات المساعدة الآن؟».

«عادت إلى العمل بالطبع. ما طول المدة التي أهدرَت؟».

قال باول: «ليس بالكثير. انسِ الأمر»، ثم أضاف مُحَدِّثًا دونوفان: «ابقَ معه بقية المناوبة، ثم ارجع مرة أخرى. لديَّ بعض الأفكار».

مر نحو ثلاث ساعات قبل أن يعود دونوفان، وكان يبدو عليه الإرهاق عند عودته، فسأله باول: «كيف سار الأمر؟».

هز دونوفان كتفيه بضجر: «لا يحدث أي شيء عندما تراقبهم. أعطني سيجارة من فضلك».

أشعل الرجل سيجارته بعناية مبالغ فيها ونفث دخانها بهدوء في شكل حلقة، ثم قال: «لقد كنت أفكر في الأمر يا جريج. إن خلفية ديف كما تعلم غير مألوفة كروبوت؛ فهناك ستة روبوتات أخرى تحت إمرته في نظام صارم للغاية، وحياتهم أو موتهم بين يديه، ولا بُد أن يؤثر هذا على عقليته. فلنفترض أنه رأي ضرورة أن يؤكد هذه السلطة كامتياز خاص به».

«ماذا تقصد؟».

«هذا هو ما أقصد. افترض أنه أصبح ذا ميول عسكرية، افترض أنه يُعِدّ جيشًا لنفسه، افترض أنه يدربهم على مناورات عسكرية، افترض...».

«افترض أن تقوم لتنقع رأسك في الماء. لا بُد أنك ترى كوابيسك بالألوان. إنك تفترض حدوث انحراف كبير في العقل البوزيتروني، فإن كانت تحليلاتك صحيحة، يتعين على ديف خرق القانون الأول للروبوتات: لا يجوز لأي روبوت أن يؤذي أي إنسان أو أن يسمح، بعدم اتخاذه أي رد فعلٍ، بوقوع أي أذى لأي إنسان. إن هذا النوع من التصرف العسكري والذات المتسلطة اللذين تقترحهما يجب أن تكون نهايتهما المنطقية هي السيطرة على البشر».

«حسنًا، كيف تتأكد أن هذه ليست حقيقة الأمر فعلًا؟».

«لأن أي روبوت بعقل كهذا أولًا لم يكن ليغادر المصنع أبدًا من الأساس، وثانيًا سيتم اكتشافه فورًا إن كان موجودًا أصلًا. لقد اختبرت ديف كما تعلم».

ثم دفع باول مقعده إلى الخلف ورفع قدميه فوق المكتب وأكمل: «لا، ما زلنا في المرحلة التي لا يمكن معها أن نُعدّ حساءنا لأننا ليس لدينا أدنى فكرة حول مَاهِيَّةِ العطل؛ فإذا استطعنا مثلًا أن نفهم قصة رقصة الموت التي شهدناها، سنضع أقدامنا على الطريق».

ثم صمت قليلًا واستطرد قائلًا: «اسمع يا مايك، ما رأيك في هذا؟ ديف لا يخطئ إلا عندما لا يكون أينا موجودًا، وعندما يخطئ فإن ظهور أحدنا يعيده إلى رشده».

- «لقد أخبرتك من قبل أن هذا الأمر نذير شؤم».

- «لا تقاطعني. كيف يختلف تصرف أي روبوت عندما لا يكون أي إنسان موجودًا هناك؟».

الإجابة واضحة؛ يحتاج الروبوت في هذه الحالة للاعتماد بصورة أكبر على المبادرة الشخصية، وفي هذه الحالة علينا البحث عن أجزاء الجسم التي تتأثر بهذه المتغيرات الجديدة».

اعتدل دونوفان في جلسته قائلًا: «يا إلهي!» ثم استرخى مرة أخرى واستطرد: «لا. لا. هذا لا يكفي. هذه فكرة عامة جدًا، ولا تستبعد كثيرًا من الاحتمالات».

«لا حيلة لي في ذلك. ولكن على أية حال، لا يوجد خطر من عدم تحقيق الحصة المقررة؛ نستطيع التناوب على مراقبة هذه الروبوتات من خلال لوحة العرض. وفي أي وقت يقع أي خلل نتوجه إلى موقع العمل على الفور، وهكذا سنُقوِّمهم».

«ولكن الروبوتات لن تفي بالمواصفات على أية حال يا جريج، ومع تقرير كهذا لن تتمكن يو إس روبوتس من التسويق لطرازات الـ «د ي في».

«هذا واضح. علينا أن نحدد العيب في التركيب ونصححه، ولدينا عشرة أيام فقط للقيام بهذا». حكّ باول رأسه وأضاف: «المشكلة هي ... حسنًا، يُستَحسَن أن تنظر إلى الرسوم التخطيطية بنفسك».

كانت الرسوم التخطيطية تغطي الأرض كالسجادة، فزحف دونوفان على سطحها وهو يتتبع الحركة المتقطعة لقلم باول عليها.

قال باول «هنا يأتي دورك يا مايك، فأنت خبير في جسم الروبوتات، وأريدك أن تصوب لي أي خطأ فيما أقول. لقد كنت أحاول استبعاد كافة الدوائر الكهربائية التي لا علاقة لها بمجموعة الدوائر الخاصة بالمبادرة الشخصية. هنا على سبيل المثال يوجد شريان الجذع الذي يتولى العمليات الميكانيكية، وهكذا فقد استبعدت كافة الطرق الجانبية الروتينية، كالأقسام الخاصة بالطوارئ». ثم رفع ناظريه قائلًا: «ما رأيك؟».

أحس دونوفان بمرارة في فمه وقال: «الأمر ليس بهذه البساطة يا جريج. المبادرة الشخصية ليست دائرة إلكترونية يمكنك عزلها عن البقية ثم تبدأ الفحص. عندما يعتمد الروبوت على نفسه، يشتد نشاط الجسم على الفور على كافة الأصعدة تقريبًا، ولا توجد دائرة لا تتأثر على الإطلاق. ما يتعين عمله هو تحديد الحالة المعينة التي تغير السلوك.. حالة محددة بالضبط، *وبعد ذلك* تبدأ في استبعاد الدوائر الكهربائية».

نهض باول ونفض نفسه وهو يقول «أفٍّ.. حسنًا، خذ هذه الرسوم التخطيطية وأحرقها».

فاستطرد دونوفان: «عندما يحتدم النشاط، يمكن أن يحدث أي شيء، مع وجود جزء معطل واحد فقط، كأن يتعطل العزل أو يسيل أحد المكثفات أو تحدث شرارة في إحدى الوصلات أو ترتفع حرارة أحد الملفات أكثر من اللازم. وإذا بدأت العمل على جسم الروبوت بالكامل لتختار منه دون أي معرفة، فلن تجد الجزء المعطوب أبدًا، ولو فككت ديف تمامًا واختبرت كل نقطة في آلية جسمه الواحدة تلو الأخرى، وفي كل مرة جمعته مرة أخرى، وجربته...».

«حسنًا، حسنًا، أنا أيضًا يمكنني استيعاب النتائج».

وقفا في مواجهة بعضهما البعض بيأس، ثم قال باول بحذر: «افترض أننا سألنا أحد

الروبوتات المساعدة»، لم يكن قد سبق لأي منهما التحدث مع أحد «الأصابع»، والتي كان بمقدورها التحدث؛ فهي لم تكن الشبه المثالي لإصبع الإنسان. وكانت في الواقع تتمتع بعقل متطور بمعنى الكلمة، إلا أن هذا العقل كان مُصمَّمًا في الأساس لتلقي الأوامر عبر مجال بوزيتروني، وكان رد فعلها للمحفزات المستقلة يتسم ببعض الارتباك.

كذلك لم يكن باول واثقًا من اسم الروبوت، فقد كان رقمه التسلسلي دي في 5 – 2، غير أن هذا لم يكن مفيدًا بأي حال.

لذا فقد لجأ إلى حل وسط: «انظر يا صديقي، سوف أطلب منك أمرًا يتطلب التفكير العميق بعض الوقت ثم يمكنك العودة إلى رئيسك».

أومأ «الإصبع» برأسه ببطء، ولكنه لم يجهد عقله المحدود بالتحدث.

قال باول: «لقد حدث أخيرًا أربع مرات أن انحرف رئيسك عن الخطة العقلية. هل تتذكر هذه الحوادث؟».

«نعم يا سيدي».

دمدم دونوفان بغضب: «إنه يتذكر. أخبرتك أن هناك أمرًا ينذر بشؤم شديد».

– «فلتذهب إلى الجحيم. بالطبع (الإصبع) يتذكر، فلا يوجد به أي عطل»، ثم التفت باول إلى الروبوت مرة أخرى: «ماذا كنتم تفعلون في كل مرة... أعني المجموعة كلها».

كان «الإصبع» يتحدث بأسلوب غريب كمن يتلو شيئًا يحفظه، وكأنه يجيب عن الأسئلة بفعل الضغط الميكانيكي الذي يحدثه تجويف رأسه، لكن دون أي حماس.

أجاب: «في المرة الأولى كنا نقوم بعملية تفجير صعبة في المستوى ب من النفق 17، وفي المرة الثانية كنا نقوم بتدعيم السقف للتأمين من انهيار محتمل بالكهف، وثالث مرة كنا نقوم بالإعداد لتفجيرات دقيقة لمد النفق من غير إحداث صدع تحت الأرض، وفي الرابعة كانت بعد انهيار صغير في الكهف».

– «وماذا حدث في هذه المرات؟».

– «من الصعب وصف ما حدث؛ فقد كان يَصْدُرُ لنا أَمْر، ولكن قبل أن نتمكن من استقباله وفهمه، يكون قد صدر أمر جديد بالسير بتكوين غريب».

اندفع باول قائلًا: «لماذا؟».

– «لا أدري».

هنا اندفع دونوفان بتوتر: «ماذا كان الأمر الأول... الأمر الذي أوقفته تعليمات السير؟».
- «لا أعرف. لقد شعرت أن أمرًا قد صدر، ولكن لم يتوافر قطُّ الوقت اللازم لتلقيه».
- «هل تستطيع إخبارنا بأي شيء عنه؟ هل كان هو نفس الأمر في كل مرة؟».
هز «الإصبع» رأسه بأسف وقال: «لا أدري».
عاد باول بظهره إلى الوراء: «حسنًا، عُد إلى رئيسك».
غادر «الإصبع» بارتياح واضح.
قال دونوفان: «حسنًا، لقد حصلنا على الكثير هذه المرة. الحوار بأكمله كان ذكيًا للغاية. اسمع، ديف وهذا (الإصبع) المعتوه يخفيان أمرًا ما عنا. إن ما لا يعرفانه ولا يتذكرانه أكثر من اللازم. علينا ألا نثق بهما بعد الآن يا جريج».
صفف باول شاربه في الاتجاه الخطأ وقال: «ساعدني إذن يا مايك، إذا صدرت عنك أي ملاحظة غبية أخرى فسوف أحرمك من خشخيشتك وعضاضتك[1]».
- «حسنًا. أنت العبقري هنا، وأنا مجرد غبي مسكين. ما موقفنا الآن؟».
- «نحن في مأزق. لقد حاولت الحصول على الإجابة من (الإصبع) بأسلوب عكسي، ولكني لم أستطع، لذا يجب أن نتوصل إليها مباشرة».
قال دونوفان مندهشًا: «يا لك من رجل عظيم! هذا يجعل الأمر أسهل كثيرًا، ولكن هلَّا تفضلت بالترجمة العربية يا سيدي؟».
- «بل إن ترجمتها إلى لغة الأطفال سيناسبك أكثر، ما أعنيه أننا يجب أن نعرف الأمر الذي يُصدره ديف قبل أن تشوش الأمور. سوف يكون هذا هو المفتاح».
- «وكيف تتوقع القيام بهذا؟ إننا لا يمكننا الاقتراب منه لأنه لن يحدث أي خطأ ما دمنا موجودين، ولا يمكننا التقاط الأوامر باللاسلكي؛ لأنها تُبث عبر المجال البوزيتروني، وهذا يستبعد أسلوبي على المدى القصير والبعيد، مما يجعلنا بلا حيلة».
- «بالملاحظة المباشرة هذا صحيح لكن لا يزال لدينا الاستدلال».
- «ماذا؟».

ابتسم باول بضيق: «سوف نتبادل المناوبات يا مايك، ولن نرفع أعيننا عن لوحة العرض، بل سنراقب كل حركة لهذه الكائنات الحديدية، وعندما يشرعون في تصرفاتهم الغريبة، سوف نلاحظ ما قاموا به قبلها مباشرة، ومن ثم نستنتج الأمر».

---

(1) الخشخيشة هي لعبة للأطفال تحدث قعقعة عند هزها، أما عضَّاضة الأسنان فهي حلقة من مطاط أو لدائن يعض عليها الطفل في طور الأسنان. (المصدر: قاموس المورد الوسيط)

فغر دونوفان فاه وتركه مفتوحًا دقيقة كاملة ثم قال بصوت مختنق: «أنا مستقيل.. أنا منسحب».

قال باول بضجر: «أمامك عشرة أيام للتفكير في شيء أفضل».

وهو ما حاول دونوفان بالفعل - جاهدًا - القيام به فطوال ثمانية أيام راقب بعينين مرهقتين تلك الأشكال المعدنية المتلألئة وهي تتحرك أمام الخلفية الغائمة في مناوبات مدتها أربع ساعات، ولثمانية أيام ظل طوال الساعات الأربع الأخرى يلعن يو إس روبوتس وطرز الـ «دي ڤي» واليوم الذي ولد فيه.

ثم -وفي اليوم الثامن، وعند دخول باول برأس يعاني صداعًا، وعينين ناعستين من أجل مناوبته_ وقف دونوفان وصوب بدقة متناهية وعزم شديد مَسنَدًا ثقيلًا للكتب تجاه مركز لوحة العرض بالضبط، فأحدث صوتًا عاليًا جدًا مع تناثر شظاياها.

شهق باول قائلًا: «لم فعلت هذا؟».

فأجاب دونوفان بهدوء: «لأني لن أراقب ذلك مرة أخرى. لم يتبق أمامنا سوى يومين ولم نتوصل لشيء بعد. إن دي ڤي 5- خسارة كبيرة. لقد توقف عن العمل خمس مرات منذ بدأت أنا في المراقبة، وثلاث مرات في مناوباتك أنت، ولا أستطيع التوصل إلى الأوامر التي أصدرها، ولم تستطع أنت كذلك التوصل إليها، ولا أعتقد أنك قادر على التوصل إليها على الإطلاق؛ لأني أعرف أنني لست قادرًا على ذلك أبدًا».

«كيف يمكنك مراقبة ستة روبوتات في الوقت نفسه؟ وأحدها يعمل بيديه والآخر بقدميه والثالث يعمل كالطاحونة والرابع يقفز كالمجنون، والاثنان الآخران... من يدري ماذا كانا يفعلان. ثم يتوقفون جميعًا. إذن! إذن!».

- «جريج، نحن لا نقوم بالأمر بالطريقة السليمة. علينا الاقتراب، وعلينا مراقبة ما يفعلون من حيث نستطيع مشاهدة التفاصيل».

سادت فترة من الصمت الثقيل، قطعه باول قائلًا: «نعم وننتظر حدوث خطأ ما ولم يتبق أمامنا سوى يومين».

- «هل المراقبة من هنا أفضل حالًا؟».

- «أكثر راحة على الأقل».

- «ولكن يوجد شيء يمكنك فعله هناك، ولا يمكنك فعله من هنا».

- «وما هو؟».

- يمكنك إجبارهم على التوقف وقتما شئت، بينما تستعد وتراقب لمعرفة ما يحدث».

انتفض باول منتبهًا: «كيف؟».

- «فكر في الأمر بنفسك، ألست تدعي أنك العقل؟ اسأل نفسك بضعة أسئلة. متى يفقد دي في5- رشده؟ متى قال ذاك (الإصبع) إنه فعل ذلك؟ عندما يكون هناك تهديد بحدوث انهيار في الكهف، أو حدث بالفعل، وعند عمل انفجارات محسوبة بدقة شديدة، وعند ضرب عرق معدني قوي».

هنا تحمس باول: «بعبارة أخرى في حالات الطوارئ».

«صحيح! متى توقعت أن يحدث هذا! إنه عامل المبادرة الشخصية الذي يسبب لنا المشكلة، والمبادرة الشخصية تكون في أشدها في حالات الطوارئ وعند غياب أي إنسان، إذنٍ ما الاستنتاج المنطقي هنا؟ كيف نستطيع إيقافهم كما نريد وقتما وأينما شئنا؟»، ثم كفَّ عن الحديث وهو يشعر بالانتصار وكان قد بدأ لتوه في الاستمتاع بدوره حتى إنه أجاب عن سؤاله بنفسه ليحبط الإجابة الجلية على لسان باول «من خلال خلق حالة الطوارئ الخاصة بنا».

فقال باول: «مايك أنت على حق».

- «أشكرك يا صديقي. كنت أعرف أني سأقوم بهذا يومًا ما».

- «حسنا، ولكن تخطَّ مرحلة التهكم. سنوفرها حتى نعود إلى الأرض، ونحفظها في جرار من أجل فصول الشتاء الطويلة في المستقبل. ولكن حتى ذلك الحين ما هي حالات الطوارئ التي نستطيع ترتيبها؟».

- «كان يمكن أن نغمر المناجم بالماء، لولا أن هذا الكويكب عديم الهواء».

فقال باول: «هذه مزحة لا محالة. سـوف تقتلني من الضحـك فعـلًا يا مايك. ما رأيك في انهيار محدود؟».

زم دونوفان شفتيه وقال: «حسنًا، أنا سأقوم به».

- «جيد. هيا نبدأ».

انتاب باول شعور قوي بأنه كالمتآمر وهو يشق طريقه فوق الأرض الصخرية، وكان يترنح في مشيته على الأرض المتكسرة بسبب الجاذبية دون العادية، وكانت الصخور تتطاير يمنة ويسرة تحت وزنه في ارتطامات ساكنة تثير غُبارًا رمادي اللون، إلا أنه من وجهة نظره كان يزحف زحفًا حذرًا كشخص يدبر مكيدة.

- «هل تعرف أين هم؟».
- «أعتقد ذلك يا جريج».

قال باول متجهما: «حسنًا، ولكن إذا أصبح أي (إصبع) على مسافة عشرين قدمًا منا، فسيشعر بوجودنا، سواء كُنَّا في مجال رؤيته أم لا. آمل أنك تعرف ذلك».

«إذا أردت دورة تمهيدية في علم الروبوتات، فسوف أملأ طلبًا رسميًا من ثلاث نسخ لكي تعلمني. انزل من هنا».

كانا قد وصلا إلى الأنفاق الآن، حتى إن ضوء النجوم كان قد اختفى. احتضن الاثنين الجدارُ، والأضواء تومض على الطريق في انفجارات متقطعة؛ فتحسس باول جهاز التفجير الخاص به للتأكد من سلامته.

- «هل تعرف هذا النفق يا مايك؟».
- «ليس تمامًا، إنه نفق جديد. أعتقد أني أستطيع تعرُّفه مما شاهدته على لوحة العرض، على الرغم من...».

مرت الدقائق طويلة كالدهر، ثم قال مايك: «هل شعرت بهذا؟!».

حدث اهتزاز ضعيف حرك الجدار الملاصق لأصابع باول المغلفة بقفاز معدني، ولم يكن هناك صوت بطبيعة الحال.

- «انفجار! نحن قريبان للغاية».

فقال باول: «أبق عينيك مفتوحتين».

أومأ دونوفان بنفاد صبر.

كانت الروبوتات على وشك الاقتراب منهما وذهبت قبل أن تتمكن من التقاط وجودهما، مجرد وميض برونزي على امتداد مجال رؤيتهما. تشبثا ببعضهما في صمت.

همس باول: «هل تعتقد أنهم شعروا بوجودنا؟».

- «أتمنى ألا يكونوا قد فعلوا. ولكن يستحسن أن نحيط بهم. اتجه ناحية أول نفق جانبي إلى اليمين».
- «افترض أننا تخطيناهم؟».

زفر دونوفان بقوة قائلًا: «ماذا تريد أن نفعل؟ نعود أدراجنا؟ إنهم على بعد ربع ميل. لقد كنت أشاهدهم عبر لوحة العرض، أليس كذلك؟ وليس أمامنا سوى يومين...».

«اصمت! أنت تهدر الأكسجين الخاص بك. هل هذا ممر جانبي؟». ثم ومض الضوء، فأردف قائلًا: «إنه ممر جانبي، هيا بنا».

كان الاهتزاز أقوى بكثير، واهتزت الأرض تحتهم بقوة.

فقال دونوفان: «هذا جيد، ولكن هذا إن لم يفتضح أمرنا». ثم رفع بطاريته إلى الأمام بلهفة.

كان بإمكانهم لمس السقف بيد نصف ممدودة وكانت الدعامات جديدة.

تردد دونوفان: «نهاية مغلقة. هيا نَعُدْ».

«لا ، تمهل» حشر باول نفسه للمرور ثم قال: «هل هذا ضوء بالأمام؟».

«ضوء؟ لا أرى أي ضوء. أين قد يوجد أي ضوء هنا؟».

قال وهو يزحف وينحني برفق على يديه وقدميه: «ضوء روبوتات». ووصل صوته أجش وقلقًا إلى أذني دونوفان: «مايك، تعال هنا».

كان هناك ضوء، فزحف دونوفان إلى أعلى وتخطى ساقي باول الممددتين، ثم سأل: «فتحة؟».

- «نعم، لا بُد أنهم يعملون الآن على الجانب الآخر من هذه الفتحة، على ما أعتقد».

شعر دونوفان بالحواف المُثلَّمة للفتحة التي أطلت على ما بدا في ضوء البطارية كنفق أكبر حجمًا يمثل ممرًّا رئيسيًّا دون شك، غير أن الفتحة كانت أصغر من أن تسمح بمرور رجل واحد من خلالها، وتكاد تكون غير كافية لينظر رجلان معًا.

قال دونوفان: «لا يوجد شيء هناك».

- «حسنًا، لا يوجد الآن، ولكن كان يوجد منذ ثانية واحدة، وإلا لما كنا رأينا أي ضوء. احترس!».

اهتزت الجدران من حولهم وشعروا بأثر الاهتزاز؛ إذ سقط عليهم وابل من الغبار الناعم. رفع باول رأسه بحذر ونظر مرة أخرى: «حسنًا يا مايك، إنهم هناك».

تجمعت الروبوتات ذات الوميض على بعد خمسين قدمًا في الممر الرئيسي، وكانت أذرعها المعدنية تعمل بجد وقوة للتخلص من كومة المخلفات التي نتجت عن الانفجار الأخير.

استحثه دونوفان بلهفة قائلًا: «لا تضيع الوقت، لن نمكث طويلًا قبل أن يمروا من هنا، وقد يطالنا الانفجار التالي».

فقال باول: «لا تستعجلني بالله عليك». ثم بدأ يُعدُّ المفجر، وبحثت عيناه بتوتر في أرجاء الخلفية المعتمة التي كان الضوء الوحيد الساقط عليها هو ضوء الروبوتات وكان من المستحيل التمييز بين النتوءات الصخرية والظلال.

- «هناك بقعة في السقف، أتراها؟ فوقهم تقريبًا. لم يدمرها التفجير الأخير تمامًا. إذا استطعت ضربها في القاعدة فسوف يقع نصف السقف».

تتبع باول الإصبع المعتم قائلًا: «تحققت منها! الآن ركز عينيك على الروبوتات ولندعُ ألا يبتعدوا عن هذا الجزء من النفق، فهم مصدر الضوء الذي أعتمد عليه. هل السبعة هناك؟».

عدَّهُم دونوفان ثم أجاب: «جميعًا».

- «حسنًا، راقبهم إذن، وانتبه لكل حركة!».

رُفعَ المُفجِّر وظل على توازنه، بينما كان دونوفان يراقب ويصب لعناته ويطرف عينيه ليطرد منهما العرق.

ثم أُضيء المُفجِّر!

وفجأة حدثت رجة، تلتها سلسلة من الاهتزازات العنيفة، وصوت مكتوم لتصادم ألقى «باول» بقوة فوق دونوفان.

صاح دونوفان محتجًا: «جريج، لقد أطحت بي، أنا لم أرَ شيئًا».

حدَّق باول حوله بعنف وتساءل: «أين هم؟».

ولكن دونوفان تغشَّته حالة غبية من الصمت، ولم يكن هناك ما يشير إلى وجود الروبوتات. كان المكان مظلمًا كأعماق نهر ستيكس.

تساءل دونوفان بصوت متهدج: «أتظن أننا دفنَّاهُم؟».

«هيا بنا ننزل إلى هناك، ولا تسألني عما أظن»، وزحف إلى الخلف بسرعة متعثرة.

- «مايك!».

توقف دونوفان قليلًا قبل أن يتبعه، وسأل: «ما الذي حدث الآن؟».

- «تمهل!» - وصلت أنفاس باول إلى أذني دونوفان مضطربة وغير مستقرة - «مايك، هل تسمعني يا مايك؟».

- «أنا هنا، ما الأمر؟».

- «إننا محبوسان، لم يكن السقف الذي تهدم على بعد خمسين قدمًا هو الذي ضربنا، بل سقفنا نحن. لقد انهار من أثر صدمة الانفجار!».

«ماذا؟». ثم زحف دونوفان دافعًا حاجزًا صلبًا؛ فقال: «أضئ الكشاف اليدوي».
أضاءه باول، ورأى أنه لم يكن هناك مكان في أي جهة يسمح حتى لأرنب بالدخول.
فقال دونوفان بصوت خفيض: «حسنًا، ماذا تعرف؟».

أنفق الرجلان بعض اللحظات والقوة العضلية في محاولة تحريك العائق الذي يسد طريقهما، وأضاف باول إلى هذا محاولة نبش حواف الفتحة الأصلية، وللحظة رفع المفجر الخاص به، ولكن في مثل هذه المساحة الضيقة فإن أي شعلة تعني الانتحار، وهو ما كان يدركه؛ فجلس.

وقال لدونوفان: «أتعرف يا مايك، لقد أفسدنا هذه المحاولة فعلًا. إننا لم نقترب حتى من اكتشاف ما يحدث لـ (ديف). لقد كانت فكرة جيدة ولكنها انفجرت في وجهينا».

نظر دونوفان بامتعاض وحدة تبددا وسط الظلام وقال: «أكره أن أزعجك يا صديقي العجوز، ولكن بصرف النظر عما نعرفه أو لا نعرفه فيما يتعلق بـ (ديف)، نحن عالقان هنا إلى حد ما. وما لم نخرج يا صديقي فسوف نموت. ن م وت. نموت! فما كمية الأكسجين التي لدينا على أية حال؟ لن تكفي لأكثر من ست ساعات».

«لقد خطر هذا على بالي»، وارتفعت أصابع باول إلى شاربه المعذب دومًا، ونقر بلا جدوى على لوحة رؤيته الشفافة، ثم استطرد قائلًا: «لا شك أنه كان بمقدورنا إحضار ديف ليحفر ويخرجنا من هنا بسهولة، لولا أن حالة الطوارئ الثمينة التي تسببنا فيها لا بُد أنها أبعدته عن هنا، وبالتالي فإن دائرته اللاسلكية خارج نطاقنا».

- «أوليس هذا طريفًا؟».

دفع دونوفان رأسه ونجح في إخراجه وهو داخل خوذته المعدنية من الفتحة التي كانت ضيقة للغاية بالنسبة له.

- «جريج!».

- «ماذا؟».

«لنفرض أنَّا تمكنَّا من إحضار ديف داخل نطاق العشرين قدمًا، فسوف يعود إلى حالته الطبيعية وينقذنا».

- «بالتأكيد، لكن أين هو؟».

- «عند نهاية الممر.. بالأسفل. يا إلهي! كُفَّ عن جَذْبي حتى لا يخرج رأسي من خوذته. سوف أعطيك فرصتك للنظر».

أخرج باول رأسه من الفتحة بصعوبة: «لقد نجحنا. انظر إلى هؤلاء الحمقى، لا بُد أنهم يؤدون رقصة باليه».

– «لا داعي للتعليقات الساخرة. هل يقتربون؟».

– «لا أستطيع الجزم بعد؛ فهم بعيدون للغاية. امنحني فرصة. ناولني الكشاف اليدوي! سوف أحاول أن ألفت انتباههم به».

ولكنه فقد الأمل بعد دقيقتين قائلًا: «لا فائدة! لا بُد أنهم عميان. يا إلهي! إنهم يقتربون. يا إلهي!».

فقال دونوفان:«دعني أرى!».

ثم حدث عراك صامت، قال باول بعده: «حسنًا!». فأخرج دونوفان رأسه.

كانوا يقتربون في تلك اللحظة، وكان ديف يتقدم الطريق في الأمام، بينما بدت الأصابع الستة من خلفه كطابور واحد متماسك.

فتعجب دونوفان: «ماذا يفعلون؟ هذا ما أريد معرفته. إنهم يبدون كما لو كانوا في رقصة فيرجينيا ريلٍ، وديف هو رئيسهم، وإلا فما شاهدتها قطُّ من قبل».

تذمر دونوفان قائلًا: «ارحمني من توصيفاتك. ما مدى قربهم؟».

«حوالي خمسة وخمسين قدمًا وهم يتجهون ناحيتنا، وسوف نتحرر خلال خمس عشرة دقيقة .. آه،لا،لا ...أنتم!».

«ماذا يحدث؟». ولكن باول استغرق بضع لحظات ليفيق من دهشته على صوت دونوفان: «هيا، امنحني فرصة للنظر خلال هذه الفتحة. لا تكن أنانيًّا».

وصارع حتى اخترق طريقه إلى الأعلى، ولكن دونوفان ركل برجليه بعنف قائلًا: «لقد انحرفوا فجأة عن اتجاههم يا جريج. إنهم يغادرون. ديف! ديـ–يـ–يف!».

صاح به باول: «وما فائدة هذا أيها الأبله؟ لن يصل صوتك».

فقال دونوفان لاهثًا: «اركل الجدران إذن، اضربها، حاول إحداث بعض الذبذبات. علينا جذب انتباههم بشكل ما يا جريج، وإلا متنا»، وأخذ يضرب كالمجنون.

هزه باول قائلًا: «انتظر يا مايك انتظر، اسمع؛ فأنا لديَّ فكرة. هذا هو الوقت المناسب للعودة إلى الحلول البسيطة. يا مايك!».

«ماذا تريد؟» وجذب دونوفان رأسه إلى الداخل.

– «دعني آخذ مكانك بسرعة قبل أن يخرجوا من مجال الرمي».

- «يخرجون من مجال الرمي! ماذا ستفعل؟ أنت، ماذا ستفعل بهذا المُفجِّر؟». ثم جذب ذراع باول.

ولكن باول تخلص من قبضته بعنف وهو يقول: «سوف أطلق بعض الطلقات».

- «لماذا؟».

- «فيما بعد.. ولكن دعني أرى أولًا إن كان هذا سيُجدي، وإن لم يُجدِ، إذن.. فابتعد عن الطريق ودعني أصوب!».

كانت الروبوتات قد أصبحت مجرد ومضات خافتة صغيرة، وكانت تتضاءل بشكل متزايد على البعد، فقام باول بضبط جهاز التصويب بتوتر، وجذب الزناد ثلاث مرات، ثم خفض المسدس وركز بصره بإصرار، ثم وقع أحد الروبوتات المساعدة! ولم يعد هناك سوى ستة أشكال مضيئة الآن.

تحدث باول عبر جهاز إرساله بتردد: «ديف!».

مرت فترة صمت، ثم تردد الجواب في أذني الرجلين: «سيدي؟ أين أنت؟ لقد انفجر صدر مساعدي الثالث، وقد خرج من الخدمة».

فقال له باول: «لا يهم المُساعِد. إننا عالقون تحت أحد الانهيارات في المكان الذي كنت تقوم فيه بالتفجيرات. هل تستطيع رؤية كشافاتنا؟».

- «بالطبع. سوف نصل في الحال».

جلس باول مرة أخرى واسترخى قائلًا: «هذا يا صديقي هو الكلام المفيد».

قال دونوفان بصوت خفيض يتهدج بالدمع: «حسنًا يا جريج، لقد ربحت، وأنا أحني رأسي على الأرض أمام قدميك، والآن لا تقل لي أي هراء، فقط اشرح لي بهدوء ماذا كان هذا».

«المسألة بسيطة. كل ما في الأمر أننا طوال الوقت لم نلحظ الأمور الواضحة كالعادة. لقد كنا نعرف أن المشكلة في دائرة المبادرة الشخصية، وأن تلك الحوادث كانت تقع في حالات الطوارئ، ولكننا ظللنا نبحث عن أمر معين يتسبب في حدوثها. ولماذا يجب أن يكون هناك أمر معين؟».

- «ولم لا؟».

- «حسنًا، لم لا يكون نوعًا من الأوامر؟ ما نوع الأوامر الذي يتطلب أعلى قدر من المبادرة؟ ما نوع الأوامر الذي يكاد يحدث في حالات الطوارئ دائمًا؟».

- «لا تسألني يا جريج. أخبرني!».

- «سأفعل! إنه الأمر السداسي. في كل الأوضاع العادية، يقوم واحد أو أكثر من (الأصابع) بأعمال روتينية لا تتطلب أي إشراف دقيق تمامًا، كما تتولى أجسادنا حركات المشي الروتينية بأسلوب تلقائي. ولكن في حالات الطوارئ، يتعين أن يتم تعبئة الروبوتات الستة المساعدة على الفور وفي وقت متزامن، ويتعين على ديف التعامل مع الروبوتات الستة في نفس اللحظة، وبالتالي يحدث خطأ ما. أما البقية فكانت سهلة. أي انخفاض في المبادرة المطلوبة، كوصول آدميين مثلًا، يعيده إلى صوابه؛ لذا فقد دمرت واحدًا من الروبوتات، وعندما فعلت هذا، أصبح ديف يصدر أوامره لخمس جهات فقط، فتقل المبادرة ويعود لطبيعته».

فاستفسر منه دونوفان: «كيف توصلت إلى كل هذا؟».

- «مجرد تخمين منطقي، وجربته فنجح».

عاد صوت الروبوت إلى آذانهم مرة أخرى: «هأنذا. هل تستطيعان التحمل لمدة نصف ساعة؟».

أجاب باول: «بكل سهولة!»، ثم وجه حديثه إلى دونوفان متابعًا: «والآن ينبغي أن يكون الأمر سهلًا. سوف نراجع الدوائر، ونُعلِّم على كل جزء يقوم بعمل إضافي في حالة توجيه الأمر إلى ستة روبوتات مقارنة بتوجيهه إلى خمسة. ما حجم المجال الذي ستتعامل معه في هذه الحالة؟».

فكر دونوفان ثم أجاب: «ليس كبيرًا على ما أظن. إذا كان ديف شبيهًا بالطراز الأوليّ الذي رأيناه في المصنع، فسنجد دائرة تنسيق خاصة هي الجزء الوحيد الذي ستتعامل معه»، ثم تهللت أساريره فجأة وقال باندهاش: «لن يكون هذا سيئًا على الإطلاق، سوف يكون سهلًا».

- «حسنًا. أنت فكر بالأمر وسوف نراجع الرسوم التخطيطية عندما نعود. أما الآن فسوف أسترخي حتى يصل ديف إلينا».

- «انتظر! أخبرني عن أمر واحد. ماذا عن تلك المارشات الغريبة والخطوات الراقصة العجيبة التي كانت الروبوتات تقوم بها كلما أصابها خطب ما؟».

- «لا أعرف هذا، ولكن لدي فكرة. أتذكر أن هذه الروبوتات المساعدة كانت (أصابع) ديف؟ لقد كنا نقول هذا على الدوام. حسنًا، أقول إنه في جميع هذه الفواصل

وعندما كان ديف يتحول إلى مريض نفسي، كان يدخل في نوبة جنون، يقضي خلالها وقته عابثًا بأصابعه».

كانت سوزان كالفِن تتحدث عن باول ودونوفان باستمتاع، ولكن دون ابتسام، ولكن عندما كانت تتحدث عن الروبوتات كانت تعتري صوتها نبرة دفء. ولم تستغرق وقتًا للبدء في التحدث عن سبيدي وكيوتي وديف، حتى إني اضطررت لإيقافها، وإلا كانت ستسرد قصص العشرات غيرهم.

قلت لها: «ألا يحدث أي شيء على سطح الأرض؟».

نظرت إليَّ... وقد قطبت جبينها بعض الشيء: «لا، لا يحدث الكثير فيما يتعلق بالروبوتات هنا على الأرض».

– «هذا سيئ جدًّا. أعني أن مهندسي الاختبارات الميدانية لديكم رائعون، ولكن ألا يمكن أن نضمك إلى ما نتحدث عنه؟ ألم يحدث قطُّ أن تعطل أحد الروبوتات معك؟ هذا احتفالك السنوي كما تعلمين».

وأقسم أن وجنتيها توردتا، ثم قالت: «لقد تعطلت الروبوتات معي. يا إلهي، منذ متى لم أفكر في هذا الأمر؟ لقد حدث ذلك قبل أربعين عامًا، بالضبط! في عام 2021! كنت حينها في الثامنة والثلاثين فقط. يا إلهي! أفضل عدم التحدث عن هذا الأمر».

انتظَرْت وغيرت هي رأيها بلا شك؛ فأردفَت قائلة: «ولم لا؟ لن يضيرني ذلك الآن. حتى الذكرى لن تجرحني. لقد كنت حمقاء ذات مرة أيها الشاب. هل تصدق هذا؟».

أجبتها: «لا».

– «كنت حمقاء، ولكن هيربي كان (روبوت) يستطيع قراءة أفكارك».

– «ماذا؟».

– «كان فريدًا من نوعه، في الماضي أو منذ ذلك الحين حتى الآن. غلطة ما ...».

كــاذب!

أشعل ألفريد لانينج سيجاره بهدوء. رغم أن أطراف أصابعه كانت ترتعش رعشه خفيفة وتدلى حاجباه الرماديان وهو يتحدث وينفث دخان سيجاره.

«حسنًا، إنه يقرأ الأفكار- لا شك في هذا! ولكن لماذا؟»، ثم نظر إلى عالم الرياضيات بيتر بوجرت مستفسرًا: «إذن؟».

سوَّى بوجرت شعره الأسود إلى الأسفل بكلتا يديه وأجاب: «إنه الروبوت الثالث والأربعون الذي ننتجه من طراز آر بي يا لانينج. الآخرون كلهم كانوا عاديين تمامًا».

فقطب الرجل الثالث الجالس حول الطاولة جبينه. كان ميلتون آش أصغر مديري شركة يو إس روبوتس غير الفنير وكان فخورًا بمنصبه.

- «اسمع يا بوجرت، لم تكن هناك أي مشكلة في التجميع من البداية حتى النهاية. أنا أضمن ذلك».

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي بوجرت الغليظتين وقال له: «حقًّا؟ إن كنت تستطيع تحمل مسئولية خط التجميع بالكامل، فسأوصي بترقيتك. إن عدد العمليات اللازمة لتصنيع عقل بوزيتروني واحد فقط يبلغ بالضبط خمسًا وسبعين ألفًا ومائتين وأربعًا وثلاثين عملية، وتعتمد كل عملية من تلك العمليات حتى تتم بنجاح على عدد غير محدد من العوامل - من خمسة إلى مائة وخمسة، وفشل أي عملية منها يؤدي لتدمير «العقل»، وأنا أنقل كلامي عن ملف معلوماتنا يا آش».

احمر وجه ميلتون آش، ولكنَّ صوتًا رابعًا منعه من الرد.

- «إن كنَّا سنبدأ بإلقاء اللوم على بعضنا البعض، فسوف أغادر». كانت سوزان كالفِن تضم قبضتيها بقوة في حجرها.

وقد صارت الخطوط الصغيرة المحيطة بشفتيها الرفيعتين الشاحبتين بين أيدينا أمام روبوت قارئ للأفكار، وأرى أن الأهم أن نكتشف لماذا يقرأ الأفكار، ولن نستطيع ذلك عن طريق قول: «هذا خطؤك، هذا خطئي!

ثم ثبتت عينيها الرماديتين الباردتين على آش الذي ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة.

ابتسم لانينج كذلك الابتسامة العريضة نفسها، وكالعادة في مثل هذه المواقف بدا بشعره الأبيض الطويل وعينيه الصغيرتين المليئتين بالفطنة كرجل دين وهو يقول: «قول ملائم لكِ يا دكتورة سوزان».

ثم تحول صوته فجأة وقال بنبرة صارمة: «إليكم الأمر باختصار. لقد أنتجنا عقلًا بوزيترونيًا يُفترض أنه تقليدي، ولكنه يتمتع بخاصية متميزة تجعله قادرًا على التقاط موجات التفكير، ولربما كان هذا أهم تطور يحدث في علم الروبوتات منذ عقود، لو كنا نعرف كيف حدث ذلك، ولكننا لا نعرف، وعلينا أن نتوصل لذلك. هل هذا واضح؟».

سأل بوجرت: «هل أستطيع التقدم باقتراح؟».

- «تفضل».

- «أقترح أنه لحين اكتشاف سر هذه الفوضى - وأتوقع باعتباري عالم رياضيات أن تكون فوضى عارمة - أن نحافظ على وجود آر بي34- سرًا. أعني عن الزملاء الآخرين، ولا يفترض أن يكون ذلك أمرًا معقدًا بالنسبة لنا بصفتنا مديري إدارات، وكلما قل من يعلمون بالأمر...».

قاطعته الدكتورة سوزان: «بوجرت على حق؛ فقد تصاعدت الحملة المناهضة للروبوتات منذ تم تعديل قانون التنسيق بين الكواكب ليسمح باختبار طرازات الروبوتات على الكواكب قبل شحنها إلى الفضاء، وإذا تسربت كلمة واحدة عن وجود روبوت قادر على قراءة الأفكار قبل أن نتمكن من الإعلان عن سيطرتنا التامة على الأمر، فسوف يمكن تحقيق رأس مال جيد».

سحب لانينج نفسًا من سيجاره وأومأ بجدية، ثم التفت إلى آش قائلاً: «أظن أنك قلت إنك كنت وحدك عندما اكتشفت بالمصادفة مسألة قراءة الأفكار هذه».

«نعم كنت وحدي - وواجهت أكثر المواقف رعبًا في حياتي. كانوا قد انتهوا لتوهم من تجميع آر بي34- وأرسلوه إليَّ، وكان أوبرمان قد ذهب إلى مكان ما، فأخذته أنا إلى قاعات الاختبار بنفسي - أو على الأقل شرعت في ذلك».

وتوقف آش للحظة وجاهدت ابتسامة واهنة للارتسام على شفتيه ثم أردف: «هل أجرى أي منكم محادثة ذهنية من قبل دون أن يشعر؟».

لم يكترث أحد بالرد وتابع هو: «في البداية لا تدركون ما يحدث. لقد تحدث لتوه إليَّ - بأعلى درجات العقل والمنطق التي تتخيلونها - ولم أدرك أني لم أنبس بكلمة إلا بعد أن قطعت معظم الطريق هبوطًا إلى قاعات الاختبار. لا شك أني فكرت في العديد من الأشياء، ولكن هذا ليس الشيء نفسه، أليس كذلك؟ لقد حبست هذا الكائن وفررت إلى لانينج، فمجرد سيره بجواري وهو يخترق أفكاري ويتخير منها ما يشاء أصابني بعصبية وتوتر شديدين».

«أتخيل ذلكِ». قالتها سوزان كالفِن وهي مستغرقة في التفكير، وثبتت ناظريها على آش بتركيز غريب وقالت: «نحن معتادون على اعتبار أفكارنا أمرًا شخصيًّا».

قاطعهم لانينج بفراغ صبر: «إذن لن يعلم إلا نحن الأربعة. حسنًا! يجب أن نتعامل مع الأمر بأسلوب منظم. آش أريدك أن تفحص خط التجميع من بدايته إلى نهايته - كله، وأن تستبعد كافة العمليات التي لا يوجد بها احتمال للخطأ، ثم تُعِد قائمة بالعمليات التي يوجد بها هذا الاحتمال مشتملة على طبيعة كل خطأ وحجمه المحتمل».

زفر آش: «يا لها من مهمة عسيرة!».

«طبعًا! وبالتأكيد سوف تكلف مرءوسيك بالقيام بها - كلهم لو اضطررت لذلك، ولا أبالي إن تأخرنا عن المواعيد المحددة، ولكن يجب ألا يعرفوا السبب، مفهوم؟».

همهم قائلًا: «نعم!». وابتسم عالم الرياضيات الشاب باستياء، ثم أردف: «ولكنها تظل مهمة مميزة».

دار لانينج بمقعده وواجه كالفِن: «سيكون عليكِ التعامل مع المهمة من المنظور الآخر. أنتِ عالمة نفس الروبوتات في المصنع؛ لذا سوف تتولين دراسة الروبوت نفسه والعمل عكسيًّا. حاولي أن تكتشفي كيف يعمل، ولاحظي العناصر الأخرى المرتبطة بقوى التخاطر لديه، ومدى امتدادها، وكيف تؤثر على موقفه، والضرر الذي أحدثته بخصائصه العادية كروبوت آر بي. أفهمتِ؟».

لم ينتظر لانينج الرد من الدكتورة سوزان: سأتولى تنسيق العمل وتفسير النتائج

رياضيًا»، ثم نفث دخان سيجاره بعنف، وغمغم ببقية حديثه مع الدخان: «وسوف يساعدني بوجرت في ذلك بالطبع».

مسح بوجرت أظافر يده المكتنزة القصيرة بالأخرى وقال بهدوء: «أحسب أني أعرف القليل عن الخط».

دفع آش مقعده إلى الخلف ونهض قائلًا: «حسنًا.. سوف أبدأ العمل»، وارتسمت ابتسامة على وجهه الشاب الوسيم وهو يضيف: «أنا أتولى المهمة الأصعب بيننا جميعًا؛ لذا سأخرج من هنا وأبدأ العمل».

وغادر وهو يقول بصوت غير واضح: «أراكم لاحقًا!».

ردَّت سوزان كالفِن بإيماءة تكاد لا تُلاحَظ، ولكنها تابعته بعينيها حتى اختفى تمامًا ولم تُجِب حينها تنحنح لانينج، وسألها: «هل ترغبين في الذهاب لرؤية آر بي34- الآن يا دكتورة سوزان؟».

رفع آر بي34- عينيه الكهروضوئيتين عن الكتاب عند سماعه الصوت المكتوم لدوران مفصلات الباب، ثم انتصب واقفًا عندما دخلت سوزان كالفِن.

توقفت قليلاً لتُعدِّل لافتة «ممنوع الدخول» الضخمة على الباب ثم دنت من الروبوت:

- «أحضرت لك الكتب الخاصة بالمحركات الهايبر-أتوميك يا هيربي - بعضًا منها على أية حال، هلَّا ألقيت نظرة عليها؟».

أخذ آر بي34- - المعروف كذلك باسم هيربي - الكتب الثلاثة الثقيلة منها، وفتح أحدها على صفحة العنوان.

غمغم لنفسه بأسلوب مبهم فيما هو يقلب الصفحات: «إمم! (نظرية علم الهايبر-أتوميك)..». ثم قال بشرود: «اجلسي يا دكتورة سوزان! سوف أستغرق بضع دقائق».

جلست عالمة النفس وتابعت هيربي بدقة وهو يجذب مقعدًا من على الجانب الآخر للطاولة بينما يطالع الكتب الثلاثة بطريقة آلية.

وبعد مرور نصف ساعة وضعها وقال: «أنا أعلم بالطبع سبب إحضارك هذه الكتب».

ارتعش طرف شفة الدكتورة سوزان: «خشيت ذلك. من الصعب العمل معك يا هيربي؛ فأنت تسبقني دومًا بخطوة».

«هذه الكتب كغيرها لا تثير اهتمامي. ليس هناك شيء مثير للاهتمام في كتبكم، وعلمكم لا يتعدى كونه مجموعة من المعلومات المُجمَّعَة المُلصَقة معًا من خلال نظريات مؤقتة - وجميعها بسيطة لحد لا يُصدَّق، لدرجة أنها نادرًا ما تستحق أن يكترث المرء لها.

خيالكم هو ما يثير اهتمامي؛ دراساتكم لتفاعل الدوافع والمشاعر البشرية»، وحرك يديه الضخمتين بحركات مبهمة وهو يبحث عن الكلمات المناسبة.

همست الدكتورة سوزان: «أظن أني أفهم».

فتابع الروبوت: «أنا أقرأ الأفكار كما تعلمين، وليس لديكِ أدنى فكرة كم هي معقدة، ولا يمكنني استيعاب كل شيء؛ لأن عقلي يختلف كثيرًا عن عقولكم، لكنني أحاول، ورواياتكم تساعدني».

«نعم، ولكنني أخشى أنك بعد قراءة بعض التجارب العاطفية الموجعة التي تقصها رواياتنا الوجدانية المعاصرة- وكان صوتها يشوبه شيء من المرارة - سوف تجد العقول الحقيقية كعقولنا مملة وغير ممتعة».

«ولكني لا أرى هذا!».

جعلها الحماس المفاجئ في رده تهب واقفة، وشعرت بحمرة وجهها، وهي تقول لنفسها: «لا بُد أنه يعرف!».

هدأت نبرة هيربي فجأة وغمغم بصوت خفيض تلاشى منه الجرس المعدني تمامًا تقريبًا: «بالطبع أعرف يا دكتورة سوزان. أنت تفكرين في الأمر على الدوام، فكيف أمنع نفسي من ذلك؟».

اكتسى وجهها تعبير صارم وسألته: «هل أخبرت أحدًا؟».

«بالطبع لا!». قالها بدهشة بالغة وتابع: «لم يسألني أحد».

فاندفعت قائلة: «أعتقد أنك تظنني حمقاء».

- «لا! إنه شعور طبيعي».

- «ربما هذا هو سبب تفاهته»، وطغى الأسى في صوتها على كل شيء آخر،

ولاح من وراء قناع الدكتورة الذي تختفي وراءه شيء من طبيعتها كامرأة: «لست ممن يمكن وصفها بأنها... جذابة».

«إن كنتِ تقصدين جاذبية المظهر فقط فأنا لا أستطيع الحكم على هذا، ولكني أعلم على أية حال أن هناك أنواعًا أخرى من الجاذبية».

تابعت الدكتورة سوزان وكأنها لم تسمع ما قاله الروبوت: «ولا شابة».

فقال هيربي بلهفة وإصرار «لم تبلغي الأربعين بعد».

«ثمانية وثلاثون إذا حسبتها بالسنين، وستون إذا ما حسبتها بنظرتي العاطفية للحياة. وهل أنا عالمة نفس بلا جدوى؟».

وتابعت بصوت متهدج ملأته المرارة: «وهو بالكاد في الخامسة والثلاثين من عمره، ويبدو ويتصرف كما لو كان أصغر سنًّا. هل تعتقد أنه يرى في أي شيء سوى... ما أنا عليه؟».

«أنت مخطئة!» وضرب بقبضته الحديدية على السطح البلاستيكي للطاولة مُحدِثًا رنينًا حادًّا: «استمعي إلي ...».

ولكن سوزان كالفن التفتت إليه في هذه اللحظة وقد تحول الألم الدفين بعينيها إلى لهيب مشتعل: «ولم يجب عليَّ؟ ماذا تعرف أنت عن الأمر بحذافيره بأية حال، أيها... الآلة. فأنا لستَ سوى نموذج بالنسبة لك؛ حشرة مثيرة للاهتمام ذات عقل غريب منبسط أمامك لتفحصه؛ نموذج رائع للإحباط، أليس كذلك؟ مثل كتبك تمامًا»، ثم خفت صوتها المختنق المملوء نشيجًا بلا عبرات.

جبن الروبوت لثورتها، ثم هز رأسه في رجاء: «هلَّا استمعتِ إليَّ أرجوكِ؟ بإمكاني مساعدتك إذا أتحتِ لي الفرصة».

«كيف؟» – وزمت شفتيها – «بإعطائي نصائح سديدة؟!».

«لا، ليس هذا. كل ما هنالك أني أعرف ما يفكر فيه الآخرون – ميلتون آش مثلًا».

ساد صمت طويل وسقط ناظرا سوزان كالفِن: «لا أريد أن أعرف فيمَ يفكر» – قالتها وهي تلهث–: «لا تتكلم».

«أعتقد أنكِ قد ترغبين معرفة ما يفكر فيه».

ظل رأسها مطأطأ بينما زادت سرعة أنفاسها، وهمست: «أنت تقول هراءً».

«ولِمَ أفعل ذلك؟ أنا أحاول مساعدتك. رأي ميلتون آش فيكِ...» وصمت قليلًا.

فرفعت عالمة النفس رأسها: «حسنًا!».

فقال الروبوت بهدوء: «إنه يحبك».

ظلت الدكتورة سوزان صامتة لدقيقة كاملة وهي تحدق فحسب، ثم قالت: «أنت مخطئ! لا بد أنك مخطئ. ولماذا يحبني؟».

«ولكنه يحبكِ. لا يمكن إخفاء أمر كهذا، وعني بالذات».

قالت بتلعثم: «ولكني... ولكني...».

«إنه يرى ما هو أبعد من المظهر الخارجي، ويعجب بذكاء الآخرين. ميلتون آش ليس من نوعية من يتزوج فتاة جميلة الشعر والعينين وحسب».

شعرت سوزان كالفِن بعينيها تطرفان بسرعة وتمهلت قبل أن تتحدث، وقالت بصوت مرتعش: «ولكنه لم يعبر بأي طريقة عن...».

«وهل منحته أي فرصة من قبل؟».

«وكيف أمنحه الفرصة؟ لم أظن قطُّ أن...».

- «بالضبط!».

أخذت عالمة النفس تفكر في صمت للحظات، ثم رفعت عينيها فجأة: «لقد زارته فتاة هنا في المصنع منذ ستة أشهر. كانت جميلة؛ أظنها كانت شقراء ورشيقة. لا يمكنها حتى جمع اثنين واثنين؛ وأمضى اليوم كاملًا نافخًا أوداجه وهو يشرح لها كيفية تجميع الروبوت»، ثم عادت نبرتها الصارمة وهي تقول: «هذا لا يعني أنها استوعبت! من كانت؟».

أجاب هيربي دون تردد: «أعلم عمن تتحدثين؛ إنها ابنة عمه، وأؤكد لكِ أنه ليس هناك أي علاقة عاطفية بينهما».

نهضت سوزان كالفِن بحيويةِ فتاةٍ صغيرةٍ: «أليس هذا غريبًا؟ هذا بالضبط ما كنت أقوله لنفسي، على الرغم من أني لم أكن أصدق ذلك. إذن لا بُد أن الأمر كله يجب أن يكون حقيقيًّا».

فأسرعت إلى هيربي وضمت يده الباردة الثقيلة بكلتا يديها: «شكرًا لك يا هيربي»، وكانت تتحدث بهمسات سريعة وبصوت أجش، «لا تخبر أحدًا عن

هذا؛ فليكن سرًّا بيننا - وشكرًا لك مرة أخرى».. وهكذا وبعد أن شدت بقوة على أصابعه المعدنية غادرت.

عاد هيربي مرة أخرى إلى روايته المُهمَلة، ولكن لم يكن هناك أحد ليقرأ أفكاره هو.

تمطى ميلتون آش ببطء ولأقصى درجة على نغمات طقطقة مفاصله وجوقة من الزفرات، ثم حملق إلى وجه الدكتور بيتر بوجرت.

وقال: «مر أسبوع حتى الآن وأنا أعمل في هذه المهمة دون نوم تقريبًا. إلى متى عليَّ أن أواصل؟ لقد اعتقدت أنك قلت إن القصف البوزيتروني في حجرة التفريغ (د) هو الحل».

تثاءب بوجرت برقة ونظر إلى يديه البيضاوين باهتمام وقال: «صحيح. وأنا في طريقي للانتهاء».

«أعرف المقصود بهذا عندما يأتي على لسان عالم رياضيات. إلى أي درجة اقتربت من الانتهاء؟»

«على حسب».

«على حسب ماذا؟»، وألقى آش بنفسه على أحد المقاعد ومدد ساقيه الطويلتين أمامه.

«لانينج. العجوز يختلف معي»، وتنهد قائلًا: «إنه يفكر بأسلوب قديم قليلًا، وهذه هي المشكلة؛ فهو يتمسك باستخدام ميكانيكا المصفوفات باعتبارها كل شيء، وهذه المسألة تحتاج إلى أدوات رياضية أقوى من ذلك، وهو عنيد للغاية».

فقال آش بنعاس: «لِمَ لا نسأل هيربي ونحسم الأمر؟».

ارتفع حاجبا بوجرت: «نسأل الروبوت؟».

«ولم لا؟ ألم تخبرك الفتاة العجوز؟».

«أتقصد كالفِن؟».

«نعم! سوزي بنفسها. هذا الروبوت عبقري في الرياضيات؛ إنه يعرف كل شيء عن كل شيء، إلى جانب بعض الإضافات كذلك، وهو يحل مسائل التكاملات الثلاثية داخل رأسه، ويختم بتحليل المقدمات كتحلية».

فحدق عالم الرياضيات بشك: «هل أنت جاد؟».

«ساعدني! ولكن المفاجأة أن الأحمق لا يحب الرياضيات، ويفضل عليها قراءة الروايات التافهة. بكل أمانة! يجب أن ترى التفاهات التي تقدمها له سوزي: (عاطفة أرجوانية) و(الحب في الفضاء)..».

«لم تخبرنا الدكتورة سوزان بأي شيء عن هذا الأمر».

«هي لم تفرغ بعد من دراسته. أنت تعرف طبيعتها؛ فهي تحب أن تكتمل لديها الصورة قبل أن تفصح عن السر الكبير».

«لكنها أخبرتك».

«نحن معتادان على تبادل الحديث إلى حد ما. أراها كثيرًا مؤخرًا»، ثم اتسعت عيناه وقطب جبينه: «بوجي، هل لاحظت شيئًا غير مألوف في السيدة مؤخرًا؟».

استرخى بوجرت وابتسم باستهزاء: «إنها تضع أحمر شفاه، إن كان هذا ما تقصد».

«نعم أعلم ذلك. أحمر شفاه، ومساحيق، وظلال جفون أيضًا. شكلها يستحق المشاهدة. ولكن ليس هذا ما أقصده. لا أستطيع تحديده؛ إنها الطريقة التي تتحدث بها - كما لو كانت سعيدة لسبب ما»، وفكر قليلًا ثم هزَّ كتفيه بلا مبالاة.

فسمح الآخر لنفسه بنظرة خبيثة أداها على أكمل وجه بالنسبة لعالم تعدى الخمسين من عمره: «لعلها تحب».

فأغمض آش عينيه مرة أخرى: «أنت مجنون يا بوجي. اذهب للحديث إلى هيربي. أريد أن أبقى هنا وأنام».

«صحيح! ولكن ليس لأني أحب بالتحديد أن يخبرني روبوت عن عملي، أو أني أعتقد أنه قادر على ذلك!».

وكان الرد الوحيد الذي حصل عليه هو صوت غطيط خفيض.

أنصت هيربي باهتمام إلى بيتر بوجرت الذي كان يضع يده في جيبه ويتحدث بكثير من اللامبالاة:

«هأنتذا إذًا. لقد أخبروني بأنك تستوعب هذه الأشياء، وأنا أسألك بدافع الفضول ليس إلَّا. أعترف بأن تسلسل أفكاري كما أوضحته يشمل بضع خطوات غير مؤكدة يرفض دكتور لانينج قبولها، والصورة لم تزل غير مكتملة».

لم يجب الروبوت، وقال بوجرت: «حسنًا!».

تفحص هيربي الأرقام: «لا أرى أي خطأ».

«لا أعتقد أنك قادر على أكثر من هذا؟».

«لا أجرؤ على المحاولة؛ فأنت رياضي أفضل مني، علاوة على ... حسنًا، لا أريد أن أتحمل المسئولية».

فعكست ابتسامة بوجرت شيئًا من الرضا عن النفس وقال: «تصورت أن هذا هو ما كان سيحدث؛ فالمسألة عويصة. سننسى الأمر». ثم طوى الأوراق وألقاها في عمود المخلفات، واستدار ليغادر، ثم فكر في شيء أفضل.

«بالمناسبة ...».

انتظر الروبوت.

بدا أن بوجرت يواجه صعوبة ما: «هناك أمر ما - إنه... ربما تستطيع...» ثم كفَّ عن الكلام.

فقال هيربي بهدوء: «أفكارك مشوشة، ولكن لا شك أنها تتعلق بدكتور لانينج. لكن من السخف أن تتردد، فبمجرد أن ترتب أفكارك سوف أعرف ما تريد السؤال عنه».

امتدت يد عالم الرياضيات إلى شعره الأملس في حركة معتادة لتهدئة نفسه «قارب لانينج السبعين من عمره».. قالها كما لو كان هذا يفسر كل شيء.

- «أعلم ذلك».

- «وهو مدير المصنع منذ ثلاثين عامًا تقريبًا»، فأومأ هيربي برأسه.

«حسنًا، الآن» .. وتحول صوت بوجرت إلى التملق .. «قد تعرف ما إذا... ما إذا كان يفكر في الاستقالة. لأسباب صحية ربما، أو لأي سبب آخر...».

فأجاب هيربي: «بالفعل»، ولم يضف كلمة أخرى.

- «حسنًا، هل تعرف؟».

- «بالتأكيد».

«إذن .. آه .. هلَّا أخبرتني؟».

«نعم، بما أنك سألت». وكان الروبوت يتعامل مع الموقف كأمر واقع «لقد استقال بالفعل!».

«ماذا!» جاء الاستفسار كالانفجار وبصوت غير واضح تقريبًا، ثم اندفع رأس العالم الكبير إلى الأمام: «أعِد ما قلت مرة أخرى!».

فكرر الروبوت بهدوء: «لقد استقال بالفعل، ولكن لم ينفذ القرار بعد. إنه ينتظر، كما ترى، حتى يحل مشكلة - إمم - مشكلتي. وما إن ينتهي منها سوف يكون مستعدًّا تمامًا لتسليم منصبه لمن سيخلفه».

زفر بوجرت بحدة: «ومن سيخلفه؟». وكان قد اقترب من هيربي بشدة في هذه

اللحظة، وعيناه مثبتتان بذهول على الخلايا الكهروضوئية الحمراء الباهتة التي لا يمكن قراءتها والتي تمثل عيني الروبوت.

وجاءت الكلمات بطيئة: «أنت المدير التالي».

استرخى بوجرت بابتسامة صغيرة: «من الرائع معرفة هذا. كنت آمل ذلك وأنتظره. أشكرك يا هيربي».

ظل بيتر بوجرت في مكتبه حتى الساعة الخامسة في ذلك الصباح، ثم عاد مرة أخرى في التاسعة. كان الرف الموجود أعلى المكتب الذي يحمل المراجع والجداول قد أفرغ من المراجع والجداول التي كان بوجرت يسحبها لمطالعتها الواحد تلو الآخر. وكانت صفحات الحسابات تزداد بالكاد أمامه، بينما ارتفعت أكوام الأوراق المغضنة عند أقدامه كَتَلٌ من صفحات تحمل كتابات نقشت على عَجل.

وعند الظهيرة بالضبط كان يحدق بالصفحة الأخيرة، ويفرك عينيه اللتين بدتا ككرتين من الدم، ثم تثاءب وهز كتفيه قائلًا: «الأمر يزداد تعقيدًا مع كل دقيقة. اللعنة!».

التفت مع صوت فتح الباب، ثم أومأ إلى لانينج الذي دخل وهو يطقطق أصابع إحدى يديه كثيرة العقد بالأخرى.

رأى المدير الفوضى الحادثة في الغرفة وعقد حاجبيه.

ثم سأل: «قائد جديد؟»

«لا» .. جاءته الإجابة بتحدٍّ .. «وما عيب القديم؟».

لم يكترث لانينج بالرد، أو حتى بفعل ما يزيد على مجرد إلقاء نظرة خاطفة على الورقة الموضوعة على مكتب بوجرت، وتحدث بينما كانت شعلة عود الثقاب تتوهج وهو يشعل سيجارًا.

«هل أخبرتك كالفِن بأمر الروبوت؟ إنه عبقري في الرياضيات. متميز حقًّا».

صدرت من بوجرت زمجرة ضجر وقال: «سمعت ذلك، ولكن من الأحرى بكالفِن أن تهتم فقط بعلم نفس الروبوتات؛ فقد اختبرت هيربي في الرياضيات، وهو يستطيع بالكاد التعامل مع حساب التفاضل والتكامل».

- «هذا ليس رأي كالفِن».

- «إنها مجنونة».

- «وليس رأيي أنا أيضًا» وضاقت عينا المدير على نحو خَطِر.
- «أنت!» وأصبح صوت بوجرت أكثر صرامة وهو يقول: «عمَّ تتحدث؟».
- «لقد اختبرت كل قدرات هيربي طوال الصباح، وهو قادر على القيام بأمور لم تسمع أنت بها قطُّ».

«أحقًّا؟».

«يبدو أنك لا تصدق!» التقط لانينج ورقة من جيب سترته وفضها: «هذا ليس خط يدي، أليس كذلك؟».

فحص بوجرت الرموز الكبيرة التي غطت الورقة بخط حاد يتميز بزواياه واستفسر: «هيربي فعل هذا؟».

«نعم! وإذا لاحظت فستجد أنه كان يعمل على التكامل الزمني الخاص بك للمعادلة 22، والخطوات تؤدي إلى...» - ثم نقر لانينج بظفر أصفر على الخطوة الأخيرة - «نفس النتيجة التي توصلت إليها أنا، وفي ربع الفترة الزمنية. لم يكن لك أي حق لتجاهل أثر التباطؤ في القصف البوزيتروني».

«لم أتجاهله. بحق السماء يا لانينج! حاول أن تستوعب أن هذا سوف يلغي...».

«بالطبع، سبق أن شرحت أنت ذلك. لقد استخدمت معادلة ترجمة ميتشل، أليس كذلك؟ حسنًا.. إنها لا تنطبق هنا».

«لم لا؟»

«لأنك أولًا كنت تستخدم الهايبر-إيماجيناريز» لشيء واحد.

- «وما علاقة هذا بالموضوع؟».
- «لن تظل معادلة ميتشل قائمة عندما».
- «هل أنت مجنون؟ إذا أعدت قراءة البحث الأصلي لميتشل في معاملات الـ..».
- «لا حاجة بي إلى ذلك. لقد أخبرتك في البداية أنني لا أحبذ منطقه، وهيربي يساندني في ذلك».

فصاح بوجرت: «حسنًا، إذن فلتدع هذه الآلة الميكانيكية تحل المسألة كاملة لك. ولماذا تزعج نفسك بأمور غير ضرورية؟».

«هذا بالضبط هو المغزى. هيربي لا يستطيع حل المسألة، وإذا كان هو غير قادر على ذلك، فنحن لا نستطيع .. وحدنا. سوف أرفع الأمر كله إلى المجلس القومي فهذا يتخطى قدراتنا».

دفع بوجرت مقعده إلى الخلف وقفز منتصبًا وهو يزمجر وقد احتقن وجهه وتحول للون القرمزي: «لن تفعل أي شيء من هذا القبيل».

اهتاج لانينج بدوره: «أتخبرني بما لا أستطيع عمله؟».

«بالضبط» - كان الرد حازمًا - «لقد حللت المشكلة ولن تسلبها مني، هل تفهم؟ لا تظن أنني لا أستطيع رؤية حقيقتك أيها الإنسان الحجري؛ فأنت على استعداد لفعل أي شيء حتى لا ينسب إليَّ الفضل في تفسير تخاطر الروبوتات».

- «أنت أحمق يا بوجرت، وسوف آمُر بإيقافك عن العمل في ثانية واحدة؛ عقابًا لعصيانك».. وارتعشت شفة لانينج السفلية بانفعال.

- «وهذا أمر آخر لن تفعله يا لانينج. ليس لديك أي أسرار مع وجود روبوت قارئ للأفكار في المكان؛ لذا لا تنس أني أعلم بأمر استقالتك».

اهتز الرماد من طرف سيجار لانينج وسقط، وتبعه السيجار نفسه: «ماذا... ماذا...».

ضحك بوجرت لنفسه بخبث: «وأنا المدير الجديد، وليكن هذا مفهومًا. أنا أعرف ذلك تمامًا، ولا تظن أني لا أعلم. عليك اللعنة يا لانينج، سوف أصدر أنا الأوامر هنا وإلا فسوف تواجه أكبر ورطة في حياتك».

استعاد لانينج صوته وصرخ بغضب: «أنت موقوف عن العمل، هل تسمع؟ أنت معفى من كل مهامك. أنت مفصول، هل تفهم؟».

فاتسعت الابتسامة على وجه الآخر وهو يقول: «وما فائدة هذا الآن؟ أنت لا تحقق أي شيء، فأنا من يحمل الورقة الرابحة، وأعلم أنك استقلت. لقد أخبرني هيربي، وهو علم منك مباشرة».

أجبر لانينج نفسه على التحدث بهدوء، وكان يبدو كرجل مسن جدًّا ذي عينين متعبتين تطلان من وجه اختفت منه حمرة الدم تاركة وراءها اصفرار الشيخوخة: «أرغب في التحدث إلى هيربي؛ فلا يمكن أن يكون قد قال لك أي شيء من هذا القبيل. أنت تلعب لعبة خطرة يا بوجرت، ولكني أتحداك. تعال معي».

هز بوجرت كتفيه بلا مبالاة: «لرؤية هيربي؟ جيدا جيد جدًّا!».

وكان أيضًا في وقت الظهيرة بالضبط، رفع ميلتون آش بصره عن لوحته الخرقاء وقال: «هل فهمت الفكرة؟ أنا لست متمكنًا من تطبيق الأمر على الورق، ولكن هذا هو شكله تقريبًا. إنه بيت ممتاز، وأستطيع الحصول عليه مجانًا تقريبًا».

حدقت به سوزان كالفِن بعينين تذوبان وهي تقول: «إنه جميل فعلًا»، وتنهدت.

- «كثيرًا ما فكرت أني أود أن ...» ثم تلاشى صوتها.

مضى آش يقول بنشاط وهو يُبعد قلمه الرصاص: «عليَّ بالطبع الانتظار حتى تحين إجازتي؛ إنها بعد أسبوعين فقط، ولكن هذه المهمة الخاصة بهيربي لا تجعل أي شيء أكيدًا»، ثم سقطت عيناه على أظافره وقال: «إلى جانب أن هناك أمرًا آخر.. ولكنه سر».

«إذن لا تخبرني».

«بل سأخبرك الآن، لا أستطيع الانتظار حتى أخبر أي شخص - وأنت أفضل - إمم - كاتم أسرار أستطيع أن أجده هناك»، وابتسم بارتباك.

فقفز قلب سوزان كالفِن، ولكنها لم تثق بقدرتها على التحدث.

«بصراحة».. وجذب آش مقعده أقرب إليها وخفض صوته حتى صار همسًا: «البيت ليس لي وحدي. سوف أتزوج!».

ثم قفز من كرسيه: «ما الخطب؟».

«لا شيء!» كان إحساس الدوران الرهيب قد اختفى، ولكن كان من الصعب إخراج الكلمات «تتزوج؟ أتقصد...».

«بالطبع! الوقت مناسب، أليس كذلك؟ هل تتذكرين الفتاة التي جاءت هنا الصيف الماضي. إنها هي! ولكنكِ تشعرين بالغثيان. أنت ...».

«صداع!» .. وأبعدته سوزان كالفِن عنها بضعف - «أعاني من نوبات صداع مؤخرًا. أريد أن... أن أهنئك بالطبع. أنا سعيدة للغاية...» وبدا أحمر الشفاه الموضوع بأسلوب غير متمرس كبقعتين حمراوين قبيحتين على وجهها الأبيض شديد الشحوب. ثم بدأت الأشياء تدور مرة أخرى: «اعذرني - من فضلك...».

وصارت الكلمات مجرد تمتمة، بينما هي تتعثر وهي تخرج من الباب كأنها لا ترى. حدث كل شيء كما تقع المأساة فجأة في الحلم - وبكل ما في الحلم من رعب وهمي.

ولكن كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ لقد قال هيربي ...

وهيربي كان يعلم! إنه قادر على قراءة الأفكار!

وجدت نفسها تستند إلى حافة الباب لاهثة وهي تحملق إلى وجه هيربي المعدني. لا بُد أنها صعدت السلمين، ولكنها لا تتذكر أي شيء عن هذا؛ فقد قطعت المسافة في لحظة واحدة، كما لو كان حلماً.

كما لو كان حلماً!

كانت عينا هيربي لا تزالان تحدقان إلى عينيها دون أن يرمش لهما جفن، وكان يبدو أن لونهما الأحمر الشاحب قد تمدد وأصبح عبارة عن كرتين رهيبتين تلمعان بخفوت.

كان يتحدث، بينما شعرت هي بالزجاج البارد على شفتيها، وارتعدت وهي تبدأ في استعادة شيء من وعيها بما حولها.

ولكن هيربي كان لا يزال يتحدث، وكان صوته مهتاجًا - كما لو كان مجروحًا ومرعوبًا ويدافع عن نفسه.

وبدأت الكلمات تتضح. كان يقول: «هذا حلم، ويجب ألا تصدقيه. سرعان ما سوف تستيقظين في العالم الحقيقي وتضحكين من نفسك. أقول لكِ إنه يحبكِ. إنه يحبكِ، يحبكِ! ولكن ليس هنا! وليس الآن! هذا وهم».

أومأت سوزان كالفِن وهي تهمس: «نعم! نعم!» وكانت قابضة على ذراع هيربي وتتشبث بها وهي تكرر وتكرر: «هذا ليس حقيقيًا، أليس كذلك؟ ليس صحيحًا، أليس كذلك؟».

ولم تعرف قطُّ كيف استعادت وعيها - ولكن الأمر بدا كالمرور من عالم خيالي ضبابي إلى آخر شمسه ساطعة قاسية. فدفعته بعيدًا عنها، ودفعت ذراعه المعدنية بقوة، واتسعت عيناها.

- «ما الذي تحاول فعله؟» وعلا صوتها حتى صار صراخًا حادًّا: «ما الذي تحاول فعله؟».

تراجع هيربي وهو يقول: «أريد مساعدتكِ».

فحدقت عالمة النفس: «مساعدتي؟ أخبرتني أن هذا حلم بمحاولة دفعي إلى الفصام؟» وانتابتها حالة توتر هيستيري: «هذا ليس حلمًا! أتمنى لو كان كذلك!».

التقطت أنفاسها بقوة وهي تقول: «تمهل! لماذا... لماذا...، لقد فهمت. يا إلهي الرحيم! المسألة واضحة جدًّا».

وظهرت نبرة رعب في صوت الروبوت: «اضطررت لذلك!».

«وأنا صدقتك! لم أظن قط ...».

دفعتها أصوات مرتفعة آتية من خارج الباب إلى التوقف، فابتعدت وقبضتاها مطبقتان بتشنج، وعندما دخل بوجرت ولانينج كانت هي تقف لدى النافذة البعيدة، ولم ينتبه إليها أي من الرجلين على الإطلاق.

واقتربا من هيربي معًا، وكان لانينج غاضبًا ونافد الصبر، بينما بدا بوجرت ساخرًا ببرود. تحدث المدير أولًا.

- «اسمعني الآن يا هيربي!».

فخفض الروبوت عينيه بحدة إلى المدير كبير السن: «نعم دكتور لانينج».

- «هل ناقشت وضعي مع دكتور بوجرت؟».

«لا يا سيدي» .. جاءت الإجابة بطيئة، واختفت الابتسامة من على وجه بوجرت.

«ما هذا؟» اندفع بوجرت أمام رئيسه وقطع المسافة أمام الروبوت «أعِد ما قلته لي بالأمس».

«قلت إن ...» ولكنه صمت. ولاحت في أعماق قرص ساعته المعدني ذبذبات لصراع دقيق.

«ألم تقل إنه استقال؟» - صرخ بوجرت - «أجبني!».

ورفع بوجرت ذراعه باهتياج، ولكن لانينج دفعه جانبًا: «هل تحاول التنمر عليه حتى يكذب؟».

«أنت سمعته يا لانينج. لقد بدأ كلامه بقول (نعم) ثم توقف. ابتعد عن طريقي! أريد منه الحقيقة، هل تفهم؟!».

«سوف أسأله!» ثم التفت لانينج إلى الروبوت: «حسنًا يا هيربي، هون عليك. هل استقلت؟».

حدَّق هيربي، وكرر لانينج بقلق: «هل استقلت؟» كان هناك أثر ضعيف للغاية لاهتزاز رأس الروبوت بالسلب، ولكن لم تثمر فترة الانتظار الطويلة عن أي شيء آخر.

نظر كل من الرجلين إلى الآخر، وكان العداء البادي في أعينهما يكاد يكون ملموسًا.

اندفع بوجرت بلا تفكير: «ما هذا، هل أصيب الروبوت بالخرس؟ هل تستطيع التكلم أيها الكائن المروع؟».

وكانت الإجابة حاضرة: «أستطيع التكلم».

«أجِب عن السؤال إذن. ألم تخبرني بأن لانينج استقال؟ ألم يستقِل؟».

ومرة أخرى لم يكن هناك أي شيء سوى صمت ممل، حتى رنَّت ضحكة سوزان كالفِن حادة وشبه هيستيرية فجأة من طرف الغرفة.

قفز عالما الرياضيات وضاقت عينا بوجرت: «أنت هنا؟ ما المضحك لهذه الدرجة؟».

«ليس هناك شيء مضحك» - ولم يكن صوتها طبيعيًّا تمامًا - «الأمر فقط أني لست الوحيدة التي انخدعت. هناك سخرية في وقوع ثلاثة من أعظم خبراء علم الروبوتات في العالم في نفس الخدعة البدائية، أليس كذلك؟» وانحسر صوتها ووضعت يدًا شاحبة على جبهتها: «ولكن الأمر ليس مضحكًا!».

كانت النظرة التي تبادلها الرجلان هذه المرة نظرة تعجب، فقال لانينج بصوت خشن: «عن أي خدعة تتحدثين؟ أهناك خطب ما في هيربي؟».

أجابتهما وهي تقترب منهما ببطء: «لا، ما من خطب به .. بل بنا نحن». ثم التفتت فجأة وصرخت في الروبوت: «ابتعد عني! اذهب إلى الطرف الآخر من الغرفة ولا تدعني أنظر إليك».

انكمش هيربي خوفًا أمام غضب عينيها وابتعد عنها مسرعًا بخطى أحدثت صوت قعقعة.

كان صوت لانينج هجوميًّا: «ما كل هذا يا دكتورة سوزان؟».

وقفت بمواجهتهما وتحدثت بتهكم: «لا شك أنكما تعرفان القانون الأول الأساسي للروبوتات».

فأومأ الاثنان معًا، وقال بوجرت بضجر: «بالطبع، لا يجوز لأي روبوت أن يؤذي أي إنسان أو أن يسمح - بعدم اتخاذه أي رد فعل- بحدوث أي أذى لأي إنسان».

«يا لبراعة الأسلوب!» قالتها كالفِن بسخرية، ثم استطردت: «ولكن أي نوع من الأذى؟».

«لماذا أي نوع؟».

«بالضبط! أي نوع! ولكن ماذا عن جرح المشاعر؟ وماذا عن تحقير الكبرياء؟ وماذا عن الإطاحة بالآمال؟ هل هذا يعتبر أذى؟»

عبس لانينج: «وماذا يعرف الروبوت عن...» وأوقف نفسه بشهقة.

«لقد فهمت، أليس كذلك؟ هذا الروبوت يقرأ الأفكار. أتظن أنه لا يعرف كل شيء عن الجرح العقلي؟ أتفترض أنك إذا ما وجّهت إليه سؤالًا، أنه لن يرد بالإجابة التي يريدها السائل بالضبط؟ ألن تؤذينا أي إجابة أخرى؟ ألن يعلم هيربي بهذا؟».

فغمغم بوجرت: «يا إلهي!».

رمقته عالمة النفس بنظرة ساخرة وقالت: «أستنتج أنك سألته إذا ما كان لانينج قد قدم استقالته، وكنت تريد سماع أنه قدَّمها؛ لذا كان هذا هو ما أخبرك به هيربي».

فأضاف لانينج دون أي انطباع: «وأظن أن هذا هو السبب في عدم إجابته منذ برهة قصيرة؛ حيث لا يمكنه الإجابة بأي شكل دون أن يجرح أحدنا».

مرت فترة قصيرة تأمل خلالها الرجلان بتمعن الروبوت في الجانب الآخر من الغرفة وهو قابع في المقعد بجانب خزانة الكتب ورأسه مستند إلى يد واحدة.

حدقت سوزان كالفِن بثبات إلى الأرض: «كان يعلم كل هذا. هذا... هذا الشيطان يعرف كل شيء - بما في ذلك العيب في تجميعه». كانت عيناها مظلمتين وكئيبتين.

رفع لانينج ناظريه: «أنتِ مخطئة في هذه النقطة يا دكتورة سوزان؛ فهو لا يعرف ما العيب. لقد سألته».

«وما معنى هذا؟» - صاحت كالفِن - «إنك لم تُرد أن يعطيك الإجابة؛ فقد يحطم كبرياءك أن تقوم آلة بما عجزت أنت عن عمله. هل سألته؟» توجهت بالسؤال إلى بوجرت.

«بشكل ما» - ثم سعل واحمر وجهه - «وأخبرني أنه لا يعرف إلا القليل عن الرياضيات».

ضحك لانينج بصوت خفيض وابتسمت طبيبة النفس بسخرية، ثم قالت: «سوف أسأله! فمعرفته الإجابة لا تجرح كبريائي». ورفعت صوتها بلهجة آمرة باردة: «تعال هنا!».

نهض هيربي وتقدم بخطوات مترددة.

وتابعت: «أنت تعلم على ما أظن في أي نقطة بالتحديد في التجميع تم إضافة عنصر دخيل عليك أو تُرك آخر أساسي».

أجاب هيربي بصوت يكاد يُسمَع: «نعم».

فقاطعهما بوجرت بغضب: «تمهلي، هذا ليس حقيقيًّا بالضرورة. أنتِ ترغبين في سماع هذا ليس إلا».

أجابته كالفِن: «لا تكن أحمق. لا شك أنه يعلم عن الرياضيات مقدار ما تعرفه أنت ولانينج معًا؛ لأنه يقرأ الأفكار. أعطه فرصته».

فتراجع عالم الرياضيات وتابعت كالفن: «حسنًا يا هيربي، أخبرنا! نحن بانتظارك»، ثم قالت في ملاحظة جانبية: «أحضروا أقلام رصاص وأوراقًا يا سادة».

إلا أن هيربي ظل صامتًا، وبدت نبرة انتصار في صوت عالمة النفس: «لماذا لا تجيب يا هيربي؟».

فقال الروبوت فجأة ودون تفكير: «لا أستطيع. أنت تعرفين أني لا أستطيع! دكتور بوجرت ودكتور لانينج لا يريدانني أن أقول».

- «ولكنهما يريدان الحل».

- «ولكن ليس مني...».

قاطعه لانينج متحدثًا ببطء ووضوح: «لا تكن أحمقَ يا هيربي. نحن نريدك أن تخبرنا فعلًا».

وأومأ بوجرت باقتضاب.

ولكن صوت هيربي ارتفع جدًّا وهو يقول: «وما الفائدة من قول هذا؟ ألا تظنان أني قادر على رؤية ما يتعدى البشرة الخارجية لعقليكما؟ في أعماقكما، أنتما لا تريدانني أن أقول؛ فأنا مجرد آلة مُجهَّزة بما يشبه الحياة عن طريق التفاعل البوزيتروني داخل عقلي، والذي هو من صنع الإنسان. لا يمكن أن تفقدا اعتباركما أمامي دون أن يجرحكما هذا؛ إنه أمر متأصل داخل عقليكما ولا يمكنكما التخلص منه. لا يمكنني الكشف عن الحل».

فقال دكتور لانينج: «سوف نغادر. أخبر كالفِن».

صاح هيربي: «لن يُحدِث هذا فرقًا لأنكما ستعرفان، بأي حال، أنني من كشف عن الإجابة».

فتابعت كالفِن: «ولكنك تعي يا هيربي أنه على الرغم من ذلك.. دكتور لانينج ودكتور بوجرت يريدان هذا الحل».

ولكن هيربي أصر: «بمجهودهما الشخصي!».

«ولكنهما يريدانه، وحقيقة الحل لديك وإن لم تكشفه لهما يجرحهما. أنت تعي هذا، أليس كذلك؟».

«بلى! بلى!».

«وإذا أخبرتهما، فهذا سيجرحهما أيضًا».

«نعم! نعم!» كان هيربي يتراجع ببطء، بينما كانت سوزان كالفِن تتقدم خطوة خطوة، والرجلان متسمران يشاهدان بذهول.

قالت عالمة النفس برتابة وبطء: «لا تستطيع أن تخبرهما؛ لأن هذا قد يجرحهما، يجب ألا تجرحهما؛ ولكن إن لم تخبرهما، فسوف تجرحهما؛ لذا يجب أن تخبرهما؛ وإن فعلت فسوف تجرحهما ويجب ألَّا تجرحهما؛ لذا لا يمكنك أن تخبرهما؛ ولكن إن لم تفعل، فسوف تجرحهما؛ ولذلك يجب أن تخبرهما؛ ولكن إن فعلت فسوف تجرحهما، ولذلك يجب ألا تخبرهما؛ ولكن إن لم تفعل، فسوف تجرحهما؛ لذلك يجب أن تخبرهما؛ ولكن إن فعلت، فسوف ...».

كان هيربي يقف أمام الحائط، وهنا هوى على ركبتيه صارخًا: «توقفي! اقفلي عقلك! إنه مليء بالألم والإحباط والكراهية! أقول لكِ لم أقصد ذلك! كنت أحاول المساعدة! لقد أخبرتك ما أردتِ سماعه. اضطررت لذلك!».

ولكن عالمة النفس لم تكترث به وتابعت: «يجب أن تخبرهما، ولكن إن فعلت، فسوف تجرحهما؛ لذا يجب ألَّا تخبرهما؛ ولكن إن لم تفعل، فسوف تجرحهما؛ لذلك يجب أن تخبرهما؛ ولكن ...».

فصرخ هيربي!

كانت صرخته تشبه صفيرًا مضخمًا أضعافًا مضاعفة لناي صغير، وكانت حادة وازدادت حدتها حتى صارت عويلًا يعكس ما تحمله روح ضائعة من رعب وملأت الغرفة بحدتها.

وعندما تلاشت في العدم انهار هيربي ككوم من المعدن الساكن.

هرب الدم من وجه بوجرت وقال: «لقد مات!».

«لا!» انفجرت سوزان كالفِن في نوبات مؤلمة من الضحك الحاد: «لم يمت، بل فقد عقله فقط. لقد واجهته بالمعضلة غير المتناهية، فانهار. يمكنكما تفكيكه الآن – لأنه لن يتحدث ثانية.. أبدًا».

ركع لانينج على ركبتيه بجانب الشيء الذي كان هيربي، ولمس بأصابعه الوجه المعدني البارد الذي لا يستجيب، وارتعد: «لقد فعلت هذا عن عمد»، ثم نهض وواجهها ووجهه يتلوى من الألم.

«وماذا لو كنت فعلت؟ لا يمكنك تدارك الموقف الآن»، ثم – وبشعور مفاجئ بالمرارة – أضافت: «لقد استحق ذلك».

أمسك المدير معصم بوجرت الذي وقف بلا حراك كالعاجز وقال: «وما الفارق؟ تعال يا بيتر»، ثم تنهد قائلًا: «روبوت مفكر من هذا النوع لا قيمة له». كانت عيناه عجوزين ومتعبتين، فكرر: «هيا يا بيتر!».

وبعد مغادرة العالِمين بدقائق استعادت الدكتورة سوزان كالفِن بعضًا من توازنها العقلي، والتفتت بعينيها ببطء إلى هيربي الحي الميت وعادت إلى وجهها الصرامة. حملقت إليه لفترة طويلة، بينما تلاشى شعورها بالانتصار وعاد الإحباط العاجز – ومن بين أفكارها المضطربة كلها نطقت شفتاها بكلمة واحدة فقط مليئة بمرارة لا حد لها: «كاذب!».

وكانت هذه هي النهاية بطبيعة الحال. كنت أعلم أني لن أستطيع معرفة المزيد منها بعد هذه اللحظة؛ فقد كانت تجلس خلف مكتبها فحسب، ووجهها الأبيض بارد، و... يتذكر.

قلت لها: «أشكرك يا دكتورة سوزان!» ولكنها لم ترد عليَّ، ولم أتمكن من رؤيتها إلا بعد مرور يومين.

الروبوت المفقود

المرة التالية التي قابلت فيها سوزان كالفن كانت لدى باب مكتبها، وكان العمال ينقلون ملفات من المكتب.

بادرتني قائلة: «كيف حال مقالاتك أيها الشاب؟».

رددت قائلًا: «على ما يرام» كنت قد شكلت المقالات وفقًا لرؤيتي وأضفيت اللمسة الدرامية على المعلومات المجردة فيما روته لي الدكتورة سوزان كالفن، وأضفت حديثنا وبعض اللمسات الدقيقة.

«هلا ألقيت نظرة عليها للتأكد من أنها لا تتضمن أي إساءة أو أي معلومات غير دقيقة في أي جزء منها...».

«أحسب أني سأفعل ذلك. هلا ذهبنا إلى استراحة المديرين، يمكننا تناول القهوة؟».

بدت في مزاج جيد فانتهزت الفرصة ونحن نسير عبر الرواق وقلت: «كنت أتساءل يا دكتورة سوزان...».

– «نعم؟».

– «إن كنت ستخبرينني بالمزيد عن تاريخ الروبوتات».

– «لقد حصلت على كل ما تريد بالتأكيد أيها الشاب».

– «إلى حد ما. لكن هذه الأحداث التي دونتها لا تنطبق بنسبة كبيرة على العالم الحديث؛ أعني أنه لم يتم صنع سوى روبوت واحد فقط قارئ للأفكار، ومحطات الفضاء عفى عليها الزمن بالفعل، ولم تعد في الخدمة، وأصبح استخدام الروبوتات لأغراض التعدين أمرًا مفروغًا منه. ماذا عن السفر بين النجوم؟ لم تكد تمر عشرون

سنة على اختراع المحرك الذري الفائق، ومن المعروف جيدًا أنه من اختراع أحد الروبوتات. ما حقيقة هذا الأمر؟».

قالت وهي تتأمل: «السفر بين النجوم؟». كنا قد دخلنا الاستراحة وطلبت غداء كاملًا، بينما لم تطلب هي سوى القهوة.

«تعرف.. لم يكن اختراعًا روبوتيًا بسيطًا، لم يتم هكذا ببساطة، لكن بالطبع لم نكن قد حققنا الكثير حتى صنعنا الروبوت «ذابرين». لكننا حاولنا.. حاولنا بجد. بدأت علاقتي بالبحث في مسألة السفر بين النجوم (أعني بشكل مباشر) سنة 2029 حينما فُقِدَ أحد الروبوتات...».

تم أخذ قياسات قاعدة «هايبر بيز» بصوت يشبه الحشرجة الغاضبة، وهو المكافئ العضلي لصرخة هيستيرية.

وكانت البنود التفصيلية من حيث الترتيب الزمني كالتالي:

1. توقف العمل تمامًا في المحرك الذري الفائق في جميع المساحات الفضائية التي تشغلها محطات مجموعة الكويكبات الـ 27.
2. أصبحت هذه المساحة الفضائية كلها منعزلة فعليًا عن النظام الفضائي، لا يمكن لأحد الدخول إلا بإذن، ولا يمكن لأحد الخروج تحت أي ظرف.
3. تم إحضار الدكتورة سوزان كالفن كبيرة الأخصائيين النفسيين للروبوتات، والدكتور بيتر بوجرت مدير الرياضيات في يو إس روبوتس إلى قاعدة هايبر بيز بسفينة دورية خاصة تابعة للحكومة.

لم تكن سوزان كالفن قد غادرت سطح الأرض من قبل، ولم تكن لديها أي رغبة واضحة في مغادرتها في ذلك الوقت؛ فهي شخصية تحب محيطها الإقليمي للغاية في عصر الطاقة الذرية واقتراب اختراع المحرك الذري الفائق؛ لذا شعرت بالاستياء من رحلتها، ولم تكن مقتنعة بأنها حالة طارئة، وكان كل خط من خطوط وجه المرأة متوسطة العمر البسيط يشي بذلك بوضوح خلال أول غداء لها في قاعدة هايبر بيز.

وكذلك لم تفارق وجه الدكتور بوجرت الشاحب علامات البؤس، حتى الجنرال كالنر الذي يرأس المشروع نسي في إحدى المرات الحفاظ على تعبيرات وجهه التي كان يجاهد للحفاظ عليها.

باختصار، كانت موقفًا مروعًا، هذه الوجبة والاجتماع القصير الذي تلاها لثلاثتهم، حيث بدأ بأسلوب قاتم وبائس.

كان مظهر كالنر بصلعته اللامعة وزيه العسكري لا يتماشى مع الجو العام للموقف وبدأ الجنرال حديثه بصراحة لا تُشعر بالارتياح.

- «ما سأخبركما به أمر غريب، أريد أن أشكركما لمجيئكما بهذه السرعة ودون أن تعلما السبب. سنحاول تصحيح ذلك الآن، لقد فقدنا روبوتًا. توقف العمل ويجب أن يظل متوقفًا لحين تحديد مكان ذلك الروبوت، ولقد فشلنا في ذلك حتى الآن، ونشعر أننا بحاجة لمساعدة خبير».

ربما شعر الجنرال أن المأزق الذي يواجهه لا يستحق كل هذا، فتابع حديثه بنبرة ملأها اليأس: «لست بحاجة لإخباركما عن مدى أهمية العمل هنا، ولقد تلقينا أكثر من ثمانين بالمائة من مخصصات البحث العلمي للعام الماضي ...».

وافقه بوجرت قائلًا: «نعم. نعلم ذلك.. ويو إس روبوتس تحصل على إيجار سخي مقابل استخدام روبوتاتها».

سألت سوزان كالفن بأسلوب لاذع: «ما الذي يجعل روبوتًا واحدًا بكل هذه الأهمية للمشروع؟ ولماذا يستعصي العثور عليه؟».

التفت إليها الجنرال بوجهه الذي تحول إلى اللون الأحمر وبلل شفتيه بلسانه سريعًا وقال: «في الواقع يمكن القول بأننا حددنا مكانه»، ثم أضاف بصوت قلق: «هنا أعتقد أن عليَّ تفسير الأمر بعض الشيء، فبمجرد اكتشاف اختفاء الروبوت تم إعلان حالة الطوارئ، وتوقفت الحركة تمامًا على قاعدة هايبر بيز. كانت سفينة لشحن البضائع قد وصلت في اليوم السابق، وسلمتنا روبوتين جديدين للعمل في مختبراتنا، وكان على متنها اثنان وستون روبوتًا من الطراز نفسه سيجري توصيلها إلى أماكن أخرى، ونحن متأكدون من هذا الرقم، لا شك فيه على الإطلاق».

«نعم.. وما العلاقة؟».

«حينما لم نعثر على الروبوت المفقود في أي مكان.. وأؤكد لك أننا كنا سنعثر على أي شيء مفقود هنا حتى لو كان في حجم القشة.. بدأنا نفكر جيدًا ثم اهتدينا لعد الروبوتات المتبقية على متن سفينة البضائع، وعليها الآن ثلاثة وستون روبوتًا».

قالت الدكتورة سوزان وقد بدا الغضب في عينيها: «الروبوت الثالث والستون هو ضالتنا إذن».

«نعم. لكن لا سبيل لدينا لمعرفة أيٍّ منها هو الروبوت الثالث والستون».

ساد الصمت لفترة بينما دقت الساعة الكهربائية معلنة الحادية عشرة قبل أن تقول الأخصائية النفسية: «غريب جدًّا» وتقلب جوانب شفتيها لأسفل.

التفتت إلى زميلها قائلة بشيء من الفظاظة: «بيتر.. ما المشكلة هنا؟ أي طراز من الروبوتات يستخدمونه في قاعدة هايبر بيز؟».

تردد دكتور بوجرت وارتسمت على شفتيه ابتسامة واهنة: «المسألة تتعلق بالدقة حتى الآن يا سوزان».

ردت سوزان بسرعة: «نعم. حتى الآن. إذا كان هناك ثلاثة وستون روبوتًا من الطراز نفسه نريد أحدها ولا يمكن تحديده، فلماذا لا يمكن لأي منها أن يؤدي الغرض؟ ما الغرض من كل هذا؟ لماذا استدعينا إلى هنا؟».

قال بوجرت باستسلام: «إذا أتحتِ لي الفرصة يا سوزان فسأشرح لك.. تستخدم قاعدة هايبر بيز عددًا من الروبوتات لم تبرمج عقولها وفقًا للقانون الأول للروبوتات بالكامل».

غاصت سوزان إلى الوراء في مقعدها وقالت: «لم تبرمج؟ فهمت. ما عددها؟».

«ليس كثيرًا. كان ذلك بناءً على أمر من الحكومة، ولم يكن هناك سبيل لإخبارك بذلك. لم يكن من المفترض أن يعلم بذلك سوى القيادات العليا المعنية بشكل مباشر بهذا الأمر. ولم تكوني ضمن هؤلاء يا سوزان. لم يكن لي أي دخل بذلك...».

قاطعهما الجنرال بقدر من المسئولية: «أود أن أفسر ذلك بعض الشيء. لم أكن أعلم أن الدكتورة سوزان لا تدري شيئًا عن الوضع. لست بحاجة لإخبارك يا دكتورة بأن هناك دائمًا معارضة قوية للروبوتات على الأرض. والحجة الوحيدة لدى الحكومة في مواجهة الأصوليين المتعصبين في هذا الشأن هي حقيقة أن الروبوتات كلها تبرمج بالقانون الأول بما لا يدع مجالًا لمخالفته، وهو ما يجعل من المستحيل لأي روبوت أن يؤذي إنسانًا تحت أي ظرف». ومضى يقول: «لكننا *كنا* بحاجة لروبوتات من طبيعة مختلفة».

لذلك تم تعديل القانون الأول في عقل بعض الروبوتات من طراز إن إس2- المعروف باسم نستور. وللإبقاء على الأمر في طي الكتمان لا يتم وضع رقم مسلسل للروبوتات من طراز إن إس2 - يتم تسليم الروبوتات المعدلين لنا هنا ضمن مجموعة من الروبوتات العاديين، وبالطبع يحظر علينا جميعًا إفشاء سر هذا التعديل لأي شخص غير مصرح له بمعرفته، وارتسمت على شفتيه ابتسامة حَرَج وهو يقول: «كل هذا انقلب علينا الآن».

قالت سوزان بتجهم: «هل سألتم كل واحد منهم عن هويته بأي طريقة ما؟ هذا ضمن سلطاتك بالتأكيد».

أومأ الجنرال برأسه إيجابًا وقال: «كل الروبوتات الثلاثة والستين أنكروا أنهم قد عملوا هنا.. وأحدهم يكذب».

- «ألا يبدو على الروبوت الذي نبحث عنه أي علامات تشير إلى أنه مستعمل؟ أظن أن الباقين كلهم لا يزالون بحالة المصنع».

«الروبوت الذي نبحث عنه لم يصل هنا إلا الشهر الماضي. وكان هو والاثنان اللذان وصلا لتوهما آخر ما احتجناه. ليس هناك أي علامة تشير إلى أنه مستعمل». هز رأسه ببطء وبدا القلق في عينيه مرة أخرى قائلًا: «دكتورة سوزان، لا نجرؤ على السماح لتلك السفينة بالمغادرة. إذا انكشف أمر وجود روبوت ليس مبرمجًا وفق القانون الأول..». ولم يكن بحاجة بالطبع لإكمال عبارته. بدا أنه لا يمكن تجنب ضعف الاستنتاج.

قالت سوزان ببرود وبلا أي مشاعر: «دمر الروبوتات الثلاثة والستين جميعًا ولينتهِ الأمر».

زوى بوجرت جانبًا من فمه وقال: «تعنين تدمير روبوتات يساوي الواحد منهم ثلاثين ألف دولار؟! أخشى أن يو إس روبوتس لن تحبذ ذلك. يجب أن نحاول أولًا يا سوزان قبل أن ندمر أيًا منهم».

قالت بحدة: «في هذه الحالة أحتاج لمعلومات. لماذا تستخدم قاعدة هايبر بيز هذه الروبوتات المعدلة؟ ما السبب الذى جعلها مفضلة يا جنرال؟».

رفع كالنر حاجبيه ومسح على جبهته بيده قائلًا: «واجهنا بعض المتاعب مع الروبوتات الأخرى. يعمل رجالنا كما تعرفين وسط إشعاعات قوية معظم الوقت. ينطوي ذلك على خطورة بالطبع لكننا اتخذنا بعض الاحتياطات .. لم نواجه سوى حادثتين فقط منذ أن بدأنا في العمل ولم يسفر أي منهما عن خسائر في الأرواح.

لكن كان من المستحيل تفسير ذلك للروبوت العادي. القانون الأول يقول نصًا: *لا يجوز لأي روبوت أن يؤذي بشرًا أو يسمح بإيذائه من خلال عدم اتخاذ رد فعل.*

«هذا أمر أساسي يا دكتورة سوزان. حينما يضطر أحد رجالنا لتعريض نفسه لمجال أشعة جاما لفترة وجيزة بما لا يترك عليه أي أثر فسيولوجي فسيندفع أقرب روبوت إليه ليمنعه من ذلك. وسينجح في ذلك لو كان المجال ضعيفًا للغاية، ولن نتمكن من استئناف العمل قبل إجلاء جميع الروبوتات من المكان. أما إذا كان المجال قويًا بعض الشيء فستدمر أشعة جاما العقل البوزيتروني للروبوت، ولن يصل أبدًا للعامل الفني الذي يحاول إنقاذه، وحينها نكون قد فقدنا روبوتًا باهظ الثمن وصعب الاستبدال».

ومضى يقول: «حاولنا إقناع الروبوتات، وكانت وجهة نظرهم أنَّ تعرض أي بشر لأشعة جاما خطر على حياته وأن مسألة قدرته على البقاء داخل المجال لنصف ساعة دون أن يتعرض لخطر أمر غير مهم. ويحتجون بأنه قد ينسى ويظل هناك لمدة ساعة. لا يريدون ترك فرصة لحدوث شيء. أوضحنا لهم أنهم يخاطرون بحياتهم من أجل احتمال بعيد للغاية، لكن الحفاظ على النفس ليس سوى القانون الثالث للروبوتات، والقانون الأول الذي ينص على سلامة البشر له الأولوية. أصدرنا لهم أوامر صارمة ومغلظة بالبقاء خارج مجال أشعة جاما تحت أي ظرف، لكن الطاعة تأتي في القانون الثاني للروبوتات، يسبقها أيضًا القانون الأول الذي ينص على سلامة البشر لذا كان علينا يا دكتورة سوزان إما أن نعمل بدون الروبوتات وإما أن نفعل شيئًا حيال القانون الأول.. وكان هذا اختيارنا».

قالت الدكتورة سوزان: «لا يمكنني أن أصدق أنه أمكنهم تنحية القانون الأول».

قال كالنر مفسرًا: «لم تتم تنحيته بل تعديله. تمت صناعة عقول بوزيترونية تتضمن الجانب الإيجابي للقانون فحسب، والذي يقول إنه لا يجوز لأي روبوت أن يؤذي بشرًا، هذا كل شيء. ليس هناك ما يلزمهم بالتدخل لمنع تعرض بشر للإيذاء عن طريق عنصر خارجي مثل أشعة جاما. أليس ما أقوله صحيحًا يا دكتور بوجرت؟».

رد عالم الرياضيات مؤكدًا: «بلى.. تمامًا».

«وهذا هو الفارق الوحيد بين روبوتاتكم وطراز إن إس2- العادي؟ الفارق *الوحيد* يا بيتر؟».

«نعم. الفارق *الوحيد* يا سوزان».

نهضت وتحدثت بنبرة حاسمة: «أنوي النوم الآن وفي غضون ثماني ساعات أريد أن أتحدث مع آخر من رأى الروبوت. ومن الآن فصاعدًا أيها الجنرال كالنر إذا كنت سأتحمل أي مسئولية عن الأحداث فإنني أريد سلطة كاملة ومطلقة على هذا التحقيق».

وباستثناء ساعتين من الاسترخاء لم يقترب النوم من عيني سوزان كالفن على الإطلاق. طرقت باب حجرة بوجرت في الساعة السابعة بالتوقيت المحلي، ووجدته مستيقظًا هو الآخر. كان يرتدي (روبًا) من الواضح أنه قد جلبه معه إلى قاعدة هايبر بيز. ووضع مقص الأظافر جانبًا حينما دخلت سوزان.

قال بصوت هادئ: «كنت أتوقع مجيئك بين دقيقة وأخرى. أظنك تشعرين بالسأم من كل هذا».

- «بالفعل».

- «حسنًا.. أنا آسف. لم تكن ثمة حيلة لمنع ذلك، عندما جاء الاستدعاء من هايبر بيز أدركت أن هناك خطأ يتعلق بالروبوتات المعدلة. لكن ماذا كان يمكنني أن أفعل؟ لم يكن بإمكاني إخبارك بالأمر أثناء الرحلة إلى هنا، كما كنت أود أن أفعل؛ لأنه كان عليَّ التأكد أولًا. هذا التعديل أمر سري للغاية».

غمغمت الطبيبة النفسية: «كان ينبغي إخباري. ليس من حق يو إس روبوتس أن تعدل العقول البوزيترونية بهذه الطريقة دون موافقة متخصص في علم نفس الروبوتات».

رفع بوجرت حاجبيه وتنهد قائلًا: «تعقلي يا سوزان. لم يكن بإمكانك التأثير عليهم. لقد كانت الحكومة في هذا الشأن مصرة على أن تنفذ ما تريد. يريدون المحرك الذري الفائق، وعلماء فيزياء الأثير يريدون روبوتات لا يعطلونهم عن عملهم. كانوا سيفعلون ما يريدون حتى لو كان معنى ذلك تعديل القانون الأول. كان علينا الإقرار بأن هذا ممكن من ناحية صناعة العقول البوزيترونية، وأقسموا بالأيمان المغلظة أنهم يريدون اثني عشر روبوتًا فقط وأنهم لن يستخدموا إلا في قاعدة هايبر بيز وسيجري

التخلص منهم فور اكتمال محركاتهم، وسيتم اتخاذ كل الاحتياطات الكاملة. أصروا كذلك على أن يظل الأمر سرًّا.. هذا هو الوضع».

تحدثت الدكتورة سوزان وهي تضغط على أسنانها: «كنت سأستقيل».

- «لم يكن ذلك ليغير شيئًا. كانت الحكومة تعرض أموالًا طائلة على الشركة وتهددها بتشريع يحظر الروبوتات ما لم تستجب. كنا في موقف صعب وقتها ونحن الآن في موقف أشد صعوبة. إذا تسرب هذا الأمر فقد يضر بكالنر والحكومة، لكن ضرره سيكون أكبر بكثير على يو إس روبوتس».

حملقت أخصائية نفس الروبوتات إلى وجهه وقالت: «بيتر، ألا تدرك فيم كل هذا؟ ألا تفهم ما تعنيه إزالة القانون الأول من عقل الروبوت؟ الأمر لا يتعلق بمجرد السرية».

«أعي تمامًا ما يعنيه ذلك، فأنا لست طفلًا. سيعني اضطرابًا تامًّا بلا حلول واقعية لمعادلات المجال البوزيتروني».

«نعم هذا من الناحية الرياضية. لكن، هل يمكنك ترجمة ذلك إلى فكر نفسي بحت؟ الحياة الطبيعية كلها يا بيتر تكره فكرة التسلط سواء كان ذلك في الوعي أو اللاوعي. إذا كان المتسلط من درجة أدنى أو هكذا يراه الطرف الخاضع لهذا التسلط؛ فإن الكره يكون أكبر. والروبوت - أي روبوت - من الناحية الجسدية وإلى حد ما من الناحية العقلية أعلى من البشر. ما الذي يجعله خاضعًا للبشر إذن؟ *ليس سوى القانون الأول* وبدونه سيقودك أول أمر تحاول إعطاءه لروبوت إلى حتفك. اضطراب؟ ما رأيك؟».

رد عليها بنبرة اختلطت فيها السخرية والتعاطف: «سوزان.. أعترف بأن عقدة فرانكشتاين التي تتحدثين عنها لها ما يبررها مادام القانون الأول في المرتبة الأولى. لكن القانون - أكرر وأكرر ذلك دائمًا - لم تتم إزالته من عقل الروبوت بل تم تعديله فقط».

«وماذا عن استقرار العقل؟».

قلب عالم الرياضيات شفتيه للخـارج وقال: «انخفض مستـواه بالطـبع. لكنه لا يزال في الحدود الآمنة. سلمنا أول شحنة من روبوتات نستور إلى قاعدة هايبر بيز قبل تسعة أشهر ولم تحدث مشكلة من أي نوع حتى الآن، وحتى القضية التي بين أيدينا لا تنطوي على أي مخاطر يواجهها البشر بل مجرد الخشية من انكشاف السر».

- «حسنًا إذن. فلننتظر ما سيسفر عنه اجتماع الصباح».

اصطحبها بوجرت إلى الباب بأدب، وبمجرد أن غادرت ارتسم العبوس على وجهه؛ إذ لم يجد سببًا لتغيير نظرته الدائمة لسوزان كشخصية كريهة تثير الإحباط الشديد.

لم تكن سوزان تضع في حساباتها بوجرت على الإطلاق، فرأيها فيه منذ سنوات طويلة أنه مخادع ومتملق يظهر غير ما يبطن.

كان جيرالد بلاك قد حصل على شهادته في فيزياء الأثير في العام الماضي، ووجد نفسه – شأنه في ذلك شأن كل أبناء جيله من الفيزيائيين – في قلب مشكلة المحرك الذري الفائق. وكان – إضافة إلى الجو العام في هذه الاجتماعات على هايبر بيز،وبسترته البيضاء المنقطة – يبدو ثائرًا إلى حد ما ولا يمكن التنبؤ بما سيفعله على الإطلاق. وبدا أن جسمه الممتلئ به قوة كبيرة تجاهد للخروج، وأصابعه التي كان يفركها في قلق بإمكانها ليُّ قضيب من الحديد.

جلس الجنرال كالنر بجواره وأمامهما بوجرت وسوزان.

قال بلاك: «أخبروني أنني كنت آخر من شاهد نستور 10 قبل اختفائه. أظن أنكما تريدان سؤالي عن ذلك».

نظرت إليه الدكتورة سوزان باهتمام: «تتكلم وكأنك لست متأكدًا من ذلك أيها الشاب. ألا تعرف إن كنت آخر من رآه؟».

«كان يعمل معي يا سيدتي في مولدات المجال، وكان معي صبيحة يوم اختفائه. لا أدري إن كان شخص آخر قد رآه قبل الظهر. لا يقر أحد بذلك».

«هل تعتقد أن أحدهم يكذب في هذا الشأن؟».

«لم أقل ذلك. لكنني لا أعني أنني أريد أن أتحمل اللوم على ذلك أيضًا». ثم اغرورقت عيناه الداكنتان.

«ليس هناك أي لوم. تصرف الروبوت بهذه الطريقة لأنه كذلك. نحن نحاول فقط العثور عليه يا سيد بلاك. ولننح كل شيء جانبًا الآن. والآن بما أنك عملت مع الروبوت فلربما تعرفه أفضل من أي شخص آخر. هل لاحظت عليه أي شيء غير طبيعي؟ هل عملت مع روبوتات من قبل؟».

«عملت مع روبوتات أخرى موجودة لدينا هنا.. الروبوتات البسيطة. لا يوجد فارق بينها وبين طراز نستور غير أنها أكثر مهارة وأكثر إزعاجًا أيضًا».

«إزعاجًا؟ كيف؟».

«حسنًا.. ربما هذا ليس خطأهم. فبيئة العمل هنا قاسية، ومعظمنا يشعر بالتوتر بعض الشيء. التجول على غير هدى في الفضاء ليس متعة». وابتسم ابتسامة واهنة كما لو أنه وجد بعض الراحة في اعترافه. ومضى يقول: «فنحن نواجه دائمًا خطر القيام بتفجير يحدث ثقبًا في نسيج المكان والسقوط خارج الكون والكويكبات وكل شيء. هذا الكلام يبدو جنونًا أليس كذلك؟ بالطبع تشعر بالتوتر الشديد أحيانًا. لكن هذه الروبوتات من طراز نستور لا تشعر بذلك. فهي فضولية وهادئة ولا تشعر بالقلق. وهذا كافٍ لأن يدفعك إلى الجنون في بعض الأحيان. حينما تريد إنجاز شيء في سرعة فائقة يبدون كأنهم يعملون على مهل. أحيانًا أشعر أن من الأفضل العمل بدونهم».

«هل تقول يعملون على مهل؟ هل رفض أي منهم أمرًا قط؟».

رد سريعًا: «لا لا.. يقومون بكل شيء على خير وجه، إلا أنهم يخبرونك عندما يظنون أنك مخطئ. لا يعرفون شيئًا عن الموضوع، لكننا نعلمهم، إلا أن هذا لا يمنعهم من ذلك. ربما يكون هذا ما أتصوره، لكن زملاء آخرين يواجهون نفس المشكلة مع روبوتات نستور».

تنحنح الجنرال كالنر وقال بلهجة تنذر بشرٍّ: «لماذا لم تصلني أي شكوى إذن بهذا الشأن يا بلاك؟».

احمرَّ وجه عالم الفيزياء الشاب وقال: «لم نكن نرغب فعليًّا في العمل بدون الروبوتات يا سيدي بالإضافة إلى أننا لم نكن متأكدين كيف ستتلقى مثل هذه الشكاوى الـ.. التافهة».

قاطعة بوجرت بصوت هادئ: «هل حدث شيء محدد غير معتاد في ذلك الصباح الذي رأيته فيه لآخر مرة؟».

سادت فترة من الصمت وبإشارة هادئة منعت سوزان تعليقًا كاد يخرج من كالنر، وانتظرت بصبر.

ثم تحدث بلاك بغضب وتوتر «حدثت لي مشكلة بسيطة معه. كنت قد كسرت أنبوب كيمول ذلك الصباح وأضعت عمل خمسة أيام، وكان برنامجي بالكامل

متأخرًا عن الجدول. لم أتلق أي بريد من الوطنِ لأسبوعين. وجاء هو يطلب مني تكرار تجربة كنت قد أهملتها قبل شهر. كان دائما ما يزعجني بهذا الأمر، وكنت قد سئمت ذلك. قلت له، إليك عني. كان هذا كل ما حدث».

سألته الدكتورة سوزان باهتمام واضح: «أقلت له: إليك عني؟ هاتان الكلمتان فقط؟ قلت: إليك عني؟ حاول أن تتذكر الكلمات التي قلتها بالضبط».

كان من الواضح أن هناك صراعًا محتدمًا يدور داخل الرجل، وأحنى بلاك جبهته، ووضعها في راحة يده العريضة للحظة، ثم رفعها وقال: «قلت له: اختفِ من هنا».

أطلق بوجرت ضحكة قصيرة وقال: «وها قد فعل أليس كذلك؟».

لكن سوزان لم تكن قد انتهت، بل قالت في لطف: «والآن بدأنا نتوصل لشيء يا سيد بلاك. لكن من المهم أن تتذكر التفاصيل بالضبط، قد تكون كلمة أو إيماءة هي مفتاح فهم تصرفات الروبوت. لا يمكن أن تكون قد قلت هذه الكلمات الثلاث فحسب.. أليس كذلك؟ من خلال وصفك أنت للموقف لابد أنك كنت ثائرًا. ربما قلت شيئًا أغلظ من ذلك».

احمرَّ وجه الشاب وقال: «حسنًا.. ربما أكون قد وجهت له بعض السباب».

«ماذا قلت له بالضبط؟».

«أوه.. لا يمكن أن أتذكر على وجه الدقة. إلى جانب أنني لا يمكن أن أكرر ذلك. أنت تعلمين كيف يكون حال المرء وهو ثائر». وأطلق ضحكة خجل: «يمكنك القول إني معتاد على اللغة الغليظة».

ردت بحدة رسمية: «لا بأس. الآن أنا أخصائية نفسية. وأريد منك أن تخبرني بما قلته للروبوت كما تتذكره بالضبط، والأهم من ذلك أن تقوله بنفس نبرة الصوت التي قلتها له».

نظر بلاك لقائده طالبًا العون لكنه لم يجد شيئًا. دارت عيناه، وبدا فيهما الفزع:

- «لكنني لا أستطيع ذلك».
- «يجب عليك ذلك».

قال بوجرت بسخرية لم يخفها تمامًا: «افترض أنك توجه كلامك لي. ربما تجد الأمر أسهل».

حول الشاب وجهه القرمزي إلى بوجرت وازدرد لعابه وقال: «قلت له...».
توقفت الكلمات في حلقه فحاول مجددًا: «قلت له...».

أخذ نفسًا عميقًا ثم انطلقت الكلمات من فمه كالرصاص متتابعة في نفس واحد، ثم اختتم حديثه وهو يكاد يبكي: «.. تقريبًا. لا أتذكر ترتيب ما قلته له بالضبط، وربما أكون قد نسيت شيئًا أو زدت شيئًا على ما قلته. لكن هذا تقريبًا ما قلته».

بدا احمرار خفيف على وجه سوزان، لكن أيًا من مشاعرها لم يظهر وقالت: «أعرف معنى معظم الأوصاف التي استخدمتها وأفترض أن الباقي لا يقل إهانة».

رد بلاك الذي عذبه الشعور بالذنب: «أخشى ذلك».

«وبين هذا الكلام قلت له أن يختفي».

«لم أكن أعني ذلك حرفيًا».

«أدرك ذلك. ليست هناك نية لإجراء تأديبي، أنا متأكدة من ذلك». ونظرت إلى الجنرال، فأومأ لها موافقًا، بغضب بعد أن كان - قبل خمس ثوان فقط - يبدو غير متأكد من شيء على الإطلاق.

«يمكنك أن تغادر يا سيد بلاك. شكرًا لتعاونك».

استغرقت سوزان كالفن خمس ساعات لمقابلة الروبوتات الثلاثة والستين جميعها. كانت خمس ساعات من التكرار على جميع المستويات. من استبدال روبوت تلو روبوت بآخر مطابق له تمامًا. من تكرار الأسئلة «أ» و«ب» و«جـ» و «د» والأجوبة «أ» و«ب» و«جـ» و«د». من رسم تعبيرات لطيفة على الوجه، والحديث بصوت محايد حذر، وإضفاء أجواء ودية على المقابلات. بالإضافة إلى إخفاء جهاز تسجيل في مكان ما بالحجرة.

شعرت الدكتورة سوزان بالإرهاق الشديد مع انتهاء آخر مقابلة.

كان بوجرت ينتظرها، وبدا مترقبًا وهي تدخل عليه وتترك جهاز التسجيل يرتطم بالسطح البلاستيكي للمكتب محدثًا صوتًا رنانًا.

هزت رأسها وقالت: «تبدو كلها متطابقة بالنسبة لي. لا يمكنني تحديد..».

قاطعها قائلًا: «لا يمكنك أن تتوقعي أن تستطيعي التوصل إليه بمجرد السماع يا سوزان. أعتقد أن علينا تحليل التسجيلات».

في الأحوال العادية يكون التفسير الرياضي للتفاعلات الصوتية للروبوتات واحدًا من أصعب فروع تحليل الروبوتات، حيث يحتاج لفريق من الفنيين المدربين،

ومساعدة أجهزة كمبيوتر معقدة. ولم يكن ذلك خافيًا على بوجرت. وقد قال بوجرت ذلك في حالة من الضيق الشديد الذي لم يظهره بعدما استمع لكل مجموعة من الإجابات، وأعد قوائم بالانحرافات اللفظية، ورسومًا بيانية بالفترة الزمنية التي يستغرقها الروبوت بين الردود.

«لا توجد أي فروق يا سوزان. الاختلاف اللفظي والفترة الزمنية للتفاعل بين الروبوتات في الحدود العادية. نحتاج لطرق أدق. لابد أن لديهم أجهزة كمبيوتر هنا.. لا» عقد حاجبيه ووضع إبهامه في فمه يقرض ظفره بلطف: «لا يمكننا استخدام الكمبيوتر، فهذا يعرضنا لخطر تسرب المعلومات.. لكن ربما لو أننا ...».

قاطعته الدكتورة سوزان بإشارة مَنْ نَفَدَ صبرُه: «من فضلك يا بيتر هذه ليست إحدى مسائلك المعملية البسيطة. لو لم نحدد الروبوت المعدل من خلال أي فارق عام يمكننا ملاحظته بالعين المجردة.. فارق لا مجال للخطأ بشأنه.. فلا فرصة أمامنا. وإلا فسيكون خطر الوقوع في الخطأ والسماح للروبوت المعدل بالهرب كبيرًا. لا يكفي أن نشير إلى تعرجات دقيقة في مسار الخط البياني. أقول لك لو كان هذا كل ما يمكنني الاعتماد عليه فأنا أفضل تدميرهم كلهم فقط للتأكد من عدم هروبه. هل تحدثت مع الروبوتات المعدلة الأخرى؟».

رد بوجرت بإجابة مقتضبة: «نعم فعلت.

«لا توجد أي مشكلة بها. إلا أنها ودودة أكثر من العادي لو كان هذا يمثل شيئًا لك. أجابت على أسئلتي وتباهت بمعلوماتها.. فيما عدا الاثنين الجديدين فلم تتح لهما الفرصة بعد لتعلم فيزياء الأثير. وكانت تضحك بتعجب بريء من عدم إلمامي ببعض التخصصات هنا». ثم هز كتفيه وأضاف: «أعتقد أن هذا قد يكون سببًا أساسيًا لأن يكرههم الفنيون العاملون هنا. ربما يكون الروبوتات أكثر رغبة من اللازم في إثارة إعجابك بمعلوماتهم الكثيرة».

«هل يمكن أن تجرب بعض ردود الأفعال المستوية لترى إن كان هناك أي تغير أو تدهور في حالتهم العقلية منذ تصنيعهم؟».

«لم أجرب ذلك بعد لكني سأفعل». وهز إصبعًا نحيلة باتجاهها: «لقد بدأت تفقدين أعصابك يا سوزان، لا أرى سببًا لهذه المشاعر المأساوية. هؤلاء الروبوتات ليسوا مؤذين بالمرة».

انفجرت سوزان: «أهم كذلك؟ غير مؤذين؟ هل تدرك أن أحدهم يكذب؟ واحد من الثلاثة وستين روبوتًا التي قابلته لتوي تعمد الكذب عليَّ بعدما حذرته بلهجة شديدة من عدم قول الحقيقة. وهذا يشير إلى خلل خطير ومخيف».

جز بيتر بوجرت على أسنانه وقال: «ليس على الإطلاق. انظري.. تلقى نستور 10 أوامر بأن يختفي. وصدرت إليه هذه الأوامر بأقصى درجات الإلحاح من الشخص الذي له أكبر سلطة عليه. لا توجد درجة أعلى من الإلحاح يمكن بها إلغاء هذه الأوامر، وليس هناك من لديه سلطة أعلى فيأمر بخلافها؛ ولذلك كان من الطبيعي أن يحاول الروبوت الدفاع عن تنفيذ هذه الأوامر. في الواقع وبكل موضوعية أنا معجب ببراعته. كانت فكرة بارعة أن يخفي نفسه بين مجموعة من الروبوتات المتطابقين».

«نعم هذا شيء يعجبك. لقد لاحظت أنك تشعر بأن هذا مسلٍّ يا بيتر.. لديك شعور بالتسلية وعدم فهم مثير للدهشة. هل أنت متخصص في الروبوتات يا بيتر؟ هذه الروبوتات لا تولي أي أهمية إلا لما تعتبره أعلى درجة. لقد قلت هذا أنت بنفسك. في عقلها الباطن تشعر هذه الروبوتات بأن البشر كائنات أدنى منها، والقانون الأول الذي يحمينا منها ليس مكتملًا في عقلها. إنها روبوتات غير مستقرة. وهنا لدينا شاب يأمر روبوتًا بأن يبتعد عنه، أو أن يختفي بكل الألفاظ التي توحي بالاشمئزاز والازدراء والبغض. من المسلَّم به أن يطيع ذلك الروبوت الأوامر لكن في عقله الباطن سيكون هناك شعور بالامتعاض. وسيصبح أهم شيء عنده هو إثبات أنه أعلى من البشر رغم كل الشتائم التي سمعها. وربما يصبح هذا مهمًا لديه إلى حد يصبح معه هذا القانون الأول المعدل غير كافٍ لردعه».

– «كيف بالله عليك يا سوزان سيدرك الروبوت مغزى اللغة الفظة التي استخدمت معه؟ الشتائم من الأشياء التي لم يغذٍّ بها عقله».

صرخت فيه سوزان: «الأمور التي يغذى بها عقل الروبوت عند صناعته ليست كل شيء. فالروبوتات لديهم القدرة على التعلم أيها... أيها الأحمق». وحينها علم بوجرت أنها فقدت أعصابها بالفعل. وواصلت كلماتها المتسارعة: «ألا تظن أنه قد يدرك من النبرة المستخدمة أن الكلمات ليست ودية؟

ألا تظن أنه سمع نفس الكلمات تستخدم من قبل وتعلمها في تلك المواقف؟».

هتف بوجرت: «حسنًا إذن.. هلًا أخبرتني بطريقة واحدة يمكن لروبوت معدل أن يؤذي من خلالها بشرًا مهما كان يشعر بالمهانة، وبغض النظر عن مدى قوة رغبته في إثبات أنه من نوع أعلى؟».

«إذا أخبرتك بأحد أشكال الإيذاء المحتملة فهل ستكف عن الجدال؟».

«نعم».

كان كل منهما يستند إلى الطاولة في مواجهة الآخر يحدق إلى عينيه بغضب.

قالت الطبيبة النفسية: «لو ألقى روبوت معدل صندوقًا ثقيلًا على إنسان فلن يكون ذلك مخالفًا للقانون الأول إذا كان يعلم أن لديه من القوة وسرعة رد الفعل ما يكفي لإبعاد الصندوق قبل أن يصل لذلك الشخص. لكنه بمجرد أن ترك الحمل من بين أصابعه لم يصبح الوسيط النشط بل الجاذبية الأرضية العمياء. ويمكن للروبوت حينها أن يغير رأيه ولا يتخذ أي رد فعل على الإطلاق وأن يسمح للحمل الثقيل بأن يضرب الرجل. القانون الأول المعدل يسمح بذلك».

«هذا خيال بشع».

«هذا هو ما تحتاج إليه مهنتي في بعض الأحوال. دعنا نعمل بدلًا من أن نتشاجر يا بيتر. أنت تعرف طبيعة المحفز الذي دفع الروبوت لأن يخفي نفسه، ولديك التسجيلات الخاصة بتركيبته العقلية الأصلية. أريدك أن تخبرني ما احتمالات أن يقوم ذلك الروبوت بتصرف مثل الذي كنت أتحدث عنه الآن. ليس التصرف في حد ذاته (انتبه!) ولكن نوعية رد الفعل. وأريد ذلك بسرعة».

- «وفي غضون ذلك...».

- «وفي غضون ذلك سيكون علينا محاولة اختبار الاستجابة للقانون الأول بشكل مباشر».

تولى جيرالد بلاك بناءً على طلب منه الإشراف على عملية إنشاء العنابر الخشبية في الطابق الثالث المقبب لمبنى الإشعاع رقم 2. كان العمال يؤدون مهامهم أساسًا في صمت، لكن بعضهم كان يبدي تعجبه من الخلايا الضوئية الثلاث والستين التي كان عليهم تركيبها.

جلس أحدهم قرب بلاك وخلع قبعته ومسح جبهته في تأمل بذراع يملؤها النمش.

أومأ له بلاك وقال: «كيف تسير الأمور يا والنسكي؟».

هز والنسكي كتفيه وأشعل سيجارًا وقال: «في يسر تام. ماذا يحدث على أي حال يا دكتور؟ في البداية لم يكن هناك عمل لثلاثة أيام ثم أصبح لدينا كل هذا العدد...». و استند للخلف إلى مرفقيه ونفث دخان سيجاره.

ارتفع حاجبا بلاك ثم انخفضا في حركة سريعة وهو يقول: «جاء روبوتان من الأرض. هل تذكر المشكلة التي واجهناها مع اقتحام الروبوتات لمجال أشعة جاما قبل أن نعدل عقولهم لمنعهم من تكرار ذلك؟».

«نعم. ألم نحصل على روبوتات جديدة؟».

«حصلنا على بعض الروبوتات البديلة، لكن المسألة مسألة تلقين في المقام الأول. على أي حال، تريد الشركة المصنعة لهم أن تعرف الروبوتات التي لم تصبها أشعة جاما إصابات بالغة».

«بالطبع، إلا أن الأمر يبدو غريبًا أن يتم وقف كل العمل في المحرك من أجل أمر كهذا. ظننت أن العمل في المحرك لم يكن ليوقفه شيء».

«حسنًا.. ذلك الرجل بالطابق العلوي هو الذي يقرر كل شيء. وأنا أنفذ ما يطلبه مني فحسب. ربما...».

«نعم» ارتسمت ابتسامة متلعثمة على شفتي الفني الكهربائي، وغمز بعينه بطريقة توحي بحكمته وهو يقول: «أحدهم كان يعرف أحدًا في واشنطن. لكن مادام راتبي يصلني في موعده فليس عليَّ أن أقلق. المحرك ليس من شأني على أي حال. ماذا سيفعلون هنا؟».

«تسألني؟ لقد جلبوا عددًا كبيرًا من الروبوتات معهم.. أكثر من ستين روبوتًا وينوون قياس ردود أفعالهم. هذا كل ما أعرفه».

«وكم سيستغرق ذلك؟».

«ليتني أعرف!».

قال والنسكي بسخرية لاذعة: «حسنًا، ماداموا يدفعون لي فليلعبوا كما يشاءون».

شعر بلاك بالرضا. فلتنتشر هذه الرواية؛ فهي غير مؤذية وقريبة جدًّا من الحقيقة، وسيقنع بها الفضوليون.

جلس رجل في الكرسي صامتًا بلا حركة. سقط صندوق ثقيل في اتجاهه لكنه طاش جانبًا في اللحظة الأخيرة حينما ضربته حزمة أشعة مفاجئة. في ثلاث وستين خلية خشبية اندفع الروبوتات من طراز إن إس2 الذين كانوا يراقبون الموقف في جزء من الثانية قبل أن ينحرف الصندوق وهزت ثلاثًا وستين خلية ضوئية على بعد خمسة أقدام من أماكن الروبوتات الأصلية قلمها وخطت بقلم التعليم . ارتفع الصندوق وسقط .. ارتفع وسقط .. ارتفع وسقط..

عشر مرات!

وفي كل مرة اندفعت الروبوتات للأمام، وتوقفت في الوقت الذي تبينت فيه أن الرجل لن يصاب بسوء.

لم يكن الجنرال كالنر قد ارتدى زيه العسكري بالكامل منذ الغداء الأول مع ممثلي يو إس روبوتس. والآن لم يكن يرتدي شيئًا فوق قميصه الأزرق المائل إلى الرمادي، وكانت ياقة قميصه مفتوحة وربطة عنقه السمراء غير معقودة.

نظر بأمل إلى بوجرت الذي ظل مهندمًا، ولم تظهر أي علامة عليه من قلقه الداخلي سوى قطرات عرق خفيفة على صدغيه.

قال الجنرال: «كيف يبدو الأمر؟ ما الذي تحاول أن تراه؟».

رد بوجرت: «اختلاف أخشى أنه أدق مما نبحث عنه؛ إذ إنه في اثنين وستين من هذه الروبوتات كانت ضرورة القفز تجاه البشري المعرض للخطر ما نسميه في علم الروبوتات رد فعل قسريًّا. حتى عندما أدرك الروبوتات أن الرجل لن يصاب بأذى وهو ما يجب أن يكونوا قد توصلوا إليه بعد المرة الثالثة أو الرابعة، فلم يمكنهم منع أنفسهم من التصرف بهذه الطريقة. القانون الأول يجبرهم على ذلك».

- «ثم؟».

- «لكنَّ الروبوت الثالث والستين وهو الروبوت المعدل من طراز نستور لم يكن مضطرًّا لذلك؛ فقد كان يتصرف بمحض إرادته. وكان بإمكانه أن يظل في مكانه لو أراد. لكنه للأسف...»، وظهرت نبرة أسف خفيفة في صوته: «لم يرد ذلك».

«وماذا يعني ذلك من وجهة نظرك؟».

هز بوجرت كتفيه وقال: «أعتقد أن الدكتورة سوزان ستخبرنا حينما تأتي إلى هنا. ربما يكون تفسيرها متشائمًا ومخيفًا أيضًا؛ فهي مثيرة للضجر بعض الشيء أحيانًا».

سأل الجنرال وقد قطَّب حاجبيه لشعور مفاجئ بعدم الارتياح: «لكنها مؤهلة لهذا العمل، أليس كذلك؟».

بدا بوجرت مستمتعًا وهو يقول: «بلى. لا بأس بمؤهلاتها؛ فهي تفهم الروبوتات كما لو كانت أختًا لهم.. وهذا مرجعه كره شديد للبشر فيما أعتقد. وبغض النظر عن كونها أخصائية نفسية فهي عصبية للغاية، كما أنها متشككة بعض الشيء، فلا تأخذ الأمر بجدية أكثر من اللازم».

بسط أمامه صفًا طويلًا من الرسوم البيانية المتقطعة وقال: «انظر أيها الجنرال في حالة كل روبوت تجد الفترة الزمنية بين سقوط الصندوق وقطع مسافة خمسة أقدام تتقلص في كل مرة نكرر فيها التجربة. هناك علاقة رياضية محددة تحكم كل الأمور، وعدم الالتزام بها يشير إلى خلل ملحوظ في العقل البوزيتروني. للأسف كل الحركات هنا تبدو طبيعية».

«لكن إذا لم يكن الروبـوت الذي نتحدث عنه نستور الذي نبحث عنــه يسـتجيب وفقًا لرد فعل قسري فلماذا لا يبدو المنحنى البياني الخاص به مختلفًا؟ لا أفهم هذه النقطة».

«هذا أمر بسيط للغاية. ردود أفعال الروبوتات ليست متماثلة تمامًا مع مثيلتها لدى البشر وهو أمر مؤسف. بالنسبة للبشر يكون رد الفعل الإرادي أبطأ كثيرًا من الأفعال اللاإرادية. لكن الحال ليس كذلك بالنسبة للروبوتات حيث إنها بالنسبة لهم مجرد مسألة حرية الاختيار؛ ولذا فسرعة ردود الأفعال الإرادية لا تختلف كثيرًا عن مثيلتها القسرية. إلا أن ما كنت أنتظره هو أن يفاجأ نستور 10 في المرة الأولى، وأن تمر فترة زمنية أطول قبل استجابته».

«ولم يفعل؟».

«أخشى ذلك».

«لم نتوصل لأي شيء إذن». جلس الجنرال في مقعده وعلى وجهه علامات الحزن: «لقد مرت خمسة أيام منذ مجيئكما».

عندها دخلت سوزان كالفن إلى الحجرة وصفقت الباب وراءها وصاحت: «نحِّ رسومك البيانية جانبًا يا بيتر فأنت تعرف أنها لا تظهر شيئًا».

غمغمت بشيء بنفاد صبر، بينما تحرك كالنر من مقعده ليحييها وأكملت: «سيتعين علينا أن نجرب شيئًا آخر سريعًا. لا يعجبني ما يحدث».

تبادل بوجرت نظرة ضجر مع الجنرال وقال: «هل هناك أي مشكلة؟».

«هل تعني مشكلة محددة؟ لا. لكن لا يعجبني أن يواصل نستور 10 مراوغتنا. هذا أمر سيئ. لا بد أن هذا يرضي إحساسه المتضخم بالتفوق علينا. أخشى أن دافعه لم يعد مجرد اتباع الأوامر. أعتقد أن الأمر أصبح مجرد ضرورة عصبية عنده أن يتفوق تفكيره على ذكاء البشر وهذا موقف خطير للغاية. هل فعلت ما طلبته منك يا بيتر؟ هل توصلت لعوامل الاضطراب في إن إس2 وفقًا للمعايير التي حددتها؟».

أجاب عالم الرياضيات بلا مبالاة: «أقوم بذلك».

حدقت إليه بغضب للحظة، ثم التفتت إلى كالنر قائلة: «نستور 10 يعلم تمامًا ما نفعله أيها الجنرال. لم يكن لديه سبب للقفز إلى الطعم في هذه التجربة خاصة أنه بالتأكيد أدرك من المرة الأولى أن الرجل ليس في خطر حقيقي. لم يكن بإمكان الباقين منع أنفسهم، لكن نستور 10 كان يصطنع رد فعله عن عمد».

«ماذا تعتقدين أن علينا فعله الآن يا دكتورة سوزان؟».

«أن نجعل من المستحيل بالنسبة له أن يصطنع رد فعل في المرة القادمة. سنكرر التجربة، لكن مع إضافة عنصر جديد. سنضع كابلات ضغط عالٍ لها مجال كهربائي قادر على تدمير روبوتات نستور بين الشخص الذي نجري عليه التجربة وبين الروبوت.. سنضع عددًا كافيًا منها لتفادي احتمال أن يقفز فوقها أحدهم، وسنجعل الروبوت يدرك تمامًا ومقدمًا أن لمس هذه الكابلات يعني هلاكه».

قال بوجرت بخبث مفاجئ: «على رسلك.. أنا أرفض ذلك. لن ندمر روبوتات تساوي مليوني دولار لتحديد نستور 10 . هناك طرق أخرى».

«هل أنت متأكد؟ لم تتوصل إلى أي منها. على أي حال، القضية ليست القتل صعقًا. يمكننا وضع مفتاح يقطع التيار في اللحظة التي يقع فيها عليه وزن. وفي حالة وضع الروبوت نفسه على الكابل فلن يموت. لكنه لن يعرف بذلك هل فهمت؟!».

لمعت عينا الجنرال ببريق أمل وقال: «هل سينجح هذا؟».

«يُفترض ذلك. في هذه الحالة سيتعين على نستور 10 أن يظل في مقعده. يمكن أن نأمره بأن يلمس الكابلات ويموت؛ لأن القانون الثاني الذي ينص على الطاعة يسبق القانون الثالث الذي ينص على الحفاظ على الذات. لكننا لن نأمره بذلك وسنتركه يتصرف بطبيعته كما هو حال الروبوتات الآخرين. في حالة الروبوتات العاديين سيدفعهم القانون الأول الخاص بسلامة البشر إلى حتفهم حتى دون أن يأمرهم أحد وهو ما لا ينطبق على نستور 10 المعدل. بدون القانون الأول بالكامل وبدون أن يتلقى أي أوامر فسيكون القانون الثالث الخاص بحفاظه على نفسه هو السائد، ولن يكون لديه خيار إلا أن يظل في مقعده. سيكون هذا فعلًا قسريًّا».

«هل سننفذ ذلك الليلة إذن؟».

قالت الأخصائية النفسية: «الليلة إذا أمكن وضع الكابلات في وقت مناسب. فسأبلغ الروبوتات الآن بالذي سيواجهونه».

جلس رجل في المقعد صامتًا بلا حراك. وسقط صندوق ثقيل تجاهه، لكنه طاش بعيدًا عنه في اللحظة الأخيرة حينما ضربته حزمة مفاجئة.

حدث ذلك مرة واحدة فقط.

ومن مقعدها الصغير في كابينة المراقبة في الشرفة انتفضت الدكتورة سوزان كالفن وصدرت منها شهقة قصيرة تعبِّر عن فزع حقيقي.

جلس الروبوتات الثلاثة والستون جميعهم بهدوء في مقاعدهم يحملقون إلى الرجل الجالس أمامهم. لم يتحرك أحد منهم.

شعرت الدكتورة سوزان بغضب لا يكاد يحتمل، وازدادت غضبًا لأنها لم تجرؤ على أن تظهر ذلك للروبوتات الذين كانوا يدخلون الحجرة الآن الواحد تلو الآخر، ثم يغادرونها. نظرت سوزان في القائمة وكان الروبوت رقم ثمانية وعشرين عليه الدور الآن.. مازال أمامها خمسة وثلاثون روبوتًا.

دخل رقم ثمانية وعشرين وبدا مترددًا.

أجبرت سوزان نفسها على التزام الهدوء وقالت: «من أنت؟».

أجاب الروبوت بصوت خفيض متردد: «لم أتلق رقمًا خاصًا بي يا سيدتي. أنا روبوت من طراز إن إس2 وكنت رقم ثمانية وعشرين في الصف بالخارج. لديَّ قصاصة من الورق هنا من المفترض أن أعطيها لك».

«ألم تدخل إلى هنا من قبل؟».

«نعم يا سيدتي لم أدخل».

«اجلس هنا. أريد أن أسألك بعض الأسئلة يا رقم ثمانية وعشرين. هل كنت في حجرة الإشعاع بالمبنى رقم 2 قبل أربع ساعات؟».

تلعثم الروبوت قبل أن يـرد بصـوت خشـن كأنه آلة تحتـاج للتشحـيم: «نعم يا سيدتي».

«كان هناك رجل كاد أن يصاب بأذى.. أليس كذلك؟».

«بلى يا سيدتي».

«ولم تفعل شيئًا .. أليس كذلك؟».

«بلى يا سيدتي».

«كان من الممكن أن يصاب الرجل بأذى؛ لأنك لم تتدخل. هل تدرك ذلك؟».

«نعم يا سيدتي. لم يكن بإمكاني فعل شيء». من الصعب تخيل هذا الآلي الضخم الذي لا يبدو على وجهه أي تعبير وهو يجفل من الخشية، لكنه فعل.

- «أريدك أن تخبرني بمنتهى الدقة لماذا لم تفعل شيئًا لإنقاذه».

- «أريد أن أشرح لك يا سيدتي. بالتأكيد لا أريد أن تعتقدي.. أو أن يعتقد اي شخص أنني يمكن أن أفعل شيئًا قد يؤذي أحد السادة. لا فهذا سيكون شيئًا بشعًا.. لا يمكن تصوره...».

«هون عليك يا بني فأنا لا ألومك على شيء. فقط أريد أن أعرف فيم كنت تفكر في ذلك الوقت».

«لقد أخبرتنا يا سيدتي قبل حدوث كل هذا أن أحد السادة سيكون عرضة لأن يقع عليه صندوق ثقيل، وأنه سيكون علينا أن نعبر كابلات كهربائية لمحاولة إنقاذه. حسنًا يا سيدتي لم يكن ذلك ليوقفني. فماذا تساوي حياتي مقابل سلامة أحد السادة؟ لكن... لكن خطر لي أنني إذا مت وأنا في طريقي إليه فلن أتمكن من إنقاذه على أي

حال. سيسحقه الصندوق الثقيل وسأكون فقدت حياتي بلا طائل، وربما يصاب سيد آخر في يوم ما بأذى لم يكن ليصيبه لو كنت لا أزال حيًّا. هل تفهمينني يا سيدتي؟».

«تعني أن الأمر كان مجرد الاختيار بين أن يموت الرجل أو أن يموت كلاكما. هل هذا صحيح؟».

«نعم يا سيدتي. كان من المستحيل إنقاذ السيد. فقد كان ميتًا لا محالة. في هذه الحالة من غير المعقول أن أدمر نفسي بلا طائل.. دون أن يصدر لي أمر بذلك».

تحسست الطبيبة النفسية قلم رصاص. كانت قد سمعت نفس القصة بنفس الألفاظ تقريبًا سبعًا وعشرين مرة من قبل. وحان وقت السؤال الحرج.

قالت: «تفكيرك له ما يبرره، لكن ليس هذا هو التفكير الذي توقعته منك. هل فكرت في نفسك؟».

تردد الروبوت ثم أجاب: «لا».

- «من فكر فيها إذن؟».

- «كنا نتحدث ليلة أمس وخطرت لأحدنا هذه الفكرة وبدت منطقية».

- «من هو؟».

فكر الروبوت بتعمق: «لا أعرف. أحدنا».

تنهدت سوزان وقالت: «هذا كل شيء».

كان التالي هو رقم تسعة وعشرين، كان أمامها أربعة وثلاثون.

كان الجنرال كالنر غاضبًا هو الآخر، فقد توقف العمل تمامًا على قاعدة هايبر بيز لأسبوع كامل مما حال دون بعض الأعمال الورقية على الكويكبات التابعة في المجموعة. لأسبوع كامل تقريبًا أجرى أكبر خبيرين في المجال اختباراتهما دون أن يتوصلا لشيء سوى أنها أدت لتدهور الموقف. والآن يخرجان عليه - أو السيدة على الأقل - بافتراضات مستحيلة.

ومن حسن الحظ للموقف بشكل عام أن شعر كالنر بأن من عدم اللياقة إظهار غضبه لهما.

كانت سوزان تتحدث بإصرار: «ولِمَ لا يا سيدي؟ من الواضح أن الوضع الحالي

سيئ. الطريقة الوحيدة التي قد نصل بها لنتائج في المستقبل هي عزل الروبوتات. لم يعد بإمكاننا إبقاؤهم معًا أكثر من ذلك».

قال الجنرال: «عزيزتي الدكتورة سوزان.. لا أرى كيف يمكنني توزيع الروبوتات الثلاثة والستين في أنحاء المكان...».

رفعت الدكتورة سوزان ذراعيها بلا حيلة: «لا يمكنني فعل شيء إذن. نستور إما أنه سيقلد ما سيفعله الروبوتات الآخرون، أو سيقنعهم بعدم فعل ما لا يمكنه هو فعله. وفي كلتا الحالتين سيكون الأمر سيئًا. نحن في معركة فعلية مع هذا الروبوت الصغير المفقود، وهو ينتصر فيها. وكل نصر يحققه يزيد من حدة الخلل بداخله».

وقفت سوزان بتصميم وقالت: «جنرال كالنر، إذا لم تعزل الروبوتات كما أطلب منك فلن يتبقى لي سوى أن أطلب تدميرها كلها على الفور».

رفع بوجرت ناظريه فجأة وقال بغضب حقيقي: «ستطلبين ذلك حقًّا؟ من أعطاك الحق في أن تطلبي أمرًا كهذا؟ سيظل الروبوتات كما هم، *فأنا* المسئول عن الإدارة وليس أنت».

أضاف الجنرال كالنر: «وأنا مسئول أمام المنسق العالمي وعليَّ أن أجد حلًّا».

ردت سوزان بعصبية: «في هذه الحالة ليس هناك ما أفعله سوى الانسحاب. إذا استدعى الأمر أن أجبركم على التدمير الضروري للروبوتات فسأكشف سر هذا الأمر برمته على الملأ. لم يكن أنا من وافق على تصنيع الروبوتات المعدلين».

قال الجنرال بهدوء: «إذا صدرت منك كلمة واحدة يا دكتورة سوزان تخالف الإجراءات الأمنية فستوضعين في السجن على الفور».

شعر بوجرت بخروج الأمر عن السيطرة، وبدأ صوته يلين وهو يقول: «حسنًا، بدأنا نتصرف الآن كالأطفال.. كلنا نحتاج فقط بعض الوقت. بالتأكيد يمكننا التغلب على روبوت دون أن نستقيل من عملنا أو أن نسجن الآخرين أو أن ندمر مليوني دولار».

رمقته الدكتورة النفسية بغضب شديد وقالت: «لا أريد أن يستمر وجود روبوت مختل. لدينا روبوت نستور بالتأكيد يعاني خللًا، إلى جانب أحد عشر روبوتًا آخرين

ربما يكون أحدهم كذلك، ولدينا اثنان وستون روبوتًا يعيشون في بيئة غير متوازنة. الحل الوحيد الآمن تمامًا هو تدميرهم عن آخرهم».

طرق الباب وصمت الجميع، وتجمدت الجلبة الغاضبة الناجمة عن احتدام المشاعر بصورة مفرطة.

قال كالنر: «ادخل».

كان جيرالد بلاك يبدو قلقًا، فقد سمع أصواتًا غاضبة. وقال: «اعتقدت أن عليَّ أن آتي بنفسي.. لم أشأ أن أطلب من أحد آخر..».

«ما الأمر؟ لا وقت للكلام المنمق..».

«لقد عبث أحدهم بقفل الكابينة (ج) بالسفينة التجارية. هناك خدوش جديدة عليه».

قالت الدكتورة سوزان: «كابينة (ج)؟ هذه هي التي بها الروبوتات.. أليس كذلك؟ من فعلها؟».

رد بلاك باقتضاب: «من الداخل».

«لم يصب القفل بأي عطب.. أليس كذلك؟».

«بلى. إنه سليم. لقد قضيت على السفينة أربعة أيام حتى الآن ولم يحاول أحدهم الخروج. لكنني رأيت أنه ينبغي أن تعلموا بذلك، ولم أشأ أن ينتشر الخبر. لقد لاحظت الأمر بنفسي».

سأله الجنرال: «هل هناك أحد الآن؟».

«تركت روبنز وماك آدامز هناك».

ساد الصمت وبدا على الجميع التفكير، ثم قالت الدكتورة سوزان بنبرة ساخرة: «إذن؟».

حك كالنر أنفه وقال بنبرة غير متيقنة: «ما الذي يحدث؟».

«أليس هذا واضحًا؟ نستور 10 ينوي المغادرة. هذا الأمر بالاختفاء يهيمن على الخلل الموجود به أكثر من أي شيء يمكننا فعله. لن يدهشني إذا كان ما تبقى من القانون الأول لديه ليس قويًا بما يكفي للتغلب على ذلك. هو قادر تمامًا على السيطرة على السفينة والرحيل بها. حينها سيكون لدينا روبوت مجنون على سفينة فضائية. ماذا سيفعل بعد ذلك؟ هل لديكم أي فكرة؟ هل ما زلت تريد تركهم جميعًا معًا أيها الجنرال؟».

قاطعها بوجرت قائلًا: «هراء...». كان قد استعاد نبرته الخبيثة، وقال: «استنتجت كل هذا من بضعة خدوش على قفل؟».

- «هل أكملت التحليل الذي طلبته منك يا دكتور بوجرت بما أنك تتطوع بإبداء رأيك؟».

- «نعم».

- «هل يمكنني أن أراه؟».

- «لا».

- «ولِمَ لا؟ أم ليس لي أن أسأل أيضًا؟».

- «لأنه لا فائدة من ذلك يا سوزان. قلت لك مسبقًا إن الروبوتات المعدلين أقل استقرارًا من نظرائهم العاديين، وتحليلي يظهر ذلك. هناك فرصة ضئيلة للغاية لانهيار الروبوت، لكن في ظروف قاسية ليس من المرجح أن تحدث. فلنترك الأمر عند هذا الحد. لن أوفر لك ما يبرر طلبك السخيف بتدمير اثنين وستين روبوتًا أصحاء تمامًا فقط؛ لأنك عاجزة حتى الآن عن التوصل لنستور 10 من بينهم».

حدقت سوزان كالفن إليه من أعلى لأسفل وقد ملأ الازدراء عينيها قائلة: «لن تدع أي شيء يقف في طريق حصولك على الإدارة الدائمة.. أليس كذلك؟».

تضرع كالنر بصوت يشوبه الضيق: «من فضلك.. هل تصرين على أنه لا يوجد شيء آخر يمكننا عمله يا دكتورة سوزان؟».

أجابت بصوت مرهق: «لا يمكنني التفكير في أي شيء يا سيدي. لو كانت هناك اختلافات أخرى بين نستور 10 والروبوتات الطبيعيين.. اختلافات لا تتضمن القانون الأول. حتى ولو كان اختلافًا واحدًا فقط. شيء في برمجة المخ أو البيئة أو الخصائص...»، وتوقفت فجأة.

- «ما الأمر؟».

- «فكرت في شيء.. أعتقد...». شردت عيناها بعيدًا في تأمل، وأضافت: «الروبوتات المعدلون يا بيتر يتم برمجتهم بنفس الطريقة التي تبرمج بها عقول الروبوتات العاديين .. أليس كذلك؟».

- «بلى بالضبط».

تحولت إلى الشاب الذي التزم الصمت بعد العاصفة التي أعقبت ما قاله وسألته:

«وماذا كنت تقول يا سيد بلاك في إحدى المرات وأنت تشكو من سلوك الروبوتات نستوز؟ قلت إن الفنيين علموهم كل ما يعرفونه!».

«نعم في فيزياء الأثير، لم تكن لديهم أي معرفة بذلك الموضوع قبل مجيئهم إلى هنا».

قال بوجرت بدهشة: «هذا صحيح. أخبرتك يا سوزان عندما تحدثت إلى الروبوتات نستور الآخرين هنا بأن الروبوتين اللذين وصلا حديثًا لم يكونا يعرفان أي شيء عن فيزياء الأثير بعد».

«ولم ذلك؟». كانت الدكتورة سوزان تتحدث بحماس متزايد: «لماذا لا يجري طبع فيزياء الأثير في عقول الروبوتات من طراز إن إس2 من البداية؟».

قال كالنر: «أنا أقول لك: الأمر كله يتعلق بالسرية. فكرنا أننا لو صنعنا طرازًا خاصًّا يعرف فيزياء الأثير واستخدمنا اثني عشر روبوتًا من هذا الطراز وجعلنا الباقين يعملون في مجال مختلف فلربما يثير ذلك الشكوك. ربما يتساءل الرجال الذين يعملون مع الروبوتات العاديين عن سبب تعلمهم فيزياء الأثير؛ لذا تم فقط برمجة عقولهم على القدرة على تعلم هذا المجال، وبذلك فإن الروبوتات الذين يأتون هنا هم فقط الذين يتدربون عليه. هذا هو الأمر ببساطة».

«فهمت. من فضلكم غادروا المكان الآن، كلكم. أريد أن أختلي بنفسي ساعة أو نحو ذلك».

شعرت الدكتورة سوزان أنها غير قادرة على مواجهة الاختبار لمرة ثالثة. كانت قد فكرت مليًّا في الأمر، ورفض عقلها ذلك بقوة؛ مما جعلها تشعر بالغثيان. لم يكن بإمكانها مواجهة ملف الروبوتات المتكررة الذي لا ينتهي مرة أخرى.

لذا سأل بوجرت السؤال الآن، بينما كانت تجلس في أحد جوانب الغرفة وعيناها شبه مغمضتيْن، وكذلك عقلها.

وصل رقم أربعة عشر. مازال أمامها تسعة وأربعون.

رفع بوجرت عينيه عن الأوراق التي أمامه وقال: «ما رقمك في الصف؟».

«أربعة عشر يا سيدي»، وأبرز الروبوت البطاقة التي تحمل رقمه.

«اجلس يا بني».

سأل بوجرت: «لم تأت إلى هنا من قبل؟».

«لا يا سيدي».

«حسنًا، سيكون لدينا رجل آخر في خطر يا بني قريبًا بعدما ننتهي مما نفعله هنا. في الحقيقة عندما تغادر هذه الغرفة ستقاد إلى عنبر صغير حيث ستنتظر بهدوء لحين الاحتياج إليك. مفهوم؟».

«نعم يا سيدي».

«والآن بالطبع إذا كان هناك رجل معرضٌ للخطر فسوف تحاول إنقاذه».

«بالطبع يا سيدي».

«للأسف سيكون بينك وبين الرجل مجال لأشعة جاما».

سادت فترة من الصمت.

سأل بوجرت بحدة: «هل تعلم ما أشعة جاما؟».

«أشعة طاقة يا سيدي؟».

جاء السؤال التالي بأسلوب ودود وغير رسمي: «هل تعاملت مع أشعة جاما من قبل؟».

جاءت الإجابة قاطعة: «لا يا سيدي».

«ممم.. حسنًا يا بني، أشعة جاما ستقتلك على الفور لو تعرضت لها. ستدمر عقلك. هذه حقيقة يجب أن تعلمها وتتذكرها فأنت لا تريد بالطبع أن تدمر نفسك».

«بالطبع» وبدت على الروبوت الدهشة مجددًا، ثم قال ببطء: «لكن إذا كانت أشعة جاما بيني وبين السيد الذي قد يتعرض لأذى فكيف سيمكنني إنقاذه؟ سأدمر نفسي بلا طائل».

بدت علامات الاهتمام على بوجرت وقال: «نعم.. نصيحتي الوحيدة لك يا بني هي أنه إذا رصدت أشعة جاما بينك وبين الرجل فيمكنك أن تظل حيثما أنت».

أبدى الروبوت شعورًا بالارتياح وقال: «شكرًا لك يا سيدي. لن يكون هناك أي فائدة.. أليس كذلك؟».

«بلى بالطبع. لكن إذا لم تكن هناك أي أشعة خطرة فسيكون الأمر مختلفًا».

«بالطبع يا سيدي. لا شك في ذلك».

«يمكنك أن تغادر الآن. الرجل على الجانب الآخر من الباب سيقودك إلى عنبرك الصغير. من فضلك انتظر هناك».

نظر إلى سوزان كالفن عندما غادر الروبوت وقال: «كيف كان ذلك يا سوزان؟».

قالت بملل: «جيد جدًّا».

«هل تعتقدين أن بإمكاننا التعرف إلى نستور 10 من خلال بعض الأسئلة السريعة عن فيزياء الأثير؟».

«ربما، ولكن هذا ليس كافيًا بالتأكيد». كانت تضع يديها باسترخاء في حجرها: «تذكر أنه يحاربنا؛ ولذا فهو يأخذ حذره جيدًا. السبيل الوحيد للإمساك به هو أن نكون أذكى منه.. وهو - على قدر معرفته - قادر على أن يفكر أسرع من أي إنسان».

«حسنًا.. على سبيل التجربة، أعتقد أنني سأسأل الروبوتات من الآن فصاعدًا بعض الأسئلة عن أشعة جاما. حدود طول موجاتها مثلًا».

برقت عينا الدكتورة سوزان وقالت: «لا. سيكون من السهل جدًّا له أن ينكر أي معرفة وحينها سيتوجس من هذا الاختبار الذي سنضعه فيه، وهذه فرصتنا الحقيقية. من فضلك التزم بالأسئلة التي وضعتها يا بيتر ولا تضف أي جديد. يكفي من المخاطرة أن نسأله إن كان قد تعامل مع أشعة جاما من قبل. وحاول أن يكون صوتك أقل اهتمامًا حينما توجه إليه هذا السؤال».

هزَّ بوجرت كتفيه وضغط على الزر الذي يسمح بدخول الروبوت رقم خمسة عشر.

كانت حجرة الإشعاع الكبيرة قد أعدت للاختبار مرة أخرى. انتظر الروبوتات بفارغ الصبر كل في عنبره الخشبي. كانت العنابر كلها مفتوحة على منتصف الحجرة، لكنها مفصولة عن بعضها البعض.

مسح الجنرال كالنر حاجبه ببطء بمنديل كبير، بينما كانت الدكتورة سوزان تتمم على آخر التفاصيل مع بلاك.

سألته: «هل أنت متأكد الآن من أن أيًا من الروبوتات لم تسنح له فرصة التحدث مع الآخرين بعد مغادرة غرفة التوجيهات؟».

قال بلاك: «متأكد تمامًا. لم يتبادل أحدهم كلمة واحدة مع الآخر».

- «وتم إدخال الروبوتات كل في عنبره؟».

- «ها هي الخطة».

تأملتها الدكتورة النفسية للحظات وقالت: «مم ...».

اختلس الجنرال النظر من فوق كتفيها وقال: «ما فكرة هذا الاختبار يا دكتورة سوزان؟».

- «لقد طلبت أن يتم وضع الروبوتات التي كان هناك شك ولو طفيفًا في أنهم يكذبون في الاختبار السابق في جانب واحد من الدائرة. سأجلس في المنتصف بنفسي هذه المرة، وأريد أن أتابع هؤلاء على وجه الخصوص».

هتف بوجرت: «ستجلسين هناك بنفسك؟».

سألته ببرود: «ولِمَ لا؟ ما أتوقع أن أراه لن يستغرق ربما لحظات. لا يمكنني أن أخاطر بأن يكون أحدَ غيري هو المراقـب الرئيسـي. ستكون أنت في كابينـة المراقبة يا بيتر، وأريدك أن تراقب الجانب الآخر من الدائرة. جنرال كالنر، لقد رتبت لالتقاط بعض الصور المتحركة لكل روبوت؛ خشية أن تكون المراقبة بالعين المجردة غير كافية. إذا احتجنا لها فينبغي أن يظل الروبوتات حيث هم لحين الانتهاء من إعداد الصور المتحركة وفحصها. يجب ألا يغادر أحد مكانه أو يغيره. هل هذا واضح؟».

«تمامًا».

«إذن دعنا نخُض هذه التجربة مرة أخيرة».

جلست سوزان كالفن في المقعد صامتة، لكنَّ عينيها في حركة دائمة. سقط الصندوق باتجاهها قبل أن يطيش جانبًا في اللحظة الأخيرة حينما ضربته حزمة إشعاعية مفاجئة.

وقف روبوت وحيد وأخذ خطوتين ثم توقف.

لكن الدكتورة سوزان وقفت وأشارت إليه بحدة وصاحت فيه: «نستور 10، تعال إلى هنا.. تعال إلى هنا».

أخذ الروبوت خطوة أخرى إلى الأمام ببطء وعلى مضض. صاحت الطبيبة النفسية بأعلى صوتها دون أن ترفع عينيها عن الروبوت: «فليخرج أحدكم كل الروبوتات الآخرين من هذا المكان. أخرجوهم بسرعة *وأبقوهم* في الخارج».

سمعت جلبة وضجيج وقع أقدام ثقيلة وصلبة على الأرض، لكنها لم تحول عينيها عن الروبوت.

أخذ الروبوت الذي شكَّت الدكتورة سوزان في أنه نستور 10 خطوة ثم خطوتين أخريين تحت ضغط إشارتها الآمرة. كان على مسافة عشرة أقدام فقط حينما تحدث بصوت خشن: «لقد طلب مني أن أختفي».

ثم أخذ خطوة أخرى: «يجب ألا أعصي الأوامر. لم يستطيعوا اكتشافي حتى الآن.. سيظن أني فشلت.. لقد أخبرني.. لكن الأمر ليس كذلك.. أنا قوي وذكي».

كانت كلماته متقطعة.

أخذ خطوة أخرى: «أعرف أشياء كثيرة.. سيظن .. أعني أنه تم اكتشاف أمري.. يا للعار! لستُ أنا. أنا ذكي. وعلى يد من؟ سيدة ضعيفة وبطيئة!».

أخذ خطوة أخرى ودفع ذراعًا معدنية ثقيلة إلى كتفها وشعرت بأنها تغوص لأسفل تحت ثقلها. شعرت بحلقها يجف وصرخة فزع داخلها، واستطاعت بصعوبة سماع كلمات نستور 10 التالية: «لا ينبغي لأحد أن يعثر عليّ. لا سيد...»، وكانت تغوص لأسفل تحت ثقل الجسم المعدني.

ثم صدر صوت معدني غريب وسقطت على الأرض بارتطامة لم تشعر بأثرها، ووجدت ذراعا لامعة ثقيلة على جسدها. لم تتحرك، وكذلك نستور 10 الذي كان يفترش الأرض إلى جوارها.

والآن رأت وجوهًا تنحني عليها.

قال جيرالد بلاك وهو يلهث: «هل أصابك سوء يا دكتورة سوزان؟».

هزت رأسها بوهن، وأزاح الآخرون الذراع من عليها وساعدوها على الوقوف على قدميها، ماذا حدث؟

قال بلاك: «لقد غمرت المكان بأشعة جاما لخمس ثوانٍ. لم نكن نعرف ما يحدث. لم ندرك أنه يهاجمك إلا في الثواني الأخيرة، وعندها لم يكن هناك وقت لأي شيء إلا مجال أشعة جاما. لقد سقط على الفور. لكن لا تقلقي بشأن ذلك، فالمجال ليس قويًا بما يكفي لإيذائك».

«لست قلقة». أغمضت عينيها وأسندت رأسها إلى كتفه لحظة وأضافت: «لا أظن أنني تعرضت لهجوم بالفعل، بل كان فقط يحاول ذلك. ما تبقى من القانون الأول كان لا يزال يمنعه».

كان آخر لقاء لسوزان كالفن وبيتر بوجرت مع الجنرال كالفن بعد أسبوعين من اللقاء الأول. تم استئناف العمل في قاعدة هايبر بيز وقد رحلت السفينة التجارية تحمل الاثنين وستين روبوتًا العاديين من طراز إن إس2 إلى المكان الذي

كانت متجهة إليه، وقد حصلت على رواية رسمية لتبرير تأخرها أسبوعين. وكانت الحوامة الحكومية تستعد لإعادة سوزان وبوجرت إلى الأرض.

كان كالنر قد استعاد بريقه مجددًا مرتديًا زيه الرسمي، ولمع قفازه الأبيض وهو يصافحهما.

قالت سوزان: «بالطبع ستقومون بتدمير باقي الروبوتات المعدلين».

«سنفعل ذلك. سنتحول إلى استخدام الروبوتات العاديين أو نستغني عن الروبوتات تمامًا إذا لزم الأمر».

«جيد».

«لكن أخبريني.. أنت لم تفسري ما حدث.. كيف تم ذلك؟».

ابتسمت سوزان وهي تقول: «آه. كنت سأخبركم مسبقًا لو كنت متأكدة من نجاح ذلك. كما رأيت.. كان نستور 10 يعاني عقدة الاستعلاء، وكانت تتفاقم بمرور الوقت. كان يحب أن يعتقد أنه والروبوتات الآخرين أكثر علمًا من البشر. وكان هذا الاعتقاد مهمًا للغاية بالنسبة له».

ومضت تقول: «كنا نعرف ذلك، ولهذا حذرنا كل الروبوتات مسبقًا من أن أشعة جاما ستقتلهم، وهذه حقيقة وحذرناهم أيضًا من أن أشعة جاما ستحول بينهم وبيني؛ ولذا ظل الجميع في أماكنهم، وهذا طبيعي. وبناء على منطق نستور 10 نفسه في الاختبار السابق قرر جميع الروبوتات أنه لا فائدة من محاولة إنقاذ بشري إذا كانوا متأكدين من أنهم سيموتون قبل أن يصلوا إليه».

«نعم يا دكتورة سوزان أفهم ذلك. لكن لماذا غادر نستور 10 مقعده؟».

«آه.. كانت هذه خدعة صغيرة قمنا بها أنا والسيد بلاك. لم تكن الأشعة التي حالت بيني وبين الروبوتات أشعة جاما أصلًا بل أشعة تحت الحمراء؛ أشعة تدفئة عادية غير مؤذية بالمرة. أدرك نستور 10 أنها أشعة تحت الحمراء وغير مؤذية؛ لذا بدأ يندفع إذ توقع من الباقين فعل ذلك لاإراديا بمقتضى القانون الأول. لكنه تذكر متأخرًا لجزء من الثانية أن الروبوتات العاديين يمكنهم رصد الإشعاع، لكن لا يمكنهم تعرُّف نوعيته. كانت حقيقة أنه قادر على تحديد موجات الأشعة فقط بسبب التدريب الذي تلقاه في هايبر بيز على أيدي بشر عاديين مهينة له بعض الشيء، ولو

تذكرها للحظة واحدة. بالنسبة للروبوتات العاديين كانت المنطقة بها أشعة قاتلة؛ لأننا أخبرناهم بذلك، ونستور 10 وحده هو الذي كان يعرف أننا كنا نكذب».

واختتمت كلامها: «وللحظة واحدة نسي أو لم يشأ أن يتذكر أن الروبوتات الآخرين ربما يكونون أكثر جهلًا من البشر. كان استعلاؤه هو السبب في اكتشاف أمره. إلى اللقاء أيها الجنرال».

هـــروب

عندما عادت سوزان كالفن من قاعدة هايبر بيز، كان ألفريد لانينج في انتظارها. لم يكن الرجل العجوز يتحدث أبدًا عن عمره، لكن الجميع كان يعرف أنه تجاوز الخامسة والسبعين. إلا أن ذهنه كان لا يزال حاضرًا، وإذا كان قد وافق على تولي منصب المدير الفخري للبحوث بينما يتولى بوجرت منصب القائم بأعمال المدير، فإن ذلك لم يمنعه من الذهاب إلى مكتبه كل يوم.

سألها: «هل اقتربوا من صنع المحرك الذري الفائق؟».

أجابت بضيق «لا أدري فأنا لم أسأل».

«ممم.. أتمنى أن يسرعوا فإن لم يفعلوا فربما تسبقهم «كونسوليديتد»، وتكون بذلك قد سبقتنا نحن إليه أيضًا».

«*كونسوليديتد*؟ وما شأنهم بذلك؟».

«حسنًا، نحن لسنا الشركة الوحيدة التي تنتج روبوتات قادرة على الحساب. قد تكون روبوتاتنا ذات عقول بوزيترونية، لكن هذا لا يعني أنها أفضل. سيعقد روبرتسون اجتماعًا جامعًا بهذا الشأن غدًا. كان ينتظر عودتك».

أوما روبرتسون - ابن مؤسس يو إس روبوتس - لمدير عام الشركة بأنفه النحيل، وقفزت تفاحة آدم في حنجرته حينما تكلم قائلًا: «ابدأ الآن. ولندخل في الموضوع مباشرة».

أطاعه المدير العام في سرعة قائلًا: «هاك الصفقة الآن سيدي الرئيس. أرسلت «كونسوليديتد روبوتس» لنا عرضًا غريبًا الشهر الماضي؛ جلبوا لنا نحو خمسة أطنان من الأرقام والمعادلات وكل هذه الأشياء.

كانت مشكلة كما ترى، وكانوا يريدون إجابة من «ذا برين»، وكانت شروط الاتفاق كما يلي..».

وأشار بأصابعه الغليظة وهو يعددها: «مائة ألف لنا إذا لم نتوصل لحل، لكن تمكنا من إخبارهم بالعنصر المفقود. مائتا ألف إذا توصلنا إلى الحل بالإضافة إلى تكلفة صنع الآلة المطلوبة وذلك كله مع حصة الربع من أي أرباح تدرها. تتعلق المشكلة بتطوير محرك للسفر عبر النجوم...».

تجهم روبرتسون وشد قامته النحيلة: «هذا بالرغم من حقيقة أن لديهم آلات مفكرة خاصة بهم.. أليس كذلك؟».

«بالضبط وهو ما يجعل الأمر برمته يبدو مريبًا يا سيدي الرئيس. «ليفر» ابدأ من هنا».

تطلع «آبي ليفر» إليه من الطرف الآخر لطاولة الاجتماع ومسح ذقنه ذات الشعيرات القصيرة الخشنة محدثًا صريرًا خافتًا وابتسم قائلا: «الأمر كالتالي يا سيدي. كونسوليديتد *كان* لديها آلة مفكرة. لكنها تعطلت».

مال روبرتسون إلى الأمام كأنه سيهب واقفًا وقال: «ماذا؟».

«هذا صحيح. تعطلت!! توقفت عن العمل. لا أحد يعلم لماذا؟ لكن لدي بعض التخمينات المدهشة، كأن يكونوا مثلا طلبوا منها أن تصنع لهم محركًا للسفر عبر النجوم بنفس مجموعة المعلومات التي جاءوا إلينا بها، وبذلك تكون قد أدت إلى تعطل آلتهم التي تحولت إلى خردة الآن.. مجرد خردة الآن».

قال المدير العام بابتهاج شديد: «هل تفهم معنى ذلك يا سيدي الرئيس؟ هل تفهمه؟ لا توجد أي مجموعة أبحاث صناعية من أي حجم، لا تحاول تطوير محرك لطي الفضاء وكونسوليديتد إلى جانب يو إس روبوتس في الصدارة في هذا المجال بروبوتاتنا ذات العقول الفائقة. والآن تعطلت آلتهم وأصبح الطريق أمامنا مفتوحًا. هذه هي النقطة.. الدافع. ستستغرق كونسوليديتد ستة أعوام على الأقل لصناعة آلة أخرى، وهم سينهارون/ سيخسرون ما لم يمكنهم تعطيل آلتنا أيضًا باستخدام نفس المشكلة».

جحظت عينا رئيس يو إس روبوتس وقال: «لماذا؟ .. يالها من وضاعة..».

«انتظر سيدي الرئيس. هناك المزيد لأخبرك به». وأشار بأصبعه عبر الغرفة قائلًا: «هات ما لديك يا لانينج».

كان الدكتور لانينج ينظر لما يدور في الاجتماع بشيء من الاحتقار الدفين، وهذا هو رد فعله العادي لتصرفات أقسام الإدارة والمبيعات التي تحصل على مرتبات أكبر بكثير. تدلى حاجباه الرماديان وتكلم بصوت جاف.

«من الناحية العلمية فإن الموقف رغم أنه ليس واضحًا تمامًا فهو خاضع للتحليل، مسألة السفر عبر النجوم في ظل النظرية الفيزيائية الحالية ... حسنًا غامضة. الأمر مفتوح لكل الاحتمالات والمعلومات التي أعطتها كونسوليديتد للآلة المفكرة بافتراض أنها هي نفسها التي بين أيدينا مفتوحة أيضًا لكل الاحتمالات. لقد قامت إدارة علوم الرياضيات في شركتنا بتحليل المعلومات بالكامل ويبدو أن كونسوليديتد قد أدرجت فيها كل شيء. وتتضمن المادة المقدمة كل التطورات المعروفة لنظرية طي الفضاء التي وضعها فرانشياتشي، ومن الواضح أنها تشمل كذلك كل البيانات الفيزيائية الفلكية والإلكترونية ذات الصلة. وهذه كمية كبيرة من المعلومات».

كان روبرتسون يتابع ما يقوله لانينج بحماس، وقاطعه قائلًا: «أكبر مما يستطيع الروبوت ذا برين معالجته؟».

هز لانينج رأسه في نفي قاطع: «لا. ليست هناك حدود معروفة لقدرات ذا برين. هذا أمر مختلف. إنها مسألة قوانين الروبوت. ذا برين على سبيل المثال لا يمكنه أبدًا تقديم حل لمشكلة معروضة عليه إذا كان مثل هذا الحل ينطوي على مقتل بشر أو إصابتهم بسوء. وبذلك لا يمكن التوصل لحل لأي مشكلة ليس لها حل إلا بذلك. وإذا صاحب مثل هذه المشكلة إلحاح على التوصل لحل، فمن الممكن أن يقع ذا برين الذي هو روبوت في نهاية المطاف في معضلة لا يمكنه فيها الإجابة ولا رفض الإجابة. وهذا هو ما حدث للروبوت الخاص بكونسوليديتد».

توقف لانينج عن الحديث لكن المدير العام استحثه قائلًا: «استمر يا دكتور لانينج. فسر لنا الأمر بالطريقة التي فسرتها لي».

زمَّ لانينج شفتيه، ورفع حاجبيه في اتجاه الدكتورة سوزان كالفن التي رفعت عينيها لأول مرة عن يديها المقبوضتين بإحكام. كان صوتها خفيضًا وبلا أي مشاعر.

بدأت بقولها: «طبيعة رد فعل الروبوت للمعضلات شديدة الغرابة. نفسية الروبوت أبعد ما تكون عن الكمال، ويمكنني بصفتي متخصصة أن أؤكد لكم ذلك..

لكن يمكن مناقشة الأمر من الزاوية النوعية؛ لأن العقل البوزيتروني على كل ما به من تعقيدات هو من صنع البشر في نهاية المطاف، ولذلك فهو مصنوع وفقًا للقيم الإنسانية.

«والآن حينما يقع بشري في مأزق لا مخرج منه، عادة ما يكون رد فعله هو الهروب من الواقع بالدخول إلى عالم من الأوهام أو اعتياد الشراب مثلًا أو الانهيار أو القفز من أعلى الجسر. وكل هذا يؤدي بنا في النهاية لنفس النتيجة، وهي رفض مواجهة الموقف بشكل مباشر أو عدم القدرة على ذلك. وهذا ما يحدث أيضًا للروبوت. ففي أحسن الأحوال ستؤدي المعضلة لاختلال نصف مراحله وفي أسوأ الأحوال ستؤدي لاحتراق كل مسارات العقل البوزيتروني بما لا يدع مجالا لإصلاحها».

«فهمت» قالها روبرتسون الذي لم يكن قد فهم شيئًا. «والآن ماذا عن هذه المعلومات التي قدمتها لنا كونسوليديتد؟».

ردت الدكتورة سوزان: «لا شك في أنها تتضمن مشكلة من النوع المحظور. لكن طراز ذا برين الخاص بنا يختلف كثيرًا عن الروبوت الخاص بكونسوليديتد».

قاطعها المدير العام بحماس قائلًا: «هذا صحيح سيدي الرئيس.. هذا صحيح. أريدك أن تعرف ذلك؛ لأنها النقطة المحورية في الموقف كله».

لمعت عينا الدكتورة سوزان من وراء نظارتها الطبية وتابعت كلامها بهدوء: «كما ترى يا سيدي فالروبوتات التي تصنعها كونسوليديتد بما في ذلك طراز «سوبر ثينكر» لا شخصية لها. فهم يهتمون بالفاعلية الوظيفية كما تعلم، وهم مضطرون لذلك بدون المسارات العقلية العاطفية التي تمتلك يو إس روبوتس حقوق اختراعها الأساسية. طراز «ثينكر» لا يعدو كونه آلة حاسبة على مستوى كبير ويمكن لأي معضلة أن تدمره على الفور.

«لكن روبوتنا من طراز ذا برين لديه شخصية.. شخصية طفل. إنه عقل استنباطي من الدرجة الأولى، لكنه مثله المعتوه العبقري. فهو لا يفهم فعليًا ما يفعله بل يفعله فحسب. ولأنه في الواقع طفل، فهو أكثر مرونة. يمكنك أن تقول إنه لا يأخذ الحياة على محمل الجد».

واصلت الخبيرة النفسية بالروبوتات كلامها قائلة: «وإليك ما سنفعله. قسمنا المعلومات التي قدمتها لنا كونسوليديتد إلى وحدات منطقية. سنغذي ذا برين بهذه

الوحدات كل على حدة وبحذر. وعند إدخال *العامل* الذي يؤدي إلى نشوء المعضلة فستشعر شخصية الطفل داخل ذا برين بالتردد. قدرته على الحكم على الأشياء ليست ناضجة. وسيكون هناك فترة زمنية كبيرة قبل أن يدرك معضلة كهذه. وخلال هذه الفترة الزمنية سيرفض هذه الوحدة المعلوماتية تلقائيًا قبل أن تعمل مساراته العقلية وتتعرض للدمار».

ازدرد روبرتسون لعابه وقال: «هل أنت متأكدة؟».

ارتسم الضيق على وجه الدكتورة سوزان وقالت: «أعترف أن هذا لا يبدو منطقيًا بنسبة كبيرة لغير المتخصصين، لكن ليس هناك فائدة تُرجى من عرض القواعد الرياضية وراء ذلك. أؤكد لك أن الأمر كما أقول».

هنا تدخل المدير العام على الفور وقال: «هذا هو الموقف إذن يا سيدي الرئيس. إذا قبلنا الصفقة يمكننا أن نغذي بها عقل الروبوت بهذه الطريقة. وسيخبرنا ذا برين أي وحدة من المعلومات هي التي تتضمن المعضلة. ومن هناك يمكننا معرفة *لماذا* تحدث المعضلة. أليس هذا صحيحًا يا دكتور بوجرت؟ دكتور بوجرت يا سيدي الرئيس هو أفضل عالم للرياضيات في العالم. سنرد على كونسوليديتد بعدم وجود حل ونخبرهم بسبب ذلك ونحصل على المائة ألف. ستظل آلتهم معطلة وآلتنا تعمل، وخلال عام أو اثنين ربما سيكون لدينا محرك لطي الفضاء أو محرك ذري فائق كما يسميه البعض. وأيًا كان ما ستسميه سيكون الاختراع الأهم في العالم».

ضحك روبرتسون ضحكة مكتومة ومد يده قائلًا: «دعني أرى العقد. سأوقعه».

عندما دخلت سوزان كالفن إلى القبو شديد الحراسة الذي يوجد به الروبوت ذا برين سألها أحد الفنيين المسئولين عن نوبة العمل: «إذا كانت كل دجاجة ونصفًا تضع بيضة ونصفًا في يوم ونصف فكم بيضة تضعها تسع دجاجات في تسعة أيام؟».

كان ذا برين قد أجاب لتوه: «أربعًا وخمسين بيضة».

وكان الفني قال لأحد زملائه: «أرأيت أيها الغبي».

تنحنحت الدكتورة سوزان وثارت فجأة كمية غير معقولة من الطاقة غير الموجهة. أشارت الطبيبة النفسية إلى الفنيين بالانصراف، وأصبحت وحدها مع الروبوت.

كان ذا برين لا يتجاوز القدمين طولًا وكان موضوعًا في جو مكيف تمامًا من الهليوم في منطقة من الفضاء خالية تمامًا من الذبذبات والإشعاعات، وفي داخل ذلك كانت المسارات العقلية شديدة التعقيد التي تعرف باسم ذا برين. كان باقي الغرفة مزدحمًا بالملحقات التي يدرك ذا برين من خلالها العالم الخارجي.. صوته وذراعيه وأعضاء الإحساس الخاصة به.

قالت الدكتورة بصوت رقيق: «كيف حالك يا برين؟».

جاء صوت برين حادًّا ومتحمسًا: «بخير يا آنسة سوزان. تريدين سؤالي عن شيء ما. يمكنني تخمين ذلك. دائمًا يكون معك كتاب في يدك حينما تهمين بسؤالي عن شيء».

ارتسمت ابتسامة لطيفة على شفتي الدكتورة سوزان وقالت: «حسنًا. أنت على حق، لكن ليس تمامًا. سيكون هناك سؤال لكنه سيكون معقدًا لدرجة أننا سنعطيه لك مكتوبًا. لكن لم يحن وقت ذلك بعد. أعتقد أنني بحاجة للحديث إليك بعض الوقت أولًا».

«لا بأس. لا مانع من الحديث».

«والآن يا برين بعد قليل سيأتي الدكتور لانينج والدكتور بوجرت إلى هنا ومعهما مسألة معقدة. سنعطيها لك بالتدريج قليلًا قليلًا وببطء لأننا نريدك أن تكون حذرًا. سنطلب منك بناء شيء إذا كانت هذه المعلومات تمكنك من ذلك، لكنني أحذرك الآن من أن الحل ربما ينطوي على... إممم... ضرر للبشر».

«أوه!» جاءت صرخته مكتومة وطويلة.

«والآن عليك الحذر من ذلك. حينما تصل إلى الصفحة من المعلومات التي تتضمن ضررًا للبشر.. والذي ربما يكون الموت.. عليك ألا تنزعج.. هل تفهمني؟ نحن لا نبالي في هذه الحالة يا برين حتى بالموت لا نبالي بذلك على الإطلاق؛ لذا عندما تصل لهذه الصفحة فما عليك إلا أن تتوقف وتعيدها وسيكون هذا كل شيء. هل فهمت؟».

«أوه بالتأكيد. يا إلهي موت! يا إلهي».

«والآن يا برين أسمع وقع أقدام الدكتور لانينج والدكتور بوجرت. سيخبرانك بتفاصيل المسألة وبعدها سنبدأ. كن فتى طيبًا».

بدأت تغذيته بالصفحات ببطء. وبعد كل واحدة كانت هناك فترة زمنية من صوت ميكانيكي هامس غريب، وهو ما يعني أن ذا برين يحلل المعلومات، ثم تأتي فترة من

الصمت والتي تعني استعداده لقبول صفحة أخرى. سار الأمر كذلك لعدة ساعات تم تغذية ذا برين خلالها بحوالي سبعة عشر مجلدًا كبيرًا من الفيزياء الرياضية.

وكلما تقدمت العملية تجهم وجه برين بشكل متزايد. وحبس لانينج أنفاسه وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة بينما حدق بوجرت بتأمل في أظفار أصابعه في بادئ الأمر، ثم بدأ يقرضها وهو شارد الذهن. وعندما اختفت آخر رزمة من الأوراق همست سوزان بوجه شاحب: «لقد حدث خطأ ما».

قال لانينج بصعوبة: «لا يمكن. هل... هل مات؟».

كانت سوزان كالفن ترتعد وهي تنادي برين: «برين؟ هل تسمعني يا برين؟».

أجابها بشرود: «ماذا؟ هل تريدين مني شيئًا؟».

«الحل..».

«أوه! نعم يمكنني فعل ذلك. سأبني لكم سفينة كاملة بكل سهولة، لو أمددتموني فقط بالروبوتات. سفينة لطيفة. ربما يستغرق ذلك شهرين».

«لم تكن هناك أي صعوبة؟».

قال ذا برين: «لقد استغرق فهم الأمر بعض الوقت فقط».

خرجت الدكتورة سوزان ومازال وجهها النحيل شاحبًا. أشارت للآخرين بالخروج معها.

وفي مكتبها قالت لهما: «لا يمكنني أن أفهم. المعلومات كما حصلنا عليها، لابد أنها تنطوي على معضلة... ربما تتضمن وفاة بشري. إذا كان خطأ ما قد وقع...».

قال بوجرت بهدوء: «الروبوت يتحدث بكلام منطقي. لا يمكن أن تكون هناك معضلة».

لكن الطبيبة النفسية أجابت بصوت يوحي بالخطورة: «هناك فارق بين معضلة وأخرى. هناك أشكال كثيرة للهروب. أفترض أن ذا برين لم يواجه معضلة كبيرة، ربما يكون الأمر مثلًا أن وهمًا يسيطر عليه بأنه قادر على حل المسألة، في حين أنه غير قادر فعليًا على ذلك. أو لنفرض أنه على شفا أمر سيئ بحق، وأي دفعة بسيطة قد تجعله ينزلق في هاوية».

قال لانينج: «لنفرض أنه ليست هناك أي معضلة. لنفرض أن روبوت كونسوليديتد انهار بسبب مسألة أخرى أو لأسباب فنية بحتة».

ردت سوزان بإصرار: «حتى في هذه الحالة لا يمكننا المجازفة. اسمعوني، من الآن فصاعدًا لا يتكلم أحد على الإطلاق مع ذا برين. سأتولى الأمر بنفسي».

تنهد لانينج قائلًا: «لا بأس. أنت المسئولة إذن. وفي هذه الأثناء سنترك ذا برين يبني السفينة، وإذا قام ببنائها فعلًا فسيكون علينا تجريبها».

وأضاف بتأمل: «وسنحتاج لأفضل رجالنا لفعل *ذلك*».

حاول مايكل دونوفان تصفيف شعره الأحمر بيديه بحركة عصبية، لكنه لم يكترث لعودة شعره الأشعث كما كان مرة أخرى على الفور.

وقال: «هيا بنا يا جريج. يقولون إن السفينة قد اكتملت. لا يعرفون ما هي لكنها اكتملت. هيا بنا يا جريج، هيا نسيطر على القيادة في الحال».

قال باول بإرهاق: «كف يا مايك. فكاهتك تبدو غير مناسبة على الإطلاق، والجو الخانق هنا يزيد الأمر سوءًا!».

«حسنًا، اسمع» حاول دونوفان تصفيف شعره بيديه مرة أخرى ولكن بلا جدوى: «لست قلقًا لهذا الحد بشأن صديقنا المعدني العبقري وسفينته. لكنني قلق بشأن إجازتي التي فقدتها. وهذه الرتابة! ليس هناك سوى قضبان حديدية وأجسام - والنوع الخطأ من الأجسام. لماذا *يكلفوننا* دائمًا هذه المهام؟».

أجابه باول بهدوء: «لأننا لا قيمة لنا لو فقدونا. صحيح، لا بأس. اهدأ. فالدكتور لانينج قادم».

كان لانينج آتيًا وحاجباه الرماديان مشعثين كما هما دائمًا وجسده الذي لم ينحنِ مع التقدم في العمر مفعم بالحيوية. كان يمشي صامتًا على المنحدر مع الرجلين باتجاه الميدان المفتوح؛ حيث تقوم روبوتات بهدوء وبدون أوامر من أي بشري ببناء سفينة.

لا، بل قامت ببناء السفينة بالفعل.

قال لانينج: «توقفت الروبوتات. لم يتحرك أي منها اليوم».

سأل باول: «هل اكتملت إذن؟ أكيد؟».

«والآن، كيف لي أن أعرف؟». كان لانينج يتكلم بأسلوب حاد وقد انعقد حاجباه وتدليا فوق عينيه حتى كادا يخفيانهما. «يبدو أنها اكتملت. ليس هناك قطع غير مستخدمة متناثرة في المكان وتبدو السفينة من الداخل وكأنها اكتملت».

«هل دخلتها؟».

«دخلت ثم سرعان ما خرجت. لست طيار فضاء. هل يعرف أيكما كثيرًا عن نظرية المحرك؟».

نظر كل من دونوفان وباول إلى الآخر.

قال دونوفان: «لديَّ رخصتي يا سيدي، لكن في آخر قراءة لها لم تقل شيئًا عن المحركات الفائقة أو الإبحار عبر النجوم. بل ألعاب الأطفال المعتادة ثلاثية الأبعاد».

رمقه ألفريد لانينج باستياء شديد.

وقال ببرود: «حسنًا، لدينا رجالنا المتخصصون في المحرك».

أمسكه باول من مرفقه وهو يكمل سيره: «هل مازالت السفينة منطقة محظورة يا سيدي؟».

تردد المدير العجوز، ثم حك طرف أنفه وهو يقول: «لا أظن ذلك. بالنسبة لكما على الأقل».

نظر إليه دونوفان من الخلف وهو يغادر، وتمتم بكلمات معبرة في ظهره، ثم نظر إلى باول وقال: «لَكَمْ أود أن أخبره بوصف أدبي لشخصيته يا جريج».

«أعتقد أن عليك أن تأتي يا مايك».

كانت السفينة من الداخل مكتملة؛ إذ بدت - كما يمكن أن يخبر المرء من نظرة واحدة - كأي سفينة مكتملة. ولا حتى أدق عامل في النظام كان يمكنه أن يجعل سطح السفينة من الداخل يبدو لامعًا كما فعلت تلك الروبوتات. كانت الجدران من الداخل تتلألأ بلون فضي ليس عليه أي آثار لأصابع.

ليس هناك أي أركان، بل إن الجدران والأرضيات والسقف تذوب في بعضها البعض، وفي الضوء المعدني البارد للمصابيح المخفاة يجد المرء نفسه محاطًا بستة انعكاسات لنفسه المليئة بالحيرة.

كان الممر الرئيسي عبارة عن أنبوب ضيق يُفضي إلى امتداد صلب تقعقع عليه الأقدام تمتد بطوله حجرات متشابهة تمامًا.

قال باول: «أظن أنهم وضعوا الأثاث داخل الجدران، أو ربما ليس من المفترض أن نجلس أو ننام».

لكن الحجرة الأخيرة في الممر الأقرب لمقدمة السفينة كانت مختلفة، وكانت أول فتحة في الجسم المعدني للسفينة نافذة مقوسة من أعلى بزجاج غير عاكس وتحتها عداد كبير به مؤشر واحد لا يتحرك ويقف عند الصفر.

قال دونوفان: «انظر لهذا»، وأشار إلى الكلمة الوحيدة الموجودة على العداد الذي يحمل علامات دقيقة.

كانت تقول: «فرسخ فضائي»، وكان الرقم المكتوب بخط رفيع على الجهة اليمنى في نهاية العداد المقوس المتدرج هو «1000000».

كان هناك مقعدان ثقيلان وفسيحان لا وسائد عليهما، جلس باول بحذر ووجد أن المقعد لين ويتخذ شكل الجسم وهو ما جعله يشعر بالراحة.

قال باول: «ما رأيك؟».

«لا بد أن ذا برين يعاني حمى عقلية. لنخرج من هنا».

«أمتأكد أنك لا تريد البقاء قليلًا لاستكشاف المكان؟».

«ما رأيته يكفي.. جئت ورأيت وانتهيت». كان شعر دونوفان الأحمر يقف كالأشواك. «هيا نخرج من هنا يا جريج. لقد استقلت من هذه الوظيفة قبل خمس ثوانٍ، وهذه منطقة محظورة على غير العاملين بها».

ابتسم باول ابتسامة رضا عن النفس، وملَّس على شاربه وقال: «حسنًا يا مايك، كف عن القلق. كنت أشعر بالقلق أنا أيضًا ولكنني لم أعد كذلك».

«لم تعد كذلك؟! كيف لم تعد كذلك؟ هل رفعت قيمة بوليصة التأمين عليك؟».

«هذه السفينة لا يمكنها الطيران يا مايك».

«كيف عرفت ذلك؟».

«حسنًا، لقد تفقدنا السفينة كلها، أليس كذلك؟».

«بلى، أظن ذلك».

«لقد فعلنا، ثق بما أقوله لك. هل رأيت أي كابينة للطيران سوى هذه النافذة، وهذا العداد هنا بالفراسخ الفضائية؟ هل رأيت أي وسائل تحكم؟».

«لا».

«هل رأيت أي محركات؟».

«لا».

«حسنًا إذن. هيا بنا نزف الخبر إلى لانينج يا مايك».

عاد الاثنان يتخبطان في الممر الذي لا يحمل أي علامات مميزة، وفي النهاية وجدا طريقهما إلى الممر الصغير المؤدِّي إلى حجرة معادلة الضغط الجوي.

تسمَّر دونوفانٍ في مكانه وهو يقول: «هل أقفلت هذا الشيء يا جريج؟».

«لا، لم ألمسه قط. اجذب المقبض من فضلك».

لم يستجب المقبِض رغم المجهود الكبير الذي بذله دونوفان.

قال باول: «لم أرَ أي مخرج للطوارئ. لو حدثت مشكلة هنا فسيتعين عليهم صَهر هذا الجسم المعدني لإخراجنا».

«فلنعد إلى الحجرة التي بها النافذة؛ فهي المكان الوحيد الذي يمكن منه أن نلفت الانتباه».

لكن هذا لم يحدث.

في هذه الحجرة الأخيرة لم تعد النافذة زرقاء وتطل على السماء الرحبة، بل كانت سوداء وكانت النجوم الصفراء الجامدة المتناثرة كالنقاط الصغيرة تؤكد أنهما في *الفضاء*.

ألقى الاثنان بنفسيهما على الكرسيين بارتطام مكتوم.

قابل ألفريد لانينج الدكتورة سوزان عند باب مكتبه وأشعل سيجارة بعصبية وأشار لها بالدخول.

وقال: «لقد استغرق الأمر وقتًا طويلًا يا سوزان وبدأ روبرتسون يقلق. ماذا تفعلين مع ذا برين؟».

بسطت سوزان كالفن راحتيْها وقالت: «لا جدوى من التعجُّل. ذا برين يساوي أكثر من أي شيء سنخسره في هذه الصفقة».

«لكنك تستجوبينه منذ شهرين».

بدا صوت الطبيبة النفسية عاديًّا لكنه يوحي بشكل ما ببعض الخطورة: «هل تفضل أن تتولى الأمر بنفسك؟».

«أنتِ تعرفين ما كنت أعنيه».

«أوه! أعتقد أنني أعرف». فركت الدكتورة سوزان يديها بعصبية وقالت: «ليس الأمر سهلًا. إنني أتعامل معه بلطف وأحاول استخلاص المعلومات برفق، لكنني لم أصل لشيء بعد. كل ردود أفعاله ليست طبيعية، وإجاباته غريبة إلى حد ما. لكنني لم أضع يدي على موضع الخلل بعد. وكما ترى إلى أن نتوصل إلى المشكلة، ما علينا سوى أن نحاول التعامل بلطف مع الأمر. لا يمكن أبدًا أن نعرف أي سؤال بسيط أو ملاحظة بسيطة ستدفعه للانهيار.. وحينها... حسنًا. حينها سيكون بين أيدينا روبوت غير ذي نفع بالمرة. هل تريد أن نقع في ذلك؟».

«لا يمكنه مخالفة القانون الأول».

«كنت أظن ذلك لكن...».

شعر لانينج بصدمة كبيرة وقال: «لستِ حتى متأكدة من ذلك؟».

«لست متأكدة من أي شيء يا ألفريد..».

وفجأة، دوت صافرة الإنذار المزعجة، وهو ما أثار حالة من الفزع. ضغط لانينج على أزرار الاتصال وتجمد في مكانه لما سمع الكلمات اللاهثة.

وقال: «سوزان، هل سمعتِ ذلك؟ لقد رحلت السفينة.. لقد أرسلت إليها اثنين من رجالنا الميدانيين منذ نصف ساعة. عليك مقابلة ذا برين مجددًا».

قالت سوزان كالفن بهدوء أجبرت نفسها عليه: «ماذا حدث للسفينة يا برين؟».

أجاب ذا برين مسرورًا: «السفينة التي صنعتها يا آنسة سوزان؟».

«نعم بالضبط.. ماذا حدث لها؟».

«لا شيء على الإطلاق. لقد كان الرجلان اللذان من المفترض أن يختبراها على متنها وأصبح كل شيء جاهزًا فأطلقتها».

«أوه.. حسنًا، هذا جميل». شعرت الطبيبة النفسية بصعوبة في التنفس وقالت: «هل تعتقد أنهما سيكونان بخير؟».

«بالتأكيد يا آنسة سوزان، لقد اعتنيت بكل شيء. إنها سفينة جميلة».

«نعم يا برين، إنها جميلة، لكن هل تعتقد أن لديهما ما يكفي من الطعام؟ هل سيكون الأمر مريحًا لهما؟».

«كثير من الطعام».

«الأمر قد يكون صدمة لهما يا برين؛ الرحيل على هذا النحو المفاجئ».
قال ذا برين بلا مبالاة: «سيكونان بخير. من المفترض أن يكون الأمر مسليًا لهما».
«مسليًا! كيف؟».
قال ذا برين بمكر: «مسليًا فحسب».
همس لانينج: «سوزان، اسأليه إن كان هناك احتمال لوفاتهما. اسأليه عن الأخطار».
امتعض وجه سوزان كالفن غضبًا وقالت: «اصمت».
وتحدثت إلى ذا برين بصوت مرتجف قائلة: «يمكننا الاتصال بالسفينة، أليس كذلك يا برين؟».
«آه! يمكنهما سماعك إذا تحدثت إليهما باللاسلكي. لقد اعتنيتُ بهذا الأمر».
«شكرًا لك. هذا يكفي في الوقت الحالي».
وبمجرد خروجها انفجر فيها لانينج غاضبًا وقال: «المجرة الكبيرة يا سوزان.. إذا تسربت أي أخبار عن ذلك فسنضيع جميعًا. علينا أن نعيد هذين الرجلين. لماذا لم تسأليه مباشرة إن كانت حياتهما في خطر.. بشكل مباشر؟».
بدت سوزان محبطة، وقالت بضجر: «لأن هذا بالضبط ما لا يمكنني أن أذكره. إذا كانت الحالة بها معضلة فستكون بشأن الموت. وأي شيء يثير الأمر بالطريقة الخطأ قد يدفعه للانهيار التام. هل سنستفيد شيئًا حينها؟ والآن انظر! لقد أخبرني أنه بإمكاننا الاتصال بهما. فلنفعل ذلك ولنحدد مكانهما ونعيدهما. من المحتمل أنهما لا يستطيعان التحكم في السفينة فإن ذا برين يوجه السفينة عن بُعد على الأرجح. تعال!».

مر وقت طويل قبل أن يهز باول نفسه وينتفض.
خرجت الكلمات من بين شفتيه الباردتين: «مايك، هل شعرت بانطلاق المركبة؟».
لم يبدُ أي تعبير في عيني دونوفان الذي قال: «ماذا؟ لا... لا».
قبض صاحب الشعر الأحمر بيديه على بعضهما وقام فجأة من مقعده بحيوية بالغة ووقف أمام الزجاج المقوس البارد. لم يكن هناك ما يُرى... سوى النجوم.
التفت إلى زميله قائلًا: «لا بد أنهم أطلقوا الآلة ونحن بداخلها يا جريج. إنه فخ يا جريج. لقد اتفقوا مع الروبوت لتوريطنا في هذه التجربة لو كنا نفكر في الانسحاب منها».

قال باول: «ما هذا الذي تقوله؟ ما فائدة إرسالنا للفضاء إن كنا لا نعرف كيف نتحكم في السفينة؟

كيف من المفترض أن نعيدها؟ لا، هذه السفينة غادرت من نفسها وبدون أي انطلاق واضح». قام من مقعده وقطع أرضية الغرفة جيئة وذهابًا ببطء. تردد صدى وقْع قدميْه بفعل الجدران المعدنية.

قال بصوت لا تظهر منه أي مشاعر: «هذا أكثر المواقف التي نتعرض لها إرباكًا على الإطلاق يا مايك».

فأجابه دونوفان بمرارة: «حقًّا؟ لم أكن أعلم ذلك. كنت قد بدأت لتوِّي أستمتع بوقتي حتى أخبرتني بذلك».

تجاهل باول نبرته الساخرة وقال: «لا انطلاق.. هذا يعني أن السفينة تعمل بأسلوب مختلف عن أي أسلوب معروف».

«مختلف عن أي أسلوب نعرفه على أي حال».

«بل مختلف عن *أي* أسلوب معروف، ليس هناك محركات في المتناول لتتحكم فيها يدويًّا. ربما مدمجة داخل الجدران. وربما هذا هو سبب أن الجدران سميكة إلى هذا الحد».

سأله دونوفان: «ماذا تقول؟».

«لماذا لا تنصت إليَّ؟ أقول إنه أيًّا كانت قدرات هذه السفينة فهي مغلقة، ومن الواضح أنها ليست مصنوعة كي يتم التحكم فيها من الداخل؛ هذه السفينة تعمل بالتوجيه عن بُعد».

«بتوجيه من ذا برين؟».

«لِمَ لا؟».

«هَل تعتقد إذن أننا سنظل هنا في الفضاء إلى أن يعيدنا ذا برين؟».

«ربما. ولو كان الأمر كذلك فليس علينا سوى الانتظار في هدوء. ذا برين روبوت وعليه أن يلتزم بالقانون الأول. لا يمكن أن يؤذي بشرًا».

جلس دونوفان ببطء وقال: «هل تظن ذلك؟» وسوَّى شعره بيده برفق مضيفًا: «اسمع، سمعنا كل هذا الهراء عن روبوت شركة كونسوليديتد الذي دمرته فكرة طي الفضاء، وقالوا إن سبب ذلك هو أن فكرة السفر عبر النجوم قاتلة للبشر. أي روبوت تثق به؟ أعتقد أن الروبوت الخاص بنا لديه نفس البيانات».

كان باول يجذب شاربه بجنون وقال: «لا تتظاهر بأنك لا تعرف علم الروبوتات يا مايك. قبل أن يكون ممكنًا من الناحية الفيزيائية. لأي روبوت أن يشرع حتى في مخالفة القانون الأول فستدمر أجزاء كثيرة منه ويتحول إلى كومة من الخردة، هناك تفسير بسيط لهذا».

«آه بالتأكيد.. بالتأكيد. فقط اجعل كبير الخدم يوقظني في الصباح. هذا الأمر بسيط للغاية، أبسط من أن أهتم به قبل القيلولة».

«يا إلهي! ما الذي تشكو منه حتى الآن يا مايك؟ ذا برين يهتم بأمرنا. هذا المكان دافئ وبه إضاءة وهواء وليس هناك تسارع يؤدي لأي اهتزاز للمركبة حتى بما يكفي لإفساد هندام شعرك طبعًا لو كان ناعمًا في المقام الأول».

نعم؛ لا بد أنك تلقيت دروسًا. لا أحد يستطيع

«وماذا سنأكل يا جريج؟ ماذا سنشرب؟ أين نحن؟ كيف سنعود؟ ولو تعرضنا لحادث فأي مخرج سنتوجه إليه؟ وفي أي سترة فضائية سنعدو، لا أقول نمشي؟ لم أر حتى مرحاضًا في هذا المكان أو سبل الراحة المعتاد وجودها في دورات المياه، بالتأكيد هناك من يعتني بأمرنا ولكن، هل هذا جيد؟».

لم يكن الصوت الذي قاطع دونوفان صوت باول. بل لم يكن صوت أحد؛ كان صوتًا منتشرًا في الهواء؛ جهوريًّا يثير الرعب.

«جريجوري باول.. مايكل دونوفان.. جريجوري باول.. مايكل دونوفان.. رجاءً ، حددا موقعكما الحالي. إذا كانت السفينة تستجيب للتحكم رجاءً العودة إلى القاعدة.. جريجوري باول.. مايكل دونوفان..».

كانت الرسالة المتكررة بصوت آلي تتوقف بين كل عبارة وأخرى بشكل منتظم لا يُمل.

قال دونوفان: «من أين يأتي هذا الصوت؟».

«لا أدري». تحدث باول بصوت هامس متوتر: «من أين تأتي الأضواء؟ من أين يأتي أي شيء؟».

«حسنًا. كيف سنجيب؟» كانا مضطرين للحديث في اللحظات التي يتوقف فيها الصوت بين عبارة وأخرى من الرسالة المتكررة التي تدوي بصوت عال.

كانت الجدران المعدنية عارية تمامًا وليس بها أي فتحات. وقال باول: «أجب بصوت مرتفع».

فعلًا ذلك، إذ صرخ كل منهما تلو الآخر، ثم صرخا معًا في الوقت نفسه قائلَيْن: «موقعنا غير معلوم. السفينة خارج السيطرة. الوضع بائس».

ارتفعت أصواتهما وتحشرجت. امتزجت عباراتهما القصيرة التي حرصا على أن تبدو مهنية بصراخ وشتائم، لكن الصوت البارد الذي ينادي عليهما ظل يتكرر ويتكرر بلا تعب.

قال دونوفان لاهثًا: «إنهم لا يسمعوننا. وليس هناك آلية للإرسال بل الاستقبال فقط». ركز عينيه على منطقة عشوائية في الجدار.

بدأ الصوت الخارجي يخفت تدريجيًا. حينما أصبح الصوت شديد الانخفاض لدرجة الهمس بدأ الاثنان يناديان مجددًا بقوة، لكنهما لم يسمعا سوى الصمت.

بعد حوالي خمس عشرة دقيقة قال باول بطريقة لا حياة فيها: «هيا نتفقد السفينة مرة أخرى. لا بد أن هناك شيئًا نأكله في مكان ما». لم يكن صوته يوحي بأي تفاؤل، بل كان يبدو وكأنه إقرار بالهزيمة».

افترقا في الممر، أحدهما إلى جهة اليمين والآخر إلى اليسار. كان يمكن لأحدهما تتبع الآخر من وقْع خطواته الثقيلة، والتقيا مصادفة في الممر وحدق أحدهما إلى الآخر ثم واصل سيره.

انتهى بحث باول فجأة، ولدى انتهائه سمع صوت دونوفان يرتفع باديًا عليه السعادة.

جاءه الصوت يقول: «يا جريج.. السفينة بها «مواسير» للمياه. كيف لم نرها من قبل؟».

بعد محاولات استمرت حوالي خمس دقائق عثر على باول. وقال: «إلا أنه ما زال ليس هناك أي دورات مياه ..». وتوقفت الكلمات في حلقه.

شهق قائلًا: «طعام».

كان الجدار قد انشق لتظهر من خلفه فجوة مقوسة بها رفَّانِ، كان الرف الأعلى مليئًا بعبوات شراب مختلفة الأشكال والأحجام. كانت العبوات المصنوعة من المعدن المصقول على الرف الأسفل كلها من نوع واحد، وشعر دونوفان بتيار بارد عند قدميه. كان النصف الأسفل عبارة عن ثلاجة.

«كيف، كيف».

قال باول باقتضاب: «لم تكن موجودة من قبل. هذا الشق من الجدار اختفى عند دخولي من الباب».

كان يأكل. كانت العبوة بها طعام ساخن.. ومرفقًا بها ملعقة وقد ملأت رائحة الفاصوليا المطهوة الحجرة. «أعطني واحدة يا مايك».

تردد دونوفان قبل أن يقول: «ماذا لدينا؟».

«كيف لي أن أعرف؟ هل تهتم بهذه التفاصيل الصغيرة؟».

«لا، لكن كل ما آكله على متون السفن هو الفاصوليا. أي شيء سواها سيكون اختياري الأول». تحسست يده الرف واختار عبوة لامعة بيضاوية الشكل تبدو كعلبة سلمون أو ما شابه. فتح العلبة بضغطة بسيطة.

«فاصوليا!». صرخ دونوفان ومد يده ليأخذ عبوة أخرى. جذبه باول من سرواله وقال له: «من الأفضل أن تأكل هذا يا بني، فالإمدادات محدودة وربما نظل هنا لفترة طويلة للغاية».

تراجع دونوفان متضايقًا وقال: «هل هذا كل ما لدينا؟ فاصوليا؟».

«ربما».

«ماذا على الرف الأسفل؟».

«حليب».

صرخ دونوفان بغضب: «حليب فقط؟».

«يبدو هذا».

تناول الاثنان وجبة الفاصوليا والحليب في صمت، ولدى مغادرتهما المكان انزلق الحائط ليعود لوضعه الطبيعي مرة أخرى ليبدو سطحًا خاليًا من أي شقوق.

تنهد باول قائلًا: «كل شيء هنا أوتوماتيكي. كل شيء كذلك. لم أشعر بهذا القدر من العجز قط في حياتي. أين «مواسير» المياه التي كنت تتحدث عنها؟».

«هناك. ولم تكن موجودة أيضًا عندما تفقدنا المكان في المرة الأولى».

بعد خمس عشرة دقيقة كانا قد عادا إلى الحجرة الزجاجية ينظر كل منهما للآخر من مقعدين متقابلين.

نظر باول بكآبة إلى العداد الوحيد في الغرفة. كان ما زال مكتوبًا عليه «فرسخ فضائي» وكانت الأرقام ما زالت تنتهي برقم «1000000» وكان المؤشر ما زال ثابتًا عند الصفر.

في قلب مكاتب يو إس روبوتس كان ألفريد لانينج يقول بضجر: «لن يجيبا. جربنا موجات الاتصال من كل الأطوال وكذلك العامة والخاصة والمشفرة والمباشرة..

حتى الموجات الأثيرية الموجودة لديها الآن. هل ما زال ذا برين لا يقول شيئًا؟» وجه هذا السؤال للدكتورة سوزان.

قالت بأسلوب قاطع: «لن يخوض في تفاصيل الأمر يا ألفريد. هو يقول إن بإمكانها سماعنا.. وعندما أحاول أن أضغط عليه يغضب. هل سمع أحد عن روبوت غاضب من قبل؟».

قال بوجرت: «أعتقد أن عليكِ إخبارنا بما لديكِ يا سوزان».

«حسنًا. يقر بأنه يتحكم في السفينة تمامًا. وهو متفائل بالقطع بشأن سلامتها، لكن دون أن يذكر أي تفاصيل. لا أجرؤ على الضغط عليه في هذه النقطة، إلا أن مركز الاضطراب يبدو أنه يتعلق بالقفزة عبر النجوم في حد ذاتها. طبعًا ضحك ذا برين عندما أثرت الموضوع. هناك مؤشرات أخرى ولكن هذا أكبر مؤشر على وجود خلل».

نظرت إلى الآخرين وقالت: «أعزو الأمر إلى الهيستريا. غيرت الموضوع فجأة وأتمنى ألا أكون قد تسببت في أي ضرر لكنه أعطاني مؤشرًا. يمكنني التعامل مع الهيستريا. أمهلوني اثنتي عشرة ساعة. إذا أمكنني إعادته إلى صوابه فسيعيد السفينة».

امتقع وجه بوجرت فجأة وقال: «القفزة عبر النجوم!».

صرخ لانينج وسوزان في آن واحد قائلَيْن: «ما الأمر؟».

«رسومات المحرك التي أعطاها ذا برين لنا.. أفكر في أمر ما».

ثم غادر الحجرة مسرعًا.

حدق لانينج إلى بوجرت وهو يغادر، ثم قال لسوزان بغلظة: «اهتمي بالجزء الخاص بك».

وبعد ساعتين، كان بوجرت يتحدث بلهفة ويقول: «أقول لك يا لانينج إنها كذلك. القفزة بين النجوم لا تتم على الفور ما دامت سرعة الضوء محدودة. لا يمكن للحياة أن تستمر... المادة والطاقة في هذه الصورة لا يمكنهما الوجود في الالتواء الفضائي. لا أعرف ما الشكل الذي ستتخذه لكن هذه هي النقطة. هذا ما قضى على روبوت كونسوليديتد».

شعر دونوفان بالتعب الشديد، وكان يبدو عليه ذلك، وقال: «خمسة أيام فقط؟».

«خمسة أيام فقط. أنا متأكد من ذلك».

نظر دونوفان حوله في تعاسة، كان منظر النجوم عبر النافذة مألوفًا لكنها كانت تعطي إحساسا لانهائيًا باللامبالاة. كانت الجدران باردة الملمس والأضواء التي زادت قوتها مرة أخرى منذ قليل ساطعة بقوة وكان المؤشر في العداد يشير بإصرار إلى الصفر، ولم يستطع دونوفان التخلص من طعم الفاصوليا في فمه.

قال بحزن: «أحتاج للاستحمام».

تطلع إليه باول للحظات وقال: «وأنا أيضًا. لا تشعر بالخجل. لكن ما لم تكن تريد الاستحمام بالحليب والمضي بدون أن تشرب...».

«لن نجد ما نشربه في نهاية المطاف على أي حال. أين تنتهي هذه الرحلة عبر النجوم يا جريج؟».

«أخبرني أنت. ربما نستمر هكذا للأبد. لكننا سنصل في نهاية المطاف. على الأقل تراب هياكلنا العظمية سيصل.. لكن، ألن يكون موتنا هو النقطة الأساسية في انهيار ذا برين في الأصل؟»

أولى دونوفان ظهره لزميله وهو يتحدث قائلًا: «لقد كنت أفكر يا جريج. الأمر سيئ للغاية. ليس هناك الكثير ليفعله المرء عدا التجول في المكان أو الحديث إلى نفسه. تعرف هذه القصص عمن تقطعت بهم السبل في الفضاء. يصابون بالجنون لفترة طويلة قبل أن يموتوا جوعًا. لا أدري يا جريج، ولكن يراودني شعور غريب منذ أضيئت الأنوار».

سادت فترة من الصمت، ثم قال باول بصوت فيه بحة: «وكذلك أنا. كيف تشعر؟».

التفت إليه صاحب الشعر الأحمر وقال: «شعور غريب بداخلي. أشعر باضطراب وتوتر في كل شيء. أتنفس بصعوبة ولا أستطيع أن أقف ساكنًا».

«ممم... تشعر بذبذبات؟».

«ماذا تعني؟».

«اجلس لدقيقة وأنصت. ربما لا تسمعها لكنك تشعر بها.. كما لو أن شيئًا ينبض في مكان ما ويهز السفينة كلها وأنت أيضًا معها. اسمع».

«نعم.. نعم. ماذا تظن يا جريج؟ لا تعتقد أنه نحن، أليس كذلك؟».

داعب باول شاربه ببطء وقال: «ربما. لكن ربما تكون أيضًا محركات السفينة. ربما تستعد».

«لماذا تستعد؟».

«للقفزة بين النجوم. ربما تقترب من هذا ولا أحد يدري كيف سيكون ذلك».

تأمل دونوفان قليلًا ثم قال بوحشية: «إذا كان ذلك فليكن إذن. لكنني أتمنى لو كان بإمكاننا أن نقاتل. الأمر مهين أن يكون عليك انتظاره».

بعد ساعة تقريبًا نظر باول إلى يده على ذراع الكرسي المعدني وقال بهدوء بارد: «تحسس الجدار يا مايك».

فعل دونوفان ذلك، ثم قال: «إنه يهتز يا جريج».

حتى النجوم بدت غير واضحة.. ومن مكان ما جاء انطباع غامض بأن آلة ضخمة تستجمع قواها وبدأت الجدران ترتج وكأنها تخزن الطاقة لقفزة هائلة شاقّةً طريقها عبر مقاييس قوة.

حدث الأمر بشكل مفاجئ وشعر دونوفان وباول بألم حاد. تجمد باول ومال إلى الأمام في مقعده، وقع بصره على دونوفان قبل أن تعتم الدنيا أمامه وصرخة حادة من دونوفان تملأ أذنيه سرعان ما اختفت. شعر بشيء داخله يتلوى بعنف وقاوم طبقة من الثلج تزداد سُمكًا.

انفصل شيء وهو يدور بعنف في شعلة من الضوء والألم. سقط

ودار بعنف..

ووقع بعنف...

في قلب الصمت..

كان الموت!

كان عالمًا لا حركة به ولا شعور؛ كان عالمًا من الإدراك القاتم المجرد من المشاعر؛ إدراك للظلام والصمت والمعاناة التي لا شكل لها.

وفوق كل شيء إدراك للأبدية.

أصبح دونوفان يشعر بأنه أصبح خيطًا أبيض رفيعًا.. ويشعر بالبرد والخوف.

ثم سمع صوتًا ناعمًا رنانًا يهدر من فوقه ويقول: «هل تغير مقاس نعشك في الآونة الأخيرة؟ لم لا تجرب نعوش موربيد إم كادافر القابلة للتوسيع؟ إنها مصممة علميًّا لتتناسب مع الانحناءات الطبيعية للجسد وغنية بفيتامين ب1. استخدم نعوش كادافر لتشعر بالراحة. وتذكر أنك ستظل ميتًا لفترة طويلة جدًّا».

لم يكن صوتًا بمعنى الكلمة لكن أيًا ما كان فقد خفت تمامًا حتى أصبح همسًا.

تموج الخيط الأبيض الذي يفترض أنه «باول» دون جدوى وسط الدهور الزمنية الواهية التي أحاطت به من كل جانب، ثم تساقط كصرخة حادة لمئات الملايين من أشباح الأصوات السوبرانو ارتفعت لتصل إلى ذروتها وهي تغني:

«سأفرح عندما تموت أيها الوغد
«سأفرح عندما تموت أيها الوغد
«سأفرح ....».

ارتفعت النغمة عبر سلم لولبي من الأصوات العنيفة لتتحول إلى عويل من الموجات فوق الصوتية التي لا يمكن سماعها.

ارتجف الخيط الأبيض في نبضات من الألم والتوى رويدًا رويدًا.

أصبحت الأصوات عادية - وكثيرة. وكان هناك حشد من الأصوات، دوامة اخترقته واجتاحته من فوقه ومن حوله بحركة سريعة متهورة، خلفت وراءها أشلاء متحركة من الكلمات.

«ماذا فعلوا بك يا فتى؟ تبدو مدمرًا تمامًا ..».

«.. النار الساخنة، أعتقد ذلك، ولكن كان معي حقيبة ..».

«.. لقد صنعت جنة، ولكن سان بيت العجوز ..».

«لاااااا.. لقد حصلت على واسطة من الفتى وقمت بعدة تعاملات معه ..».

«يا سام، تعال إلى هنا..».

«هل معك ميكروفون؟..» يقول بعلزبول.

« .. ما أخبارك، أيها العفريت الطيب؟ موعدي مع سا ..».

ولكن أعلى من جميع الأصوات، دوي الهدير الجهوري الأصلي، ليغطي على كل شيء.

«سريعًا، سريعًا، سريعًا، تحركوا ولا تجعلونا ننتظركم.. يوجد الكثيرون في الطابور. أعدوا شهاداتكم، وتأكدوا أنها مختومة بإذن بيتر وتأكدوا أنكم عند بوابة

الدخول الصحيحة. ستكون هناك الكثير من النيران لتكفي الجميع. أنت .. أنت يا من تقف هناك، قف في مكانك في الصف وإلا..».

الخيط الأبيض، الذي كان «باول»، زحف إلى الخلف بعيدًا عن الصيحة التي أخذت في الاقتراب منه وشعر بطعنة حادة من الإصبع الذي أشار إليه. وانفجر كل شيء ليتحول إلى طيف من الأصوات تتقطر أجزاؤه على عقل متألم.

كان باول في مقعده مجددًا وشعر بنفسه يرتجف.

كانت عينا دونوفان مفتوحتين عن آخرهما ككرتين زرقاوين كبيرتين لامعتين.

همس وهو يكاد يبكي: «جريج.. هل كنت تموت؟».

«لقد... لقد شعرت أني ميت». ولم يتعرف صوته الذي يشبه النقيق.

كان واضحًا أن دونوفان يحاول الوقوف لكنه كان يفشل فشلًا ذريعًا: «هل نحن أحياء الآن، أم أن هناك المزيد؟».

«أشعر... أشعر أنني على قيد الحياة». كان صوته به نفس البحة الخشنة. قال باول بحذر: «هل ... هل سمعت أي شيء حينما ... حينما كنت ميتًا؟!».

صمت دونوفان برهة ثم أومأ برأسه ببطء قائلًا: «وأنت؟».

«نعم. هل سمعت الكلام عن النعوش.. والنساء يتغنين.. والناس يقفون في طوابير لدخول الجحيم؟ هل مررت بكل ذلك؟».

هز دونوفان رأسه وقال: «صوت واحد فقط».

«أكان صوتًا عاليًا؟».

«لا. كان خفيضًا لكنه خشن كما لو أن مبردًا يمر على أطراف أظافرك. كانت موعظة. عن نيران الجحيم. كان يصف العذاب الذي يلقاه.. حسنًا، أنت تعرف ذلك. سمعت ذات مرة موعظة مثلها تقريبًا».

كان جبينه يتصبب عرقًا.

كانا يريان ضوء الشمس من النافذة، كان ضعيفًا لكنه باللون الأزرق الفاتح.. والحبة اللامعة البعيدة التي كانت هي مصدر الضوء لم تكن هي الشمس.

أشار باول بإصبع مرتجفة إلى العداد الوحيد الموجود بالسفينة، كان المؤشر يقف بثبات وشموخ عند علامة 300 ألف فرسخ ضوئي.

قال باول: «لو هذا صحيح يا مايك لكُنَّا قد خرجنا من المجرة تمامًا».

أجاب دونوفان: «سنكون أول بشر يغادرون المجموعة الشمسية يا جريج!».

«نعم. هذا هو الأمر بالضبط. لقد هربنا من الشمس. وهربنا من المجرة. هذه السفينة هي الإجابة يا مايك. إنها تعني الحرية للبشرية جمعاء.. حرية الانتشار في كل النجوم الموجودة بالملايين والمليارات والتريليونات».

ثم ألقى بنفسه على المقعد بارتطامة قوية: «لكن، كيف سنعود يا مايك؟».

ابتسم مايك ابتسامة مرتعشة وقال: «أوه! هذا جيد. السفينة أحضرتنا إلى هنا وهي التي ستعيدنا. سآخذ مزيدًا من الفاصوليا».

«لكن، مايك.. انتظر يا مايك. لو كانت ستعيدنا بالطريقة التي جلبتنا بها إلى هنا...».

حاول دونوفان القيام لكنه لم يستطع وارتطم مجددًا بمقعده بصوت ثقيل.

وأكمل باول: «فسيكون علينا أن نموت مجددًا يا مايك».

تنهد دونوفان وهو يقول: «حسنًا.. لو كان علينا فعل ذلك فعلينا ذلك. على الأقل لن يكون موتًا دائمًا.. ليس دائمًا للأبد».

كانت سوزان كالفن تتحدث ببطء الآن؛ كانت قد أمضت ست ساعات متصلة في حث «ذا برين» ببطء، لكن بلا طائل. كانت قد تعبت من تكرار الأسئلة، ومن تكرار عباراتها، ومن كل شيء.

«والآن يا برين، هناك أمر واحد فقط. ببساطة، يجب عليك أن تبذل مجهودًا خاصًا للإجابة. هل كانت القفزة عبر النجوم واضحة لك تمامًا؟ أعني، هل ستأخذهم بعيدًا للغاية؟».

«إلى حيث يريدون الذهاب يا آنسة سوزان! ليس هناك أي خدعة عبر الالتواء الفضائي».

«وماذا سيرون على الجانب الآخر؟».

«النجوم وأشياء من هذا القبيل. ماذا تظنين؟».

أفلت منها السؤال التالي: «سيظلان على قيد الحياة إذن؟».

«بالتأكيد!».

«والقفزة عبر النجوم لن تؤذيهما؟».

تجمدت الدماء في عروقها بينما ظل برين صامتًا؛ فقد كان هذا هو بيت القصيد؛ لقد لمست الوتر الحساس.

خاطبته بصوت خافت: «برين... برين، هل تسمعني؟».

جاءت الإجابة ضعيفة ومرتعشة. قال ذا برين: «هل يتعين عليّ أن أجيب؟ أعني عن سؤال القفزة».

«ليس إلا إذا كنت تريد ذلك. لكن ذلك سيكون مشوقًا.. أقصد لو أردت ذلك». حاولت سوزان كالفن أن تبدو مرحة.

«أوووه! أنت تفسدين كل شيء».

وقفزت الطبيبة النفسية فجأة في الهواء وبدا على وجهها كأنها أدركت شيئًا ما.

كانت تقول لاهثة: «يا إلهي.. يا إلهي!».

شعرت سوزان بأنها تخلصت من توتر الساعات والأيام في لحظة واحدة. وفي وقت لاحق كانت تقول للانينج: «أقول لك إن كل شيء على ما يرام. لا.. يجب أن تتركني وحدي الآن. السفينة ستعود سالمة وعلى متنها الرجلان وأنا أريد أن أستريح. سأستريح. والآن اتركني وحدي».

عادت السفينة إلى الأرض في هدوء كما غادرت، وهبطت في نفس البقعة بالضبط التي كانت فيها قبل أن تغادر وفتح الباب الرئيسي للمركبة مُصدرًا قرقعة. خرج الرجلان من المركبة يتحسسان طريقهما بحذر وحك كل منهما ذقنه الخشن الذي لم يحلقه منذ عدة أيام.

ثم تقدم الرجل صاحب الشعر الأحمر ببطء وعزم وجثا على الأرض الخرسانية للمدرج وقَبّلها قبلة عالية الصوت.

أشار الاثنان إلى المجموعة التي كانت بانتظارهما لتتنحى جانبًا وأشارا بالرفض إلى اثنين من عمال الإسعاف تقدما نحوهما بهِمَّة وكل منهما يمسك بطرف نقالة.

قال جريجوري باول: «أين أقرب دورة مياه؟ أريد الاستحمام». وسار الجميع إلى خارج المدرج.

التف الجميع حول طاولة؛ كان اجتماعًا لكل العاملين في يو إس روبوتس، وسرد باول ودونوفان قصتهما كاملة بكل ما فيها من أحداث مدوية.

قطعت سوزان كالفن الصمت الذي ساد بعد انتهاء القصة.. كانت قد استعادت في الأيام القليلة الماضية هدوءها وتعبيراتها الجامدة والحادة بعض الشيء إلا أنها شعرت ببعض الخجل.

قالت: «بصراحة كان ذلك خطئي.. بالكامل. حينما عرضنا هذه المسألة على ذا برين لأول مرة - كما آمل أن يذكر بعضكم - فقد أكدت كثيرًا أهمية رفض أي معلومة من شأنها أن تؤدي لمعضلة. وفي إطار ذلك قلت للروبوت شيئًا من قبيل: «لا تقلق كثيرًا بشأن وفاة البشر. نحن لا نبالي بشأن ذلك على الإطلاق.. عندما تأتي للصفحة المتعلقة بذلك فما عليك إلا أن تتوقف وتعيدها وسيكون هذا كل شيء...»..».

قال لانينج: «ممم. ثم؟».

«الأمر واضح. حينما دخلت هذه المعلومة في حسابات ذا برين التي قادته إلى المعادلة التي تتحكم في طول الحد الأدنى للفترة الزمنية للقفزة بين النجوم - كان الأمر يعني الموت لأي بشري، وهذا ما أدى لتعطل روبوت كونسوليديتد تمامًا. لكنني قللت من أهمية الموت عند ذا برين.. ليس تمامًا؛ إذ لا يمكن أبدًا مخالفة القانون الأول.. لكن بما يكفي لجعل ذا برين يلقي نظرة ثانية على المعادلة. وكان هذا كافيًا لمنحه الوقت لإدراك أنه بعد مرور الفترة الزمنية سيعود الرجال للحياة تمامًا كما ستعود المادة والطاقة لتشكيل السفينة نفسها مرة أخرى. هذا «الموت» لم يكن سوى ظاهرة مؤقتة.. واضح؟».

نظرت حولها فوجدت الجميع يصغون لما تقول فتابعت: «ولذلك لم يرفض هذه المعلومة لكنه أصيب بخلل طفيف. حتى مع علمه بأن الموت سيكون مؤقتًا، وتقليل أهميته لديه، فقد كانت المعلومة كافية لتصيبه بخلل طفيف».

وأفصحت عما تريد قوله بهدوء: «لقد أصبح لديه حس الدعابة.. هذا نوع من الهروب.. طريقة للهروب جزئيًا من الواقع. لقد أصبح مهرجًا».

كان باول ودونوفان قد انتصبا على أقدامهما.

صرخ باول: «ماذا؟».

وأخذ دونوفان يلعن ويسب.

قالت سوزان: «هذا هو الأمر. لقد اعتنى بكما وحافظ على سلامتكما، لكن لم

يكن بإمكانكما التحكم في أي شيء؛ لأن السفينة لم تكن مصنوعة لتسيطرا عليها بل ليسيطر عليها برين الظريف. تمكنا من الاتصال بكما باللاسلكي لكنكما لم تجيبا. كان لديكما طعام وفير إلا أن كله من الفاصوليا والحليب. ثم توفيتما – إن جاز التعبير – وعُدتما للحياة مرة أخرى لكنه جعل فترة وفاتكما .. حسنًا.. مثيرة. أتمنى لو أعرف كيف فعلها. لقد كانت مزحة ذا برين الكبرى لكنه لم يكن يقصد إيذاءكما».

هتف دونوفان: «لم يقصد إيذاءنا؟ أوه! كنت أتمنى لو أن هذا الكلب الضال له عنق».

رفع لانينج يده في إشارة بالصمت للجميع: «حسنًا لقد كان مأزقًا، لكن الأمر انتهى. وماذا سيحدث الآن؟».

قال بوجرت بهدوء: «حسنًا.. من الواضح أن الأمر في أيدينا لتحسين محرك طي الفضاء. يجب أن تكون هناك طريقة للتغلب على مشكلة الفترة الزمنية للقفزة. ولو نجحنا في ذلك لأصبحنا الشركة الوحيدة التي لديها روبوت فائق؛ لذا علينا أن نعرف إن كان هناك من يستطيع فعل ذلك. وبعدها سيصبح لدى يو إس روبوتس إمكانية السفر عبر النجوم وسيكون لدى الإنسانية كلها فرصة إقامة إمبراطورية على المجرة بكاملها».

قال لانينج: «وماذا عن كونسوليديتد...؟».

قاطعه دونوفان فجأة قائلًا: «أريد اقتراح أمر هنا. لقد وضعوا يو إس روبوتس في مأزق، لكنه لم يكن بالسوء الذي توقعوه، ولقد جاء بنتيجة جيدة، لكن نيتهم لم تكن خالصة. ولقد كان لي أنا وجريج النصيب الأوفر في هذا المأزق.

«حسنًا. لقد أرادوا حلًا للمشكلة والآن لديهم الحل. أرسل لهم السفينة وتحصل يو إس روبوتس على مائتي ألف دولار بالإضافة إلى تكاليف صناعة السفينة. وإذا جربوها فحينها سنترك ذا برين يلعب بها قليلًا قبل أن يعود لطبيعته».

قال لانينج بصوت هادئ: «يبدو هذا عادلًا ومناسبًا لي».

أضاف بوجرت: «وفيه التزام صارم ببنود العقد أيضًا».

الدليـــل

«لكن ذلك أيضًا لم يكن هو المهم» قالتها الدكتورة سوزان وهي تفكر بتعمق.

«في نهاية الأمر أصبحت السفينة والأشياء الأخرى المماثلة ملكًا للحكومة، وتم التوصل لأفضل طريقة للقفز عبر الفضاء الموازي، ولدينا بالفعل الآن مستعمرات بشرية على كواكب بعض النجوم القريبة، لكن كل هذا لم يكن هو المهم».

كنت قد انتهيت من تناول طعامي وجلست أراقبها عبر سحب الدخان المنبعثة من سيجارتي.

«المهم فعلًا هو ما حدث للناس هنا على كوكب الأرض في الأعوام الخمسين الماضية. عندما ولدت أنا أيها الشاب كانت الحرب العالمية الأخيرة قد انتهت لتوها.

كانت من أسوأ الفترات في التاريخ.. لكنها كانت نهاية القومية. كانت الأرض قد ضاقت بالدول مما جعلها تتكتل لتشكيل مناطق. استغرق الأمر وقتًا طويلًا. عندما ولدت أنا كانت الولايات المتحدة الأمريكية لا تزال دولة لا مجرد جزء من المنطقة الشمالية. في الواقع لا يزال اسم الشركة يو إس روبوتس يشير إلى الولايات المتحدة.. ولقد كان لروبوتاتنا أيضًا الفضل في التحول من دول إلى مناطق، الأمر الذي جلب الاستقرار لاقتصادنا وقادنا لما يمكن وصفه بأنه عصر ذهبي عند مقارنة هذا القرن بالقرن الماضي الذي تم أيضًا بواسطة الروبوتات».

«تعنين الآلات؟ ذا برين الذي أخبرتني عنه كان أول آلة، أليس كذلك؟».

«بلى بالضبط. لكنني لم أكن أفكر في الآلات بل في رجل توفي العام الماضي».

اكتسى صوتها فجأة بحزن شديد وهي تقول: «أو على الأقل رتب موته؛ لأنه علم أننا لم نعد بحاجة إليه؛ إنه ستيفن بيرلي».

«نعم خمنت أنك تقصدينه».

«دخل العمل العام لأول مرة عام 2032. كنت أنت صبيًّا صغيرًا في ذلك الوقت؛ لذلك لن تذكر الطريقة الغريبة التي تولى بها المنصب. كانت حملته لرئاسة البلدية هي الأغرب في التاريخ بكل تأكيد!».

كان فرانسيس كوين سياسيًّا من المدرسة الجديدة، وهذا بالطبع تعبير لا معنى له ككل التعبيرات المشابهة. فمعظم «المدارس الجديدة» التي لدينا لها ما يماثلها في الحياة الاجتماعية في اليونان القديمة، وربما لو كنا نعرف المزيد عن السومريين لاكتشفنا أن لها مثيلًا أيضًا في الحياة الاجتماعية لبلاد سومر القديمة وكذلك في منازل البحيرات سويسرا في عصور ما قبل التاريخ.

لكن لتفادي أي بداية مملة ومعقدة قد يكون من الأفضل الإسراع بالتأكيد على أن كوين لم يترشح لمنصب ولا سعى لحصد أصوات ناخبين، ولم يلقِ خطبًا ولا قام بحشو أي صناديق اقتراع.

ولأن السياسة تجعل الغرماء رفاقًا فقد جلس ألفريد لانينج على الجانب الآخر من المكتب وتدلى حاجباه الأبيضان الأشعثْين فوق عينيه اللامعتين بحدة لنفاد صبر مزمن. لم يكن يشعر بالسرور.

ولم تكن تلك الحقيقة لتزعج كوين لو عرفها. تكلم بصوت ودود وربما بلهجة جادة أيضًا.

«أظنك تعرف ستيفن بيرلي يا دكتور لانينج».

«سمعت عنه مثلما سمع عنه كثيرون».

«نعم. سمعت عنه أنا أيضًا. ربما ستعطيه صوتك في الانتخابات المقبلة».

«لا يمكنني الجزم بذلك». وبدت في صوته حدة واضحة وهو يقول: « لا أتابع التيارات السياسية؛ لذلك لم أكن أعلم أنه يخوض الانتخابات».

«ربما يصبح العمدة القادم. بالطبع هو الآن ليس إلا رجل قانون .. لكن معظم النار من مستصغر الشرر...».

قاطعه لانينج قائلًا: «نعم. لقد سمعت هذا المثل من قبل. لكنني أتساءل إن كان من الممكن أن ندخل في الموضوع مباشرة».

«لقد دخلنا بالفعل يا دكتور لانينج» كان كوين يتحدث بأسلوب مهذب جدًّا وأضاف: «من مصلحتي الإبقاء على السيد بيرلي في منصب المدعي العام لأطول فترة ممكنة، ومن مصلحتك مساعدتي في ذلك».

عقد لانينج حاجبيه وقال: «من مصلحتي؟».

«حسنًا، لنقل إنه في مصلحة يو إس روبوتس. ألجأ لك باعتبارك مديرًا فخريًّا للبحوث؛ لأنني أعرف أنك بالنسبة لهم يمكننا أن نقول: رجل الدولة المحنَّك! يصغون إليك باحترام رغم أنك لم تعد وثيق الصلة بهم لكن في الوقت نفسه لا يمكنك أن تتصرف بحرية كبيرة حتى إذا كان هذا التصرف غير تقليدي إلى حد ما».

صمت دكتور لانينج لحظات وهو يفكر بعمق، ثم قال بهدوء: «أنا لا أفهمك على الإطلاق يا سيد كوين».

«لا يدهشني ذلك يا دكتور لانينج، لكن الأمر في غاية البساطة؛ هل تمانع؟» أشعل كوين سيجارة رفيعة بقداحة بسيطة، لكنها ذات ذوق رفيع وبدا على وجهه ذي العظام الكبيرة تعبير استمتاع هادئ، وقال: «تحدثنا عن السيد بيرلي.. شخصية غريبة وجذابة. لم يكن معروفًا قبل ثلاث سنوات إلا أنه أصبح الآن مشهورًا جدًّا.. وهو رجل ذو قوة ومقدرة، ولا أشك في أنه أذكى وأقدر ممثل ادعاء عرفته على الإطلاق. لسوء الحظ، إنه ليس صديقي».

رد لانينج تلقائيًّا: «أتفهَّم ذلك». وأخذ يحدق في أظافره.

واصل كوين كلامه بهدوء: «لقد سنحت لي الفرصة العام الماضي للبحث في تاريخ السيد بيرلي باستفاضة.. من المفيد دائمًا - كما تعرف - القيام بنوع من البحث الاستقصائي في ماضي الساسة الإصلاحيين. ليتك تعرف كم يفيد ذلك».. توقف ليبتسم ابتسامة تفتقر إلى الطرافة وهو ينظر إلى طرف سيجارته المتوهج:

«لكن ماضي السيد بيرلي ليس به ما يلفت النظر؛ حياة هادئة في بلدة صغيرة.. تعليم جامعي.. زوجة توفيت في شبابها.. حادث سيارة يتعافى منه تدريجيًّا.. كلية الحقوق.. الانتقال إلى المدينة.. العمل كمدعٍ عام».

هز فرانسيس كوين رأسه ببطء، ثم أضاف:

«لكن حياته الآن. نعم هذه جديرة بالملاحظة. المدعي العام لا يأكل أبدًا!»..

أرجع لانينج رأسه إلى الوراء في حركة مفاجئة، ونظر بعينيه العجوزين نظرة حادة مندهشة: «معذرة؟».

«مدعينا العام لا يأكل أبدًا. دعني أفسر ذلك قليلًا. لم يره أحد على الإطلاق وهو يتناول الطعام أو الشراب. أبدًا! هل تفهم معنى ذلك؟ لا أقول نادرًا بل على الإطلاق!».

« هذا لا يصدق أبدًا. هل تثق بالمتحرين الذين يعملون لديك؟».

«أثق بالمتحرين الذين يعملون معي وأنا لا أجد ذلك غريبًا على الإطلاق. فضلًا عن ذلك، لم يره أحد قط وهو يشرب، لا الماء ولا غيره.. كذلك لم يره أحد نائمًا.. هناك عوامل أخرى لكنني أعتقد أنني أوضحت ما أريد».

أرجع لانينج ظهره إلى الوراء في مقعده واستغرقهما صمت يشوبه التحدي ورد الفعل قبل أن يهز خبير الروبوتات العجوز رأسه قائلًا «لا. إذا تكرمت عباراتك بحقيقة أنك تعرضها عليّ فسأجد أن هناك شيئًا واحدا فقط ربما ألمحت إليه.. وهذا مستحيل».

«لكن الرجل ليس بشريًا بالمرة يا دكتور لانينج».

«لو قلت لي إنه الشيطان متنكرًا لكانت هناك فرصة ولو ضئيلة أن أصدقك».

«أقول لك إنه روبوت يا دكتور لانينج».

«أقول لك إن هذه فكرة مستحيلة، لم أسمع مثلها قط يا سيد كوين».

الصمت التام مرة أخرى.

أطفأ كوين سيجارته بعناية شديدة وقال: «ومع ذلك عليك أن تحقق في هذا الأمر المستحيل مع جميع العاملين بالشركة».

«لا يمكنني بالتأكيد أن أقوم بمثل هذا الأمر يا سيد كوين. لا يمكن أن تكون جادًا في طلب أن تتدخل الشركة في السياسة المحلية».

«ليس لديك خيار آخر. بافتراض أنني سأعلن هذه الحقائق على الملأ بدون دليل ستكون الظروف دليلًا كافيًا».

«افعل ما تراه مناسبًا».

«لكن ذلك لن يناسبني، سيكون وجود الدليل أفضل.. وهذا لن يناسبك؛ لأن مثل هذا الإعلان سيضر شركتك كثيرًا. وأظن أنك تدرك جيدًا القوانين الصارمة التي تمنع استخدام الروبوتات في العوالم المأهولة».

رد لانينج بفظاظة: «بالتأكيد!».

«تعرف أن يو إس روبوتس هي الشركة الوحيدة التي تصنع الروبوتات البوزيترونية في المجموعة الشمسية، ولو ثبت أن بيرلي روبوت فهو روبوت بوزيتروني. تعرف أيضًا أن كل الروبوتات البوزيترونية تؤجر ولا تباع وتظل الشركة تمتلك كل روبوت وتتحكم فيه وبالتالي فهي مسئولة عن تصرفات جميع هذه الروبوتات».

«من السهل يا سيد كوين إثبات أن الشركة لم تصنع قطُّ روبوتًا بخصائص بشرية».

«يمكن ذلك؟ فلنناقش مجرد الاحتمالات».

«نعم يمكن ذلك».

«أتصور أن ذلك يتم في الخفاء أيضًا، من دون تسجيله في دفاترك».

«ليس فيما يخص العقل البوزيتروني يا سيدي. الأمر له جوانب عديدة ويتم تحت أشد رقابة حكومية ممكنة».

«نعم لكن الروبوتات تبلى وتتعطل وتخرج من الخدمة.. ويتم تفكيكها».

«والعقول البوزيترونية يعاد استخدامها أو يتم تدميرها».

«حقًّا؟» سمح فرانسيس كوين لنفسه بإظهار لمحة من السخرية وقال: «ولو أفلت أحدها من التدمير.. بطريق الخطأ طبعًا.. وحدث ذات مرة أن كان هناك هيكل لروبوت بشري لا ينقصه سوى العقل».

«مستحيل!».

«سيكون عليك إثبات ذلك للحكومة والناس.. فلمَ لا تثبت ذلك لي الآن؟».

سأل لانينج في سخط: «لكن لماذا نقوم بذلك؟ وبأي دافع؟ لابد أنك تثق بأن لدينا بعض العقل».

«أرجوك يا سيدي العزيز، كم ستكون سعادة شركتكم لو سمحت المناطق

المختلفة باستخدام الروبوتات البوزيترونية ذات الخصائص البشرية في العوالم المأهولة. ستكون الأرباح هائلة. لكن الناس يخشون ذلك بشدة. لكن إذا جعلتهم يعتادون مثل هذه الروبوتات أولًا.. انظر، لدينا محامٍ بارع وعمدة طيب.. وهو روبوت. ألن يقنع ذلك الناس بشراء روبوت ليعمل كبيرًا للخدم؟».

«هذا محض خيال! هراء سخيف!».

«أتصور ذلك. لكن لماذا لا تثبته، أم تفضل إثباته للناس؟».

كانت الإضاءة في المكتب خافتة لكن ليس بالدرجة التي تخفي الحنق الذي ارتسم على وجه ألفريد لانينج الذي لمس أحد الأزرار بإصبعه ببطء وتوهجت الإضاءة على الحائط لتعود الحياة إلى الحجرة.

تمتم قائلًا: «حسنًا إذن.. دعنا نرَ».

ليس من السهل وصف وجه ستيفن بيرلي، كان عمره أربعين عامًا وفقًا لشهادة الميلاد وهذا ما كان يبدو عليه.. لكنه كان يبدو بصحة جيدة وسهل المراس، ولا سيما إذا كان يضحك، وهو الآن يضحك؛ بل ينفجر في ضحكات متواصلة عالية تخفت قليلًا ثم تبدأ مرة أخرى..

تقلص وجه ألفريد لانينج وبدا كأنه تمثال يجسد الاستياء المرير. وأشار للمرأة التي تجلس إلى جواره بنصف إيماءة فيما زمَّت هي شفتيها الرفيعتين الشاحبتين قليلًا.

التقط بيرلي أنفاسه وقد اقترب قليلًا من حالته الطبيعية.

- «حقًّا يا دكتور لانينج؟ حقًّا؟ أنا... أنا روبوت؟».

تكلم لانينج بكلمات سريعة خاطفة: «هذا ليس كلامي يا سيدي. سأكون راضيا تمامًا عن كونك بشرًا. وبما أن شركتنا لم تصنعك قطُّ فأنا واثق تمامًا أنك كذلك.. بالمعنى القانوني على أي حال. لكن لأن زعم أنك روبوت قدمه لنا على محمل الجد رجل ذو مكانة..».

- «لا تذكر اسمه، إذا كان ذلك سينتقص من أخلاقك المتحجرة، لكن لنفترض أنه كان فرانك كوين من أجل المناقشة.. فلنواصل».

تذمر لانينج بحدة لمقاطعته وصمت برهة غاضبًا قبل أن يواصل بمزيد من الفتور: «من رجل ذي مكانة كبيرة ولست مستعدًّا لممارسة أسلوب التخمين بشأن

هويته، وعليَّ أن أطلب معاونتك لدحض ذلك. هذا الزعم يمكن إبرازه ونشره بمعرفة ذلك الرجل، وهو ما سيمثل ضربة قوية للشركة التي أمثلُها.. حتى لو لم يثبت الاتهام. هل تفهمني؟».

- «حسنًا.. نعم.. موقفك واضح بالنسبة لي. التهمة في حد ذاتها سخيفة، لكن الموقف الذي وجدت نفسك فيه ليس كذلك. سامحني إذا كان ضحكي أغضبك. أنا ضحكت على التهمة وليس عليك. كيف يمكنني مساعدتك؟».

- «الأمر قد يكون بسيطًا جدًا. ما عليك إلا أن تتناول وجبة في مطعم بحضور شهود وتُلتقط لك صورة وأنت تأكل». عاد لانينج للوراء في مقعده إذ انتهى أسوأ ما في المقابلة. كانت المرأة التي بجواره تراقب بيرلي باهتمام، لكنها لم تقل شيئًا.

تلاقت عينا ستيفن بيرلي مع عينيها للحظة قبل أن يلتفت إلى خبير الروبوتات. استغرق في التأمل لبرهة وأصابعه تعبث بقطعة فنية زجاجية كانت هي الزينة الوحيدة على مكتبه.

قال لانينج بهدوء: «لا أعتقد أن بإمكاني أن ألزمك».

رفع بيرلي يده قائلًا: «انتظر يا دكتور لانينج. أدرك أن الأمر كله مقيت بالنسبة لك في الواقع، وأنك مجبر عليه على غير إرادتك وتشعر أنك تؤدي دورًا مهينًا وسخيفًا. إلا أن الأمر يرتبط بي بشكل شخصي؛ لذا عليك أن تتحملني.

«أولًا ما الذي يجعلك تظن أن كوين، هذا الرجل صاحب المكانة التي لا ريب فيها، لم يكن يخدعك ليجعلك تقوم بما تقوم به الآن بالضبط؟».

«من المستبعد تمامًا أن يعرِّض شخص ذو سمعة طيبة نفسه للخطر بهذا الشكل السخيف لو لم يكن مقتنعًا بأنه في المنطقة الآمنة».

بدت بعض الدعابة في عيني بيرلي وهو يقول: «أنت لا تعرف كوين. يستطيع أن يصنع أرضًا آمنة من حافة لا يستطيع كبش الجبال التعامل معها. أظن أنه أطلعك على تفاصيل البحث الذي يزعم أنه قام به عني؟».

- «أطلعني على ما يكفي لإقناعي بأن محاولة شركتنا لإثبات بطلان هذه الاتهامات ستكون شاقة للغاية، في حين يمكنك ذلك بكل سهولة».

- «تصدقه إذن عندما يقول إني لا آكل أبدًا. أنت عالم يا دكتور لانينج. فكر

بالمنطق.. لم يرني أحد وأنا آكل، فبالتالي أنا لا آكل أبدًا وهذا هو المطلوب إثباته. على أية حال، أنت تستخدم أساليب المدعين للتشويش على موقف في غاية البساطة في واقع الأمر».

- «بالعكس، أنا أحاول توضيح ما تجعله أنت وكوين معقدًا للغاية. كما ترى، فأنا لا أنام كثيرًا، هذا صحيح وأنا بالتأكيد لا أنام في الأماكن العامة. لم أهتم من قبل بتناول الطعام مع الآخرين.. خصوصية قد تكون غير معتادة وربما عصبية في الشخصية، لكن هذا لا يؤذي أحدًا. اسمح لي يا دكتور لانينج أن أستعرض معك قضية افتراضية: لنفترض أن لدينا سياسيًّا يريد هزيمة المرشح الإصلاحي بأي ثمن. وأثناء البحث في حياته الخاصة وضع يده على أشياء غريبة كالتي ذكرتها للتو.. لنفترض أيضًا أنه من أجل أن يفلح في تشويه سمعة المرشح يستخدم شركتك كوكيل مثالي. هل تتوقع منه أن يقول لك إن فلانًا روبوت لأنه لا يكاد يأكل مع الناس وأنا لم أره يغفو في وسط قضية، وعندما اختلست النظر من نافذة منزله ذات مرة في منتصف الليل وجدته جالسًا ومعه كتاب وبحثت في ثلاجته فلم أجد بها أي طعام؟

إذا قال لك ذلك فستتصل بمستشفى المجانين. لكن إذا قال لك إن فلانًا لا ينام على الإطلاق ولا يأكل على الإطلاق، حينها ستعميك الصدمة عن حقيقة أن مثل هذه العبارات يستحيل إثباتها. أنت تعمل لصالحه بإسهامك في هذه الجلبة».

رد لانينج بعناد وبلهجة تهديد: «بغض النظر يا سيدي عما إذا كنت تعتبر هذه المسألة مهمة أو لا، فإننا لا نحتاج إلا للوجبة التي ذكرتها لوضع نهاية لهذا الأمر».

التفت بيرلي مرة أخرى للمرأة التي لا تزال تنظر إليه بوجه لا يحمل أي تعبيرات: «عذرًا.. قلتِ لي إن اسمك الدكتورة سوزان، أليس كذلك؟».

- «بلى يا سيد بيرلي».

- «أنت أخصائية نفسية من شركة يو إس روبوتس، أليس كذلك؟».

- «أخصائية نفس روبوتات من فضلك».

- «حسنًا، هل تختلف الروبوتات كثيرًا عن البشر من الناحية العقلية؟».

- «اختلافًا كبيرًا». وارتسمت على شفتيها ابتسامة فاترة وهي تقول: «الأصل في الروبوتات أنها لطيفة».

بدت الدعابة على رجل القانون: «حسنًا، هذه ضربة قاسية. لكن ما أردت قوله هو: بما أنك أخصائية نفس روبوتات وامرأة فأنا أراهن أنك فعلت شيئًا لم يخطر ببال الدكتور لانينج».

- «وما ذلك؟».

- «لديكِ شيء لتأكليه في حقيبتك».

وبدا شيء من اللامبالاة المدروسة في عيني الدكتورة سوزان. قالت: «أنت تفاجئني يا سيد بيرلي».

وفتحت حقيبتها وأخرجت تفاحة. وبهدوء أعطتها له. انتفض الدكتور لانينج في بادئ الأمر ثم تابع انتقال التفاحة ببطء من يد لأخرى بعينين حادتين متبهتين.

قضمها ستيفن بيرلي بهدوء وابتلعها.

«هل ترى يا دكتور لانينج؟».

ابتسم الدكتور لانينج في ارتياح حتى بدت الطيبة على وجهه، ارتياح دام لثانية واحدة ثم سرعان ما تلاشى.

قالت الدكتورة سوزان: «كاد الفضول يقتلني لمعرفة إن كنت ستأكلها أم لا، لكن هذا لا يثبت شيئًا بالطبع في قضيتنا الحالية».

ابتسم بيرلي ابتسامة عريضة: «لا يثبت شيئًا؟».

«بالطبع لا. من الواضح يا دكتور لانينج أنه إذا كان هذا الرجل روبوتًا بخصائص بشرية فسيكون كالبشر في كل شيء. إنه بشري لدرجة لا تكاد تصدق. بعد كل شيء نحن نرى ونراقب البشر طوال حياتنا، وسيكون ضربًا من الخيال أن تخفي شيئًا علينا. يجب أن يكون كل شيء على ما يرام. انظر إلى نسيج الجلد وجودة حدقتي العينين وتكوين عظام اليد. إذا كان روبوتًا فأتمنى أن تكون يو إس روبوتس هي التي صنعته؛ لأنه عمل جيد. هل تفترض إذن أن أي شخص قادر على الالتفات إلى مثل هذه الجماليات سيهمل وضع بعض الأجزاء لتعتني بأمور كالأكل والنوم

والإخراج؟ وحتى لو كانت تحسبًا لحالات الطوارئ فقط لتفادي موقف كالذي نحن فيه الآن؛ لذا فإن وجبة لا تثبت شيئًا بالفعل».

زمجر لانينج: «مهلًا، لست مغفلًا لهذه الدرجة التي تصورانني بها. لست مهتمًا بها إذا كان السيد بيرلي من البشر أم لا. إنني أهتم فقط بإخراج الشركة من المأزق. وجبة في مكان عام ستنهي الأمر تمامًا مهما فعل كوين. يمكننا أن نترك التفاصيل الدقيقة للمحامين وأخصائيي نفس الروبوتات».

قال بيرلي: «لكنك أغفلت الجانب السياسي للموقف يا دكتور لانينج. فأنا حريص على الفوز بالانتخابات بقدر حرص كوين على منعي. بالمناسبة، هل لاحظت أنك استخدمت اسمه؟ إنها خدعة رخيصة مني، كنت أعلم أنك ستستخدمه قبل أن ينتهي حديثنا».

اندفع لانينج قائلًا: «ما علاقة الانتخابات بذلك؟».

– «الدعاية سلاح ذو حدين يا سيدي. إذا أراد كوين أن يقول إني روبوت، ولديه الشجاعة لذلك، فأنا أيضًا لديَّ الشجاعة لألعب بطريقته».

بدا على لانينج الانزعاج الشديد وقال: «تعني أنك...».

– «بالضبط، أعني أنني سأتركه يختار الحبل ويختبر قوته ويقطع الطول الملائم ويلفه حول عنقه ويبتسم ابتسامة عريضة، وسأتكفل أنا بالباقي».

– «أنت واثق من نفسك للغاية».

نهضت الدكتورة سوزان وقالت: «هيا يا ألفريد، لن نستطيع أن نغير رأيه».

– «أترين؟». ابتسم بيرلي بلطف: «أنت أخصائية نفس بشرية أيضًا».

لكن ربما لم تكن كل الثقة التي لاحظها الدكتور لانينج موفورة ذلك المساء، عندما وقفت سيارة بيرلي على السير الأوتوماتيكي المؤدي للمرآب المنخفض عن سطح الأرض، وعبر بيرلي نفسه الطريق إلى الباب الأمامي لمنزله.

رفع الشخص الجالس على كرسي متحرك رأسه عندما دخل بيرلي وابتسم. أشرق وجه بيرلي بالمودة واتجه إليه.

كان صوت القعيد أجش وهو يهمس من فم ملتو إلى جانب واحد للأبد تخرج من وجه، نصفه من أنسجة بها ندوب: «لقد تأخرت يا ستيف».

– «أعرف يا جون.. أعرف. لكنني واجهت مشكلة غريبة ومثيرة اليوم».

– «هكذا؟». لم يستطع الوجه الممزق ولا الصوت المدمر أن ينقل أي تعبير لكن القلق بدا في عينيه الصافيتين: «أمر لا يمكنك التعامل معه؟».

– «لست متأكدًا تمامًا. قد أحتاج إلى مساعدتك *فأنت* أذكى مَن في الأسرة. هل تريدني أن أصحبك للخارج إلى الحديقة؟ إنها أمسية لطيفة».

رفع بيرلي جون من الكرسي المتحرك بذراعين قويتين. وبرفق شديد، طوق بيرلي بذراعيه كتفي وساقي القعيد الملفوفتين. وبحذر وبطء بالغين سار عبر الحجرات ونزل المنحدر البسيط الذي تم بناؤه من أجل الكرسي المتحرك وخرج من الباب الخلفي إلى الحديقة المحاطة بجدران وسياج من الأسلاك خلف المنزل.

– «لَمِ لا تسمح لي باستعمال الكرسي المتحرك يا ستيف؟ هذا سخيف».

– «لأني أفضل حملك. هل تمانع؟ أنت تعرف أنك تسعد بخروجك من تلك العربة الآلية لفترة من الوقت كما أسعد أنا لرؤيتك في الخارج. كيف تشعر اليوم؟». وأجلسه بعناية على العُشب البارد.

– «على أي نحوٍ ينبغي عليَّ أن أشعر؟ لكن، أخبرني عن مشكلتك».

– «ستستند حملة كوين إلى ادعاء أني روبوت».

اتسعت عينا جون عن اخرهما: «كيف عرفت ذلك؟ هذا مستحيل. لا أصدق».

– «أوه! أقول لك إنه كذلك. أرسل أحد كبار علماء يو إس روبوتس إلى مكتبي ليجادلني».

مزقت يدا جون ببطء في العشب وهو يقول: «أفهم. أفهم».

قال بيرلي: «لكن يمكننا أن ندعه يختار أساس حملته كما يشاء. لديَّ فكرة. استمع إليَّ، وقل لي إن كنا نستطيع القيام بها..».

كان كل من في مكتب ألفريد لانينج في تلك الليلة يحدق في الآخر. فرانسيس كوين يحدق متأملًا في ألفريد لانينج، ولانينج يحدق بفظاظة في الدكتورة سوزان التي حدقت بدورها في كوين دون أن تبدي أي مشاعر.

كسر فرانسيس كوين الصمت بصعوبة قائلًا: «مخادع. يختلق الأمور وفقًا لظروفه».

سألته الدكتورة سوزان دون اكتراث: «هل ستراهن على ذلك يا سيد كوين؟».

- «حسنًا، إنه رهانك على أي حال».

- «انظر هنا». طغت لهجة التهديد على التشاؤم الواضح في صوت لانينج وهو يقول: «لقد فعلنا ما طلبته. رأينا الرجل وهو يأكل. من السخف أن نفترض أنه روبوت».

وجه كوين حديثه للدكتورة سوزان: «هل *تعتقدين* ذلك؟ لقد ذكر لانينج أنك أنت الخبيرة».

وبلهجة تكاد تكون تهديدًا قال لانينج: «الآن يا سوزان...».

قاطعه كوين بهدوء: «لماذا لا تدعها تتكلم يا رجل؟ إنها تجلس كالتمثال منذ نصف ساعة».

شعر لانينج - بلا شك - بالضيق مما تعرض له، ثم من بوادر جنون العظمة التي كانت على بُعد خطوة. وقال: «حسنًا. قولي كلمتك يا سوزان. لن نقاطعك».

رمقته الدكتورة سوزان بلا استلطاف ثم ثبتت عينيها الباردتين على السيد كوين وهي تقول: «هناك طريقتان فقط لإثبات أن بيرلي روبوت. حتى الآن أنت تقدم أدلة عرضية يمكنك بها توجيه الاتهام لكن لا يمكنك إثباته.. وأعتقد أن السيد بيرلي ذكي بما فيه الكفاية لمواجهة هذا النوع من الاتهامات. أنت نفسك ربما تعتقد ذلك وإلا فلمَ أتيت إلى هنا؟

«طريقتا *الإثبات* هما المادية والنفسية. من الناحية المادية، يمكنك فحصه بدقة

أو استخدام الأشعة السينية. كيفية القيام بذلك ستكون *مشكلتك* أنت. ونفسيًا، يمكن دراسة سلوكه؛ لأنه إذا كان روبوتًا بوزيترونيًا فيجب أن ينصاع لقوانين الروبوتات الثلاثة. لا يمكن صنع عقل بوزيتروني بدونها. هل تعرف هذه القوانين يا سيد كوين؟».

شرحت سوزان القوانين بوضوح، ونقلت كل كلمة من الكلمات الشهيرة المطبوعة بخط عريض في الصفحة الأولى من «دليل الروبوتات».

قال كوين بلا اكتراث: «سمعت عنهم».

أجابته الأخصائية النفسية بجفاء: «إذن فسيسهل عليك فهم الأمر. إذا خالف السيد بيرلي أيًا من هذه القوانين فهو ليس روبوتًا. للأسف فإن هذا الإجراء لا يعمل في الاتجاه الآخر؛ لأن التزامه بالقوانين لا يثبت أي شيء على الإطلاق».

أظهر كوين دهشته بطريقة مهذبة: «ولم لا أيتها الطبيبة؟».

– «لأنك إذا أعطيت نفسك فرصة التفكير في الأمر فستجد أن القوانين الثلاثة للروبوتات هي المبادئ الأساسية لكثير من الأنظمة الأخلاقية في العالم. بالطبع يفترض في كل إنسان أن تكون لديه غريزة البقاء؛ هذا هو القانون الثالث للروبوتات. كذلك كل إنسان (صالح) لديه ضمير اجتماعي وشعور بالمسئولية يفترض أن يذعن إلى سلطة مختصة؛ أن يطيع طبيبه ورئيسه في العمل وحكومته وطبيبه النفسي وأخاه الإنسان؛ أن يمتثل للقوانين ويتبع القواعد والأعراف، حتى لو تعارض ذلك مع راحته أو سلامته، هذا هو القانون الثاني للروبوتات. كذلك كل إنسان (صالح) يفترض أن يحب الآخرين كما يحب نفسه وأن يحمي أخاه الإنسان ويعرض حياته للخطر لو استدعى الأمر لإنقاذ الآخرين. هذا هو القانون الأول للروبوتات. ببساطة، لو اتبع بيرلي كل قوانين الروبوتات فقد يكون روبوتًا أو إنسانًا صالحًا جدًا فحسب».

قال كوين: «لكن، هل تقصدين أنه لا يمكنك أبدًا إثبات أنه روبوت؟».

– «قد أستطيع إثبات أنه *ليس* روبوتًا».

– «ليس هذا هو الدليل الذي أريده».

– «هذا هو الدليل الموجود. أنت الوحيد المسئول عما تريده».

وهنا خطرت فكرة فجأة ببال لانينج، فقال بانفعال: «هل خطر لأيكما أن وظيفة المدعي العام غريبة نوعًا ما بالنسبة لروبوت؟ مقاضاة البشر.. الحكم عليهم بالإعدام.. إلحاق الضرر بهم بلا حدود...».

فجأة، ظهرت حدة في لهجة كوين وهو يقول: «لا. لا يمكنك الخروج منها بهذه الطريقة. كونه مدعيًا عامًّا لا يعني أنه بالضرورة من البشر. ألا تعرف تاريخه المهني؟ ألا تعرف أنه يفتخر بأنه لم يقاض بريئًا.. وأن هناك العشرات الذين لم يحاكموا؛ لأنه لم يقتنع بالأدلة ضدهم، رغم أنه كان بإمكانه مناقشة المحلفين لتشتيتهم؟ هذا ما حدث».

ارتجفت وجنتا لانينج: «لا يا كوين. قوانين الروبوتات لا تعطي أي تسامح مع ذنب بشري. لا يستطيع الروبوت أن يحكم بأن إنسانًا يستحق الموت. ليس له أن يقرر. لا يمكنه *أن يؤذي بشريًا*، شريرًا كان أو طيبًا».

بدا الإرهاق في صوت سوزان وهي تقول: «ألفريد، لا تتحدث بحماقة. ماذا لو أن روبوتًا صادفه رجل مجنون على وشك إضرام النار في منزل بداخله سكان؟ سيوقف الرجل المجنون، أليس كذلك؟».

– «بلى بالطبع».

– «وإذا كانت الطريقة الوحيدة لإيقافه هي قتله!».

تنحنح لانينج بصوت خافت دون أن يتكلم.

– «الجواب عن هذا يا ألفريد هو أنه سيبذل قصارى جهده كي لا يقتله. لو مات الرجل المجنون فسيحتاج الروبوت لعلاج نفسي؛ لأنه قد يصاب بالجنون بسهولة بسبب الصراع الذي حدث له؛ لكونه خالف القانون الأول كي يحققه على مستوى أعلى. لكن سيكون الرجل قد مات وروبوت هو الذي قتله».

– «حسنًا، هل بيرلي مجنون؟». سألها لانينج بكل ما أمكنه من سخرية.

– «لا، لكنه لم يقتل أي بشري بنفسه. هو يكشف الحقائق التي ربما تثبت أن إنسانًا بعينه يشكل خطرًا على مجموعة كبيرة من البشر التي نسميها المجتمع. إنه يحمي العدد الأكبر، ومن ثم يلتزم بالقانون الأول لأقصى درجة. هذا أقصى ما يمكنه. والقاضي بعد ذلك هو الذي يدين المجرم ويحكم عليه بالإعدام أو السجن بعد أن تقرر هيئة

المحلفين إن كان مذنبًا أو بريئًا. والسجان هو الذي يسجنه والجلاد هو الذي يعدمه. والسيد بيرلي لا يفعل شيئًا سوى كشف الحقيقة ومساعدة المجتمع».

- «في الحقيقة يا سيد كوين لقد بحثت في تاريخ السيد بيرلي المهني منذ لفت انتباهنا لهذا الأمر، فوجدت أنه لم يطالب بعقوبة الإعدام قط في مرافعاته الختامية أمام المحلفين، ووجدت أيضًا أنه يدعو إلى إلغاء عقوبة الإعدام وأنه أسهم بسخاء في المؤسسات البحثية العاملة في مجال الفسيولوجيا العصبية الجنائية. من الواضح أنه يؤمن بالعلاج، لا بالعقوبة. أجد أن لهذا دلالة كبيرة».

ابتسم كوين وقال: «حقًّا؟ دلالة، لعلها تكون على خاصية معينة للروبوتات؟».

- «ربما. لماذا ننكر ذلك؟ أفعال مثل هذه لا تأتي إلا من روبوت أو إنسان شريف ومحترم للغاية. لكن كما ترى، لا يمكننا التمييز بين روبوت وأفضل البشر».

عاد كوين للوراء في كرسيه، ارتجف صوته وهو يقول بلهفة: «دكتور لانينج، من الممكن صنع روبوت بخصائص بشرية، يمكنه تمامًا أن يكون نسخة طبق الأصل للإنسان في المظهر الخارجي، أليس كذلك؟».

استهجن لانينج وفكر قليلًا قبل أن يقول على مضض: «فعلتها يو إس روبوتس تجريبيًّا.. بدون إضافة عقل بوزيتروني بالطبع. باستخدام البويضات البشرية والتحكم الهرموني يمكن للمرء أن ينتج اللحم البشري والجلد على هيكل عظمي من لدائن السيليكون المسامية التي لن ينكشف أمرها في الفحص الخارجي. ستكون العينان والشعر والجلد بشرية بالفعل. وإذا وضعت عقلًا بوزيترونيًّا والأدوات الداخلية الأخرى حسب رغبتك فسيكون لديك روبوت بخصائص بشرية».

قال كوين باقتضاب: «كم من الوقت يستغرق صنعه؟».

فكر لانينج ثم قال: «إذا كان لديك كل ما تحتاج إليه: العقل والهيكل العظمي والبويضة والهرمونات والإشعاعات الملائمة- فحوالي شهرين».

هبَّ السياسي واقفًا من كرسيه وقال: «إذن سنرى كيف يبدو ما بداخل السيد بيرلي. سيعني ذلك دعاية ليو إس روبوتس.. لكني منحتك فرصتك».

التفت لانينج بنفاد صبر للدكتورة سوزان عندما أصبحا بمفردهما، فقال: «لماذا تصرين؟».

وبمشاعر حقيقية ردت سوزان بحدة، وعلى الفور: «ماذا تريد: الحقيقة أم استقالتي؟ لن أكذب من أجلك. يمكن ليو إس روبوتس أن تعتني بنفسها. لا تكن جبانًا».

أجاب لانينج: «وماذا لو فتح بيرلي وسقطت العجلات والتروس من داخله؟ ماذا سيحدث حينها؟».

قالت الدكتورة سوزان بازدراء: «لن يفتحه. بيرلي ذكي للغاية.. في مثل ذكاء كوين على أقل تقدير».

ذاعت الأخبار في المدينة قبل أسبوع من ترشيح بيرلي. لكن «ذاعت» ليست هي الكلمة الصحيحة. بل انتشرت في المدينة تدريجيًا وزحفت إليها. بدأ الضحك وانطلقت السخرية. وبقدر ما كانت يد كوين تشدد من ضغوطها في مراحل سهلة زاد الضحك. دخل عنصر من عدم اليقين الأجوف وبدأ الناس يعربون عن دهشتهم.

ساد مركز المؤتمرات نفسه جو كأن هناك جوادًا هائجًا . لم تكن هناك مسابقة مزمعة. لم يكن هناك، قبل أسبوع، من يمكن ترشيحه سوى بيرلي. ولا يوجد بديل حتى الآن عليهم ترشيحه، لكنَّ هناك ارتباكًا كاملًا بشأنه.

لم يكن الأمر ليصبح سيئًا لو لم يكن الفرد العادي مشتتًا بين ضخامة التهمة لو صحت وحماقتها لو لم تصح.

بعد يوم من ترشيح بيرلي بعجلة.. نشرت إحدى الصحف ملخصًا عن مقابلة طويلة مع الدكتورة سوزان «الخبيرة المشهورة عالميًا في علم نفس الروبوتات وعلم البوزيترونات».

ما أدى إليه هذا المقال يوصف شعبيًا، وبإيجاز - بالجحيم.

كان هذا ما ينتظره المتعصبون. لم يكن هؤلاء حزبًا سياسيًا. لا يعلنون اعتناقهم دينًا رسميًا. كانوا في الأساس أولئك الذين لم يستطيعوا التكيف مع ما كان يسمى في السابق عصر الذرة أيام أن كانت الذرة علمًا حديثًا.

لم يكن المتعصبون بحاجة إلى سبب جديد لبُغض الروبوتات ومصنعيها،

لكنَّ سببًا جديدًا كاتهام كوين وتحليل الدكتورة سوزان يكفي لجعل هذا البغض مسموعًا.

تحولت مصانع يو إس روبوتس الضخمة لخلية نحل مليئة بالحراس المسلحين. لقد استعدت للحرب.

داخل المدينة كان منزل ستيفن بيرلي محاطًا بالشرطة.

لم تتطرق الحملة السياسية بطبيعة الحال لأي قضية أخرى، وكأنها كانت فقط حملة لسد الفراغ بين إعلان الترشيح والانتخابات.

لم يسمح ستيفن بيرلي للرجل النحيل بأن يشتت انتباهه. ظل مرتاحًا لا يقلقه الضباط في خلفية المشهد. خارج المنزل مرورًا بصف حراس متجهمين انتظر الصحفيون والمصورون وفقًا للتقاليد المتبعة. وضعت إحدى المحطات شاشة مسح تركز على المدخل الفارغ لمنزل المدعي العام المتواضع في حين شغلها المذيع المتحمس بتعليق بأسلوب متكلف.

تقدم الرجل النحيل سريع الانفعال، وكان يحمل ورقة مضغوطة ومعقدة: «هذا يا سيد بيرلي أمر محكمة يسمح لي بتفتيش المكان بحثًا عن ممنوعات؛ رجال آليين أو روبوتات من أي وصف».

قام بيرلي وأخذ الورقة. نظر إليها بلا مبالاة وابتسم وهو يعيدها إليه قائلًا: «كل شيء على ما يرام. هيا قم بعملك. يا سيدة هوبين..». والتفت إلى مدبرة منزله التي ظهرت على مضض من الغرفة المجاورة: «من فضلك اذهبي معهم وساعديهم إن كان ذلك بإمكانك».

تردد الرجل النحيل الذي كان اسمه هاروواي واحمر وجهه في خجل لا لبس فيه. عجز تمامًا عن النظر في عيني بيرلي وتمتم موجهًا حديثه لاثنين من رجال الشرطة: «هيا».

عاد في غضون عشر دقائق.

«انتهيتم؟». سأل بيرلي بلهجة من لا يهتم كثيرًا بالسؤال ولا بإجابته.

تنحنح هارواي وأخفق في الحديث بصوت مرتفع مصطنع قبل أن يحاول مرة أخرى ويقول غاضبًا: «انظر هنا يا سيد بيرلي، لدينا تعليمات خاصة بأن نفتش المنزل شبرًا شبرًا».

- «ألم تفعل ذلك؟».
- «قيل لنا بالضبط ما نبحث عنه».
- «ثم؟».
- «باختصار يا سيد بيرلي ودون مراوغة، لقد صدر لنا أمر بتفتيشك أنت».
- «أنا؟». قالها المدعي العام بابتسامة عريضة: «وهل تنوي القيام بذلك؟».
- «لدينا جهاز أشعة بينيت..».
- «ستلتقط لي صورة بالأشعة السينية إذن؟ هل لديك تصريح؟».
- «رأيت أمر التفتيش».
- «هل يمكن أن أراه مرة أخرى؟».

أعطاه له هارواي مرة ثانية بينما كانت جبهته تلمع بأكثر من مجرد حماس.

قال بيرلي بهدوء: «قرأت هنا وصفًا لما يجب أن تبحث عنه، أنا أقتبس منه: (المنزل الخاص بستيفن ألن بيرلي الكائن في رقم 355 ويلو جروف إيفانسترون، إلى جانب أي مرآب أو مخزن أو غيرهما من الهياكل أو المباني التابعة له) إلى آخره... مم... صحيح تمامًا. لكن يا سيدي الفاضل، إنه لا يقول شيئًا عن تفتيشي الذاتي. أنا لست جزءًا من المباني. يمكنك تفتيش ملابسي إذا كنت تعتقد أنني أخفي روبوتًا في جيبي».

لم يكن هارواي لديه شك فيمن يدين بمنصبه إليه. لم يكن يفكر في التراجع، وقد سنحت له فرصة أفضل؛ أي وظيفة أعلى أجرًا.

قال بصوت خفيض يشوبه التهديد والوعيد: «انظر هنا، مسموح لي بأن أفتش الأثاث في منزلك وأي شيء آخر أجده بالداخل .. وأنت في الداخل، أليس كذلك؟».

- «ملاحظة رائعة. *أنا* بداخل المنزل، لكنني لست قطعة أثاث. أنا مواطن بالغ رشيد.. لديَّ شهادة نفسية تثبت ذلك .. ولي حقوق مؤكدة بموجب القوانين الإقليمية. سيكون التفتيش انتهاكًا لحقي في الخصوصية. هذه الورقة ليست كافية».

- «بالتأكيد، لكن إذا كنت روبوتًا فليس لك الحق في الخصوصية».

- «صحيح.. لكن هذه الورقة لا تزال غير كافية. هي تعترف بي ضمنيًا كإنسان».

انتزعها منه هاروواي قائلًا: «أين؟».

- «حيث تقول (المنزل الذي يخص) وهلم جرًّا. لا يمكن لروبوت أن يمتلك منزلًا. ويمكنك أن تقول لرئيسك في العمل يا سيد هاروواي إنه إذا حاول إصدار تصريح مماثل لا يعترف ضمنيًا بأني إنسان فسيواجه على الفور إنذارًا قضائيًا يمنعه، ودعوى مدنية ستحتم عليه أن يقدم معلومات بحوزته الآن تثبت أني روبوت، وإلا فسيدفع غرامة هائلة لمحاولة تجريدي دون مبرر من حقوقي بموجب القوانين الإقليمية. ستقول له ذلك، أليس كذلك؟».

سار هاروواي إلى الباب. ثم عاد: «أنت محام بارع». كانت يده في جيبه. وتوقف مكانه للحظة ثم غادر وهو يبتسم في اتجاه شاشة المسح المثبتة على مدخل المنزل التي كانت لا تزال تنقل ما يحدث، ولوَّح للصحفيين قائلًا: «سيكون لدينا شيء لكم في الغد يا أولاد.. لا مزاح في ذلك».

دلف إلى سيارته وأخرج جهازًا صغيرًا من جيبه يتفحصه بعناية.

كانت هذه المرة الأولى التي يلتقط فيها صورة بالأشعة السينية. وكان يأمل أن يكون قد فعل ذلك بشكل صحيح.

لم يكن كوين قد التقى بيرلي قطُّ وجهًا لوجه، لكن الهاتف المرئي جعل الأمر يحدث.. في الواقع ربما كانت هذه العبارة دقيقة حتى لو لم يمثل كل منهما للآخر إلا كتلة من الخلايا الضوئية.

كان كوين هو المتصل. وكان كوين هو الذي تحدث أولًا وبدون مراسم خاصة: «ظننت أنك ربما تود أن تعرف يا بيرلي أني أعتزم أن أعلن حقيقة أنك ترتدي درعًا واقية من أشعة بينيت».

- «حقًّا؟ في هذه الحالة ربما تكون قد أعلنت ذلك بالفعل. أعتقد أن ممثلي الصحافة يتنصتون على خطوط الاتصالات الخاصة بي منذ فترة طويلة. أنا أعلم أن خطوط مكتبي مُخترقة؛ ولذلك لازمتُ بيتي في الأسابيع الأخيرة». كان بيرلي يتحدث بود، كما لو كان «يدردش» مع صديق.

زمَّ كوين شفتيه قليلًا: «هذه المكالمة آمنة.. تمامًا. قيامي بها ينطوي على مخاطر شخصية».

- «هذا ما أتصوره. لا أحد يعرف أنك وراء هذه الحملة. على الأقل لا أحد يعرف ذلك رسميًا. الكل يعرفون ذلك بشكل غير رسمي. لن أشعر بالقلق. أرتدي درعًا واقية إذن؟ أظن أنك اكتشفت ذلك عندما فسدت الصورة التي التقطها لي كلبك بأشعة بينيت ذلك اليوم بسبب سطوع الضوء».

- «أنت تدرك يا بيرلي أنه سيكون من الواضح تمامًا للجميع أنك لا تجرؤ على مواجهة تحليل الأشعة السينية».

- «سيكون واضحًا أيضًا أنك أو رجالك حاولتم بشكل غير قانوني انتهاك حقوقي في الخصوصية».

- «لن يهتم أحد بذلك».

- «ربما يفعلون. هذا يمثل حملة كل منا، أليس كذلك؟ إنك لا تبالي بحقوق الأفراد، لكنني أراعي ذلك كثيرًا. لن أخضع لتحليل الأشعة السينية؛ لأنني أتمنى أن أحافظ على حقوقي من حيث المبدأ. بالضبط كما سأحافظ على حقوق الآخرين عند انتخابي».

«ستكون هذه ولا شك خطبة مثيرة للاهتمام جدًّا، لكن لن يصدقك أحد. كلام أجوف لا يعبر عن حقيقة. وهناك شيء آخر»، وتغيرت نبرته فجأة: «لم يكن كل أفراد منزلك هناك في تلك الليلة».

- «كيف؟».

- «وفقًا للتقرير». أخذ يخلط أوراقًا أمامه، استطاع بيرلي أن يراها من خلال شاشة عرض الهاتف: «هناك شخص لم يكن موجودًا.. رجل قعيد».

- «كما تقول» قال بيرلي بطريقة رتيبة: «قعيد. أستاذي العجوز الذي يقيم معي وهو الآن في الريف.. إنه هناك منذ شهرين. (راحة تشتد الحاجة إليها) هو التعبير المعتاد في مثل هذه الحالة. هل يحتاج إلى تصريح منك؟».

- «أستاذك؟ عالم في مجال ما؟».

- «كان محاميًا ذات يوم قبل أن يصاب بالعجز.. لديه ترخيص من الحكومة كباحث في الفيزياء الحيوية، ولديه مختبر خاص به، ولدى السلطات المختصة وصف كامل للعمل الذي يقوم به، ويمكنني أن أدلك على هذه السلطات. عمل بسيط لكنه هواية غير مؤذية لشغل وقت الفراغ بالنسبة لقعيد لا حيلة له. أحاول أن أساعده بقدر ما أستطيع.. فهمت؟».

- «أفهم، وماذا يعرف هذا الأستاذ عن صناعة الروبوت؟».

- «لا يمكنني أن أحكم على مدى معرفته بمجال لا علم لي به».

- «ألا يستطيع التوصل إلى عقول بوزيترونية؟».

- «اسأل أصدقاءك في يو إس روبوتس. هم أقدر على أن يعرفوا».

- «لنختصر الكلام يا بيرلي. أستاذك القعيد هو ستيفن بيرلي الحقيقي. أنت روبوت من صنعه. يمكننا إثبات ذلك. هو الذي تعرض لحادث سيارة، لا أنت. ستكون هناك وسائل للتحقق من السجلات».

«حقًا؟ افعل ذلك إذن. مع أطيب تمنياتي».

«ويمكننا تفتيش ذاك المنزل الريفي الخاص بمعلمك ونرى ما يمكن أن نجده هناك».

«حسنًا، ليس تمامًا كوين».

ابتسم بيرلي ابتسامة عريضة: «لسوء حظك، إن هذا الذي تسميه معلمي رجل مريض، بيته الريفي هو مكان راحته. وبطبيعة الحال، يتضاعف حقه في الخصوصية كمواطن بالغ رشيد في ظل هذه الظروف. لن تستطيع الحصول على إذن بالدخول إلى أرضه دون مبرر وجيه. لكنني سأكون آخر من يمنعك من المحاولة».

صمت الاثنان برهة ثم انحنى كوين إلى الأمام، بحيث تضخمت صورة وجهه

وبدت الخطوط الرفيعة على جبهته واضحة: «بيرلي، لماذا تستمر في ذلك؟ إنك لا يمكنك الفوز في الانتخابات».

- «لا يمكنني؟!».

- «هل تعتقد أن هذا بإمكانك؟ هل تظن أن عدم قيامك بأي محاولة لإثبات بطلان اتهامك بأنك روبوت - في حين كان يمكنك ذلك ببساطة بمخالفة أي من القوانين الثلاثة له - يفيد في أي شيء سوى إقناع الناس بأنك روبوت؟».

- «كل ما أراه حتى الآن هو أنني بعد أن كنت محاميًا غير معروف على نطاق واسع أصبحت شخصية عالمية. أنت وكيل دعاية جيد».

- «لكنك روبوت».

- «هذا ما قيل، لكن دون إثبات».

- «لقد أثبت ذلك بما فيه الكفاية للناخبين».

- «هوِّن عليك إذن، فقد فزت».

- «إلى اللقاء». قالها كويـن، وقد بـدت عليه بوادر الغضـب الضاري وأغلق الهاتف المرئي بعنف.

- «إلى اللقاء». قالها بيرلي بهدوء لشاشة الهاتف المظلمة.

أعاد بيرلي «معلمه» في الأسبوع الذي سبق الانتخابات. هبطت السيارة الطائرة بسرعة في مكان ناءٍ بالمدينة.

قال له بيرلي: «ستظل هنا حتى انتهاء الانتخابات. من الأفضل أن تكون بعيدًا إذا سارت الأمور في الاتجاه الخطأ».

بدا الألم على جون وصوته الأجش يخرج من فمه الملتوي، يحمل نبرة قلق: «هل هناك احتمال أن تتعرض للعنف؟».

- «يهدد المتعصبون بذلك؛ لذا أفترض أنه احتمال قائم نظريًا. لكنني أنا لا أتوقع ذلك في الواقع. المتعصبون ليس لهم قوة حقيقية. إنهم مجرد عنصر إزعاج مستمر قد يثيرون أعمال شغب بعد حين. هل تمانع في البقاء هنا؟ من فضلك. لن أكون في حالتي الطبيعية لو انتابني الشعور بالقلق عليك».

- «حسنًا سأبقى. هل لا تزال تعتقد أن الأمور ستسير على ما يرام؟».
- «أنا على يقين من ذلك. هل أزعجك أحد في المكان؟».
- «لا أحد. أنا متأكد».
- «وهل مر الجزء الخاص بك بشكل جيد؟».
- «جيد بما فيه الكفاية. لن تكون هناك أي مشكلة».
- «اعتنِ بنفسك إذن وشاهد التلفزيون غدًا يا جون». وضغط بيرلي على اليد الجعدة التي استراحت في يده.

ارتسم على جبين لينتون ذهول مجعد في تشويق. لديه مهمة لا يحسد عليها أبدًا وهي إدارة حملة بيرلي التي لم تكن حملة أصلًا، فقد رفض بيرلي الكشف عن استراتيجيته كما رفض أن يقبل استراتيجية مدير حملته.

- «لا يمكنك!» كانت عبارته المفضلة. أصبحت عبارته الوحيدة. «أقول لك يا ستيف إنه لا يمكنك ذلك!».

ألقى بنفسه أمام المدعي العام الذي كان يتصفح صفحات نسخة مطبوعة من الكلمة التي سيلقيها.

- «نحِّ هذا جانبًا يا ستيف. انظر، هذا التجمهر نظمه المتعصبون. لن ينصت إليك أحد، بل الأرجح أن يرجموك بالحجارة. لماذا يتعين عليك إلقاء خطاب أمام الجمهور؟ ما المشكلة في التسجيل... التسجيل المرئي؟».

سأل بيرلي بدماثة: «تريدني أن أفوز بالانتخابات، أليس كذلك؟».

- «تفوز بالانتخابات؟! لن تفوز بالانتخابات يا ستيف. أنا أحاول إنقاذ حياتك».
- «حسنًا.. أنا لست في خطر».
- «إنه ليس في خطر .. إنه ليس في خطر». وصدر صوت غريب خشن من حنجرته وهو يضيف: «هل تعني أنك ستظهر من تلك الشرفة أمام خمسين ألفًا من المجانين لمحاولة الحديث معهم بالعقل.. من على الشرفة كدكتاتور من القرون الوسطى؟».

نظر بيرلي في ساعته وقال: «في غضون خمس دقائق.. بمجرد أن تصبح خطوط التلفزيون جاهزة».

أجابه لينتون بهمهمة مبهمة.

ملأت الحشود منطقة مطوقة في المدينة.. بدت الكتلة البشرية كأنها أساس خرساني بشري. وعلى الموجات التلفزيونية تابعت أنحاء العالم الحدث؛ كانت انتخابات محلية بحتة، لكن الجماهير كانت تتابعها في شتى أنحاء العالم. فكر بيرلي في ذلك وابتسم.

لكن لم يكن هناك شيء يدعو للابتسام في الحشد ذاته، كانت هناك لافتات تحمل كل التعليقات الممكنة على روبوتيته المفترضة. تصاعدت الروح العدائية بصورة كبيرة وملموسة في الأجواء.

من البداية لم يكن الخطاب ناجحًا. كانت منافسة مع حشود تطلق صرخات متقطعة وشكلت هتافات المتعصبين الإيقاعية جزرًا من الغوغائية وسط الحشود. تحدث بيرلي ببطء، ودون أن يبدي أي مشاعر..

في الداخل أمسك لينتون شعره وتأوه.. وانتظر الدماء.

كانت الصفوف الأمامية تموج بالبشر، كان هناك مواطن نحيل ذو عينين بارزتين وملابس قصيرة للغاية بالنسبة لطول أطرافه يتقدم في الصدارة. اندفع شرطي خلفه وشق طريقه ببطء وبصعوبة، لكن بيرلي أشار له غاضبًا أن يتوقف.

كان الرجل النحيل قد وصل تحت الشرفة مباشرة. تبددت كلماته في ظل زئير المحيطين به.

انحنى بيرلي إلى الأمام وسأله: «ماذا تقول؟ إذا كان لديك سؤال مشروع، فسوف أجيب عنه». التفت إلى حارس مرافق قائلًا: «أحضر هذا الرجل إلى هنا».

بدأ التوتر يسري بين المحتشدين، وانطلقت صرخات «هدوء» في أنحاء مختلفة

من المكان وزادت إلى حد (الهرج والمرج)، ثم هدأت بشكل متقطع. وقف الرجل النحيف اللاهث محمَرَّ الوجه في مواجهة بيرلي.

سأله بيرلي: «هل تَود أن تسأل عن شيء؟».

حدق الرجل النحيف وقال بصوت أجش: «اضربني!».

وبحيوية مفاجئة أمال وجهه أمام بيرلي قائلًا: «اضربني! أنت تقول إنك لست روبوتًا. أثبت ذلك. لا يمكنك ضرب بشري.. أنت وحش».

ساد صمت تـام. قطعـه صـوت بيرلي وهــو يقول: «لـيـس لـديَّ أي سـبـب لضربك».

كان الرجل النحيف يضحك بوحشية قائلًا: «لا يمكنك أن تضربني. أنت لن تضربني. أنت لست بشريًا. أنت وحش. رجل تخيُّلي».

رفع ستيفن بيرلي الذي التزم الصمت في مواجهة آلاف الحاضرين والملايين الذين يشاهدونه عبر التلفزيون - قبضته وكال للرجل لكمة ساحقة في ذقنه. وتراجع الرجل إلى الوراء في انهيار مفاجئ، ووجهه لا يحمل سوى علامات الدهشة التامة.

قال بيرلي: «أنا آسـف. خذوه في الداخل واتركوه يستريح. أريد أن أتحدث إليه عندما أنتهي».

وعندما أدارت الدكتورة سوزان سيارتها وانطلقت بها كان صحفي واحد فقط قد أفاق من الصدمة وحاول أن يلحق بها، وصاح بسؤال غير مسموع.

صاحت الدكتورة سوزان: «إنه بشري».

كان ذلك كافيًا. أسرع الصحفي الخطى في طريقه.

يمكن وصف بقية الخطاب بأنه «قيل، لكن لم يُسمع».

التقت الدكتورة سوزان بيرلي مرة أخرى.. قبل أسبوع من أدائه يمين تولي منصب رئيس البلدية. كان ذلك في ساعة متأخرة.. بعد منتصف الليل.

قالت الدكتورة سوزان: «لا تبدو متعبًا».

ابتسم رئيس البلدية المنتخب: «قد أسهر لبعض الوقت. لا تخبري كوين».

- «لن أفعل. لكن، بمناسبة كوين، لقد كانت قصته مثيرة للاهتمام. من الخسارة أنك أفسدتها. أظن أنك عرفت نظريته، أليس كذلك؟».

- «أجزاء منها».

«لقد كانت مأساوية للغاية. لقد كان ستيفن بيرلي محاميًا شابًا ومتحدثًا لبقًا ومثاليًا عظيمًا.. لديه ميل للفيزياء الحيوية. هل أنت مهتم بمجال الروبوتات يا سيد بيرلي؟».

- «فقط بالجوانب القانونية».

- «كانت هذه إحدى صفات ستيفن بيرلي. لكن وقعت حادثة؛ ماتت زوجة بيرلي، لكن ما حدث له كان أسوأ. فقد ساقيه ووجهه وصوته. تأثر جزء من مخه. ولم يوافق على أن يخضع لجراحة تجميل. اعتزل العالم، وضاع مستقبله القانوني.. لم يتبق سوى ذكائه ويديه. بطريقة ما استطاع الحصول على عقول بوزيترونية، بل حصل على عقل معقد، لديه أعلى قدرة للروبوتات، وهي إصدار الأحكام في المشكلات الأخلاقية.. وهي أعلى وظيفة روبوتية تم تطويرها حتى الآن.

زرع جسدًا حوله. دربه ليكون كل شيء يسعه أن يصبح عليه، ولم يعد. بعثه إلى العالم كستيفن بيرلي وظل وراء نفسه على أنه المعلم المسن القعيد الذي لم يره أحد».

قال رئيس البلدية المنتخب: «بكل أسف. لقد دمرت كل هذا بضرب رجل. تقول الصحف إنك حكمت رسميًا في هذه الواقعة بأنني إنسان».

«كيف حدث ذلك؟ هل تمانع أن تخبرني؟ لا يمكن أن يكون مصادفةً».

«ليس تمامًا. لقد قام كوين بمعظم العمل. وراح رجالي ينشرون في هدوء حقيقة أنني لم أضرب رجلًا قط وأنني غير قادر على ضرب رجل، وأن عدم قيامي بذلك رغم استفزاز أحدهم سيكون برهانًا مؤكدًا على أنني روبوت؛ لذا رتبت لكلمة عامة سخيفة بجميع أنواع إيحاءات الدعاية، وكان من المؤكد أن يقع بعض الأغبياء في الفخ. كان في جوهره ما أسميه خدعة المخادع؛ خدعة تقوم فيها الأجواء المصطنعة التي نخلقها بكل العمل. بالطبع جعلت الآثار العاطفية انتخابي مؤكدًا كما كنا نرغب».

أومأت أخصائية علم نفس الروبوتات وقالت: «أرى أنك تتدخل في مجال عملي.. أظن أنه يجب على كل سياسي ذلك. لكن أنا آسفة جدًّا إن وصل الأمر لذلك. أنا أحب الروبوتات. أحبهم أكثر من البشر. إذا أمكن صنع روبوت قادر على أن يكون مسئولًا تنفيذيًّا مدنيًّا أعتقد أنه سيكون أفضل ما يمكن. بقوانين الروبوتات سيكون غير قادر على إيذاء البشر، عاجزًا عن الطغيان أو الفساد أو الحمق أو التحامل. وبعد أن يخدم لفترة مناسبة سيترك منصبه رغم أنه خالد؛ لأنه سيكون من المستحيل بالنسبة له أن يؤذي البشر عن طريق السماح لهم بمعرفة أن روبوتًا قد حكمهم، سيكون قمة في المثالية.

إلا أن الروبوت قد يخفق نتيجة أوجه القصور المتأصلة في دماغه؛ الدماغ البوزيتروني لم يعادل قط تعقيدات العقل البشري.

سيكون لديه مستشارون. حتى العقل البشري لا يستطيع الحكم بدون مساعدة».

نظر بيرلي للدكتورة سوزان باهتمام بالغ قائلًا «لماذا تبتسمين يا دكتورة سوزان؟».

- «أبتسمُ؛ لأن السيد كوين لم يفكر في كل شيء».

- «تعنين أنه قد يكون هناك المزيد من هذه القصة».

«بعض الشيء. على مدى الأشهر الثلاثة التي سبقت الانتخابات كان ستيفن بيرلي الذي تحدث عنه سيد كوين- هذا الرجل المكسور- في الريف لسبب غامض. عاد في الوقت المناسب لخطابك الشهير. وبعد كل شيء بإمكان المسن القعيد تكرار ما فعله ذات مرة مجددًا، لا سيما عندما تكون المهمة الثانية بسيطة جدًّا مقارنة مع الأولى».

- «أنا لا أفهم تمامًا».

نهضت الدكتورة سوزان وهندمت فستانها. من الواضح أنها كانت تستعد للرحيل وقالت: «أعني أن هناك حالة يمكن للروبوت فيها أن يضرب بشريًّا دون أن يخالف القانون الأول؛ حالة واحدة فقط».

- «وما هذه الحالة؟».

كانت الدكتورة سوزان قد وصلت إلى الباب.. قالت بهدوء: «عندما يكون الشخص الآخر الذي سيضرب ليس إلّا روبوتًا».

ابتسمت ابتسامة عريضة وأشرق وجهها الرقيق، وأضافت: «إلى اللقاء يا سيد بيرلي. آمل أن أعطيك صوتي بعد خمس سنوات من الآن؛ في انتخابات منصب المنسق».

ضحك ستيفن بيرلي ضحكة مكتومة وقال: «يجب أن أقول إن هذه فكرة مستبعدة إلى حد ما».

أغلق الباب خلفها.

جعلت أحدق إلى وجه سوزان بنوع من الرعب: «هل هذا صحيح؟».

قالت: «بكل تفاصيله».

- «وبيرلي العظيم كان مجرد روبوت».

- «حسنًا.. ما من سبيل لاكتشاف ذلك. أعتقد أنه كان كذلك. لكن عندما قرر أن يموت حوّل نفسه إلى ذرات بحيث لا يكون هناك أي دليل قانوني. إلى جانب.. ما الفارق؟».

- «حسنًا».

- «أنت تتحامل أيضًا على الروبوتات، وهذا غير عقلاني على الإطلاق. لقد كان رئيس بلدية ممتازًا جدًا، وبعد خمس سنوات أصبح بالفعل المنسق الإقليمي. ولما شكلت أقاليم الأرض اتحادها في 2044 أصبح أول منسق عالمي. في ذلك الوقت كانت الآلات هي التي تدير العالم على أي حال».

«نعم، لكن...».

«بدون لكن! الآلات روبوتات وهي تدير العالم. لم أكتشف الحقيقة كاملة حتى خمس سنوات مضت. في عام 2052 كان بيرلي ينهي فترة ولايته الثانية كمنسق مشارك للعالم».

الصــراع المســتحيــل

كان لدى المنسق في مكتبه الخاص تلك التحفة اللافتة للأنظار التي تعود إلى تاريخ العصور الوسطى.. مدفأة. لكن رجل العصور الوسطى ربما لم يكن ليعرف ما هذه؛ إذ لم تكن لها أهمية وظيفية تذكر. كان لسان اللهب يتراقص بهدوء داخل تجويف معزول بالجدار خلف لوح من الكوارتز الشفاف.

يتم إشعال قطع الخشب عن بُعد باستخدام قدر ضئيل من شعاع الطاقة الذي يغذي المباني العمومية في المدينة. وعن طريق زر التحكم في الإشعال نفسه يتم أولًا التخلص من رماد النار السابقة وإدخال خشب جديد. كانت مدفأة منزلية تمامًا.

لكن النار نفسها كانت جقيقية. يسمح التصميم بوصول الصوت بحيث يمكن سماع القرقعة، كما يمكن - بالتأكيد - رؤية النار تتراقص في تيار الهواء الذي يغذيها.

كان التواثب الخفيف للهب ينعكس مصغرًا على الكأس التي بيد المنسق وينعكس بحجم أصغر كثيرًا في حدقتي عينيه البادية عليهما آثار تفكير طويل.

كما انعكس على حدقتي عيني ضيفته الدكتورة سوزان كالفن من شركة يو إس روبوتس بنظرتها المحايدة.

قال المنسق: «دعوتي إياكِ إلى هنا ليست لأسباب اجتماعية تمامًا يا سوزان».

ردت سوزان: «لم أكن أعتقد ذلك يا ستيفن».

- «ومع هذا لا أعرف كيف أعبر عن مشكلتي؛ فهي قد لا تكون شيئًا على الإطلاق لكنها من ناحية أخرى قد تعني نهاية الجنس البشري».

لقد واجهت مشاكل كثيرة تنطوي على الخطر نفسه يا ستيفن. أعتقد أن المشاكل كلها كذلك.

- «حقًّا؟ استمعي إلى هذه إذن.. شركة وورلد ستيل تقول إن إنتاج الصلب يزيد على الحاجة بمقدار عشرين ألف طن. تنفيذ القناة المكسيكية متأخر شهرين عن الجدول. وهناك قصور في إنتاج مناجم الزئبق بمنطقة المادن منذ الربيع الماضي في حين يقوم مصنع الزراعة في الماء في تيانجين بتسريح العمال. هذا ما يتبادر إلى ذهني الآن. هناك أشياء أخرى من هذا القبيل».

- «هل تلك الأمور خطيرة؟ خبرتي الاقتصادية المحدودة لا تسعفني لإدراك عواقب مثل تلك الأمور».

- «ليست خطيرة في حد ذاتها. يمكن إرسال خبراء التعدين إلى المادن[1] إذا ازداد الأمر سوءًا. يمكن الاستعانة بمهندسي الزراعة في الماء في جاوة أو في سيلان إذا كان هناك فائض منهم في تيانجين. 20 ألف طن من الصلب لن تغطي سوى أيام قليلة من الطلب العالمي وتدشين القناة المكسيكية متأخر شهرين عن الموعد المقرر وليس بأمر ذي بال. ما يقلقني هو الآلات، لقد تحدثت بالفعل إلى مدير الأبحاث لديكم في هذا الشأن».

- «تحدثت مع فنسنت سيلفر؟ لم يخبرني بذلك».

- «طلبت منه ألا يخبر أحدًا. من الواضح أنه التزم بذلك».

- «وماذا قال لك؟».

- «دعيني أضع الأمر في نصابه. أريد أن أتحدث أولًا عن الآلات، وأريد أن أتحدث عنها معك؛ لأنك الشخص الوحيد في العالم الذي يفهم الروبوتات بما يكفي لمساعدتي الآن.. هلا سمحتِ لي ببعض الحديث الفلسفي؟».

- يمكنك أن تتحدث كما تشاء وعما تشاء هذه الليلة يا ستيفن، ما دمت ستخبرني أولًا ما الذي تود إثباته».

- «إن مثل تلك الاختلالات الصغيرة في منظومتنا المثالية للعرض والطلب - كما ذكرت - ربما تكون الخطوة الأولى صوب الحرب النهائية».

همهمت سوزان قائلة: «أكمل».

(1) المادن: مركز أبحاث عالمي يقع في سان خوسيه، كاليفورنيا، يجري علماؤه أبحاثًا تطبيقية في علوم الكمبيوتر، أنظمة التخزين، الفيزياء والتكنولوجيا.

لم تسمح سوزان لنفسها بالاسترخاء رغم أن المقعد الذي تجلس عليه كان مصممًا لتحقيق أقصى راحة. وجهها الهادئ وشفتاها الرفيعتان وصوتها الرتيب المحايد ازدادت بروزًا بمرور السنين. ورغم أن ستيفن بيرلي كان رجلًا يمكنها أن تعجب به وأن تثق به، فإنها كانت قد شارفت على السبعين، والطباع التي غرست على مدى عمر كامل يصعب اقتلاعها.

قال المنسق: «اتسمت كل فترة من فترات التطور البشري بنوع خاص من الصراع البشري.. بمشكلاتها الخاصة التي لا يمكن، فيما يبدو، حلها إلا بالقوة، لكن القوة لم تنجح قط في كل مرة في حل المشكلة، وهو ما يبعث على خيبة الأمل بالفعل. بل تفاقمت المشكلات عبر سلسلة من الصراعات قبل أن تختفي من تلقاء نفسها – ما التعبير المستخدم؟ – نعم دون «جلبة» مع تغير البيئة الاقتصادية والاجتماعية، ثم تظهر مشكلة جديدة وسلسلة حروب جديدة – في دورة بلا نهاية على ما يبدو.

فكري بعصور حديثة نسبيًا. كانت هناك حروب الأسر الحاكمة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر عندما كان أهم سؤال في أوربا: هل يحكم القارة آل هابسبرج أم آل فالوا-بوروبون؟ كان ذلك أحد تلك «الصراعات الحتمية»؛ إذ من الواضح أنه لم يكن من الممكن تقسيم أوربا بين الاثنين.

إلا أن هذا هو ما حدث، ولم تستطع أي حرب محو أحدهما وتوطيد أركان حكم الآخر إلى أن أسفر بزوغ مناخ اجتماعي جديد في فرنسا في 1789 عن سقوط آل بوروبون أولًا ثم آل هابسبرج أيضًا في نهاية المطاف، ليقذف بهما إلى مزبلة التاريخ.

وفي تلك القرون ذاتها وقعت الحروب الدينية الأشد بربرية والتي دارت حول السؤال المهم: هل تصبح أوربا كاثوليكية أم بروتستانتية؟ لم يكن من الممكن أن تصبح نصفًا هكذا ونصفًا هكذا. كان (حتميًا) أن يحسم الأمر بالسيف. غير أن ذلك لم يحدث. ففي إنجلترا كانت ثورة صناعية جديدة تنمو، بينما ظهرت في القارة روح قومية جديدة؛ ما زالت أوربا نصفين حتى اليوم ولا أحد يبالي.

في القرنين التاسع عشر والعشرين حدثت دورة من الحروب الوطنية-الاستعمارية عندما كان أهم سؤال في العالم: أي أجزاء من أوربا ينبغي أن يسيطر على الموارد الاقتصادية والقدرة الاستهلاكية لأي من الأجزاء غير الأوربية؟ كان من الواضح

أنه لا يمكن أن تكون كل المناطق غير الأوربية موزعة بين الإنجليز والفرنسيين والألمان وغيرهم. هذا إلى أن انتشر الفكر القومي بالقدر الكافي، فاستطاعت المناطق غير الأوربية أن تنهي كل ما لم تستطع الحروب إنهاءه، وقررت أنها تستطيع ببساطة ألا تكون أوربية بالكامل.

لدينا إذن نمط متكرر ...».

قالت سوزان كالفن: «نعم، ستيفن أنت توضح الأمر بجلاء. هذه الملاحظات ليست شديدة العمق».

– «بلى. لكنها ذلك الشيء الواضح الذي تتعذر رؤيته معظم الوقت. يقول الناس «الأمر واضح وضوح الأنف في الوجه، لكن ما قدر ما تستطيعين رؤيته من أنفك ما لم يضع أحدهم مرآة أمامك؟ في القرن العشرين يا سوزان بدأنا دورة جديدة من الحرب.. ماذا نسميها؟ حروبًا أيديولوجية؟ لقد اتجهت العواطف الدينية إلى نظم اقتصادية بدلًا من نظم غيبية؟ مرة أخرى كانت الحروب (حتمية) وهذه المرة كانت هناك أسلحة ذرية، بحيث لم يعد بمقدور البشر تجرع عذاباتها لحين التلاشي المؤكد لحتمية الحرب.. ثم جاء الروبوت البوزيتروني.

وقد جاء في الوقت المناسب ومعه جنبًا إلى جنب السفر بين الكواكب. وهكذا لم يعد من المهم إن كان العالم هو عالم آدم سميث أم كارل ماركس. إن كليهما لم يعد منطقيًا في ظل الظروف الجديدة. وتعين على كل منهما أن يتأقلم، وقد انتهى بهما المطاف إلى النتيجة ذاتها تقريبًا».

– «يد الآلة تدخلت إذن». قالت الدكتورة كالفن بنبرة بدت جافة.

ابتسم المنسق بلطف: «لم أسمعك تتلاعبين بالكلمات من قبل يا سوزان، لكنك على صواب. غير أنه كان هناك مشكلة أخرى. فانتهاء كل المشاكل تمخض عن مشكلة جديدة. اقتصادنا العالمي المعتمد على الروبوت قد تكون له مشاكله الخاصة ولهذا السبب لدينا الآلات. اقتصاد الأرض مستقر و*سيظل* مستقرًا؛ لأنه يقوم على قرارات آلات حاسبة تضع مصلحة الإنسانية فوق كل اعتبار عن طريق القوة القاهرة للقانون الأول للروبوت».

واصل ستيفن بيرلي كلامه: «ورغم أن الآلات لا تمثّل سوى أكبر تجميع للدوائر الحاسبة تم اختراعه على الإطلاق؛ فإنها تظل روبوتات خاضعة لمفهوم القانون الأول، وبهذا يتماشى اقتصادنا العالمي مع صالح الإنسانية. يدرك سكان الأرض أنه لن تكون هناك بطالة أو إنتاج زائد على الحاجة أو عجز. الهدر والجوع كلمتان من كتب التاريخ. وبهذا تتلاشى مسألة ملكية وسائل الإنتاج. أيًا كان من يملكها (هذا إن كانت عبارة كهذه تحوي أي معنى) سواء كان رجلًا أو جماعة أو دولة أو البشرية جمعاء، فإنها لن تستخدم إلا على النحو الذي تمليه الآلات، لا لأن البشر أجبروا على هذا، بل لأنه المسار الأمثل، والبشر يدركون ذلك.

وبهذا يسدل الستار على الحروب.. لا دورة الحروب الأخيرة فحسب، بل الدورة التالية وكل الحروب. إلا إذا....».

ران صمت طويل قبل أن تستحثه الدكتورة كالفن مكررة كلمته الأخيرة: «إلا إذا...».

تراقصت ألسنة اللهب وتمددت بطول قطعة الخشب ثم علت محدثة صوتًا.

- «إلا إذا...». قال المنسق: «لم تؤد الآلات وظيفتها».

- «فهمت. وهنا مكمن تلك الأخطاء التي ذكرتها - الصلب والزراعة في الماء وما إلى ذلك».

- «بالضبط. تلك الأخطاء لا يجوز أن تقع. الدكتور سيلفر يقول لي إنها لا يمكن أن تقع».

- «هل ينكر الحقائق؟ عجبا!».

- «لا. هو يقر بالحقائق بالطبع. أنا لا أوفّيه حقه. والذي ينفيه هو أن يكون أي خطأ في الآلة هو المسئول عما يسمى - بنص كلامه - أخطاء في الإجابات. هو يزعم أن الآلات تصحح نفسها وأن وجود خطأ في دوائر التبديل ينتهك القوانين الأساسية للطبيعة، فقلت له...

فقلت له: مر رجالك بفحصها والتأكد على أي حال».

- «أنت تقرئين أفكاري يا سوزان. هذا هو ما قلته وقال هو إنه لا يستطيع».

- «أهوَ مشغول جدًّا؟».

- «لا، فقد قال إنه ما من بشر يستطيع. وكان صريحًا، فقال لي - وآمل أن أكون قد

فهمته بشكل صحيح - إن الآلات هي محصلة استقراء ضخم. بمعنى أن فريقًا من علماء الرياضيات يعمل عدة سنوات لإتمام العمليات الحسابية الخاصة بعقل بوزيتروني مجهز لإجراء عمليات حسابية مماثلة. وباستخدام هذا العقل يجرون حسابات جديدة لتخليق عقل أكثر تعقيدًا، يستخدمونه بدوره لعمل آخر أكثر تعقيدًا، وهكذا. ووفقًا لسيلفر؛ فإن ما نطلق عليه الآلات هو نتاج عشر خطوات من هذا النوع».

- «نعم يبدو هذا مألوفًا. لحسن الحظ أنني لست عالمة رياضيات. مسكين فنسنت. لا يزال يافعًا. المديران المتقدِّمان عليه ألفريد لانينج وبيتر بوجرت توفيا ولم يواجها مشاكل مماثلة. ولا أنا. ربما يتعين على علماء الروبوتات أن يموتوا جميعًا الآن بما أننا لم نعد نستطيع أن نفهم ما صنعته أيدينا».

- «من الواضح أن الأمر ليس كذلك، فالآلات ليست عقولًا فائقة بالمعنى الذي قد تتداوله ملاحق صحف الأحد.. وإن كانت هكذا تصورها ملاحق صحف الأحد. كل ما في الأمر أنه حدثَ مع قيامها بوظيفتها من جمع وتحليل عدد لا نهائي تقريبًا من البيانات والعلاقات في فترة زمنية متناهية الصغر أن تطورت بما يتخطى إمكانية السيطرة الإنسانية التفصيلية.

ثم حاولت شيئًا مختلفًا. في الواقع سألت الآلة. بشكل سري تمامًا .. غذيناها بالبيانات الأصلية لإنتاج الصلب وبإجابتها السابقة وبالتطورات الفعلية منذ ذلك الحين - أي بزيادة الإنتاج على الطلب - وطلبت تفسير التضارب».

- «حسنًا، وماذا كانت الإجابة؟».

- «يمكنني أن أنقلها لك حرفيًا: «المسألة لا تسمح بأي تفسير».

- «وكيف فسر فنسنت ذلك؟».

- «بطريقتين. إما أننا لم نعط الآلة بيانات كافية للحصول على جواب نهائي.. وهو أمر مستبعد. وهو ما أقر به الدكتور سيلفر. وإما أنه يستحيل على الآلة أن تقر بإمكانية أن تعطي أي إجابة على بيانات يفهم منها أنها يمكن أن تلحق الضرر بإنسان. هذا بالطبع هو مفهوم القانون الأول. ثم نصح الدكتور سيلفر بأن أقابلك».

بدت سوزان مجهدة جدًّا: «لقد كبرت سني يا ستيفن. عندما مات بيتر بوجرت أرادوا تعييني مديرة للأبحاث، لكنني رفضت. لم أكن صغيرة وقتها، وقد زهدت في

المسئولية. أوكلوا المنصب إلى حديث السن سيلفر، وهو ما أراحني. لكن ما الفائدة إذا جررت إلى مشاكل كهذه؟

ستيفن، اسمح لي أن أوضح موقفي. إن أبحاثي تتعلق بالفعل بتفسير سلوك الروبوت في ضوء القوانين الثلاثة. والآن لدينا تلك الآلات الحاسبة المذهلة. إنها روبوتات بوزيترونية، ومن ثم تخضع لقوانين الروبوت. لكنها تفتقر إلى الشخصية؛ بمعنى أن وظائفها محدودة جدًا. هذا ضروري لأنها شديدة التخصص. وبالتالي لا مجال يذكر للتلاعب بالقوانين، وطريقتي الوحيدة لاستكشاف الأمر لا جدوى منها عمليًا. باختصار لا أعتقد أن بوسعي مساعدتك يا ستيفن».

أطلق المنسق ضحكة قصيرة: «ومع هذا اسمحي لي أن أكمل لك. دعيني أقدم لك نظرياتي؛ إذ لعله يسعك أن تقولي لي إن كانت ممكنة في ضوء علم نفس الروبوت».

- «بكل تأكيد. هات ما لديك».

- «حسنًا، بما أن الآلات تقدم إجابات خطأ، وبافتراض أنها لا يمكن أن تخطئ فلا يبقى إلا احتمال واحد. أن ما يقدم لها هو بيانات خطأ. بعبارة أخرى المشكلة بشرية ولا تتعلق بالروبوتات. لذا قمت بجولتي التفتيشية الأخيرة في أنحاء الكوكب».

- «والتي عدت منها للتو إلى نيويورك».

- «نعم. كانت ضرورية كما تعلمين، بما أن هناك أربع آلات يتولى كل منها منطقة من مناطق الكوكب. وجميعها تقدم نتائج غير دقيقة».

- «نعم لكن هذا بديهي يا ستيفن. إذا كانت أي آلة من الآلات على خطأ فإن ذلك سيؤثر تلقائيًا في مخرجات الثلاث الأخرى؛ حيث ستفترض كل منها ضمن البيانات التي تتخذ على أساسها قراراتها صواب الرابعة المخطئة. والافتراض الخطأ سيجعلها تقدم نتائج غير صحيحة».

- «أنت على حق. وهذا هو ما افترضته. والآن لديَّ هنا تسجيلات اللقاءات التي أجريتها مع كل نائب إقليمي للمنسق. هلَّا شاهدتِها معي؟ وقبل أن نبدأ هل تعرفين (جمعية من أجل الإنسانية)؟».

- «نعم. لقد انبثقوا عن المتطرفين الذين كانوا يمنعون يو إس روبوتس من توظيف

أي روبوتات بوزيترونية، بدعوى عدم الإخلال بالمنافسة في سوق العمل وما إلى ذلك. (جمعية من أجل الإنسانية) هي نفسها مناهضة للآلات.. أليست كذلك؟».

- « بلى، بلى ..لكن.. حسنًا، سوف ترين. هل نبدأ؟ سنبدأ بالمنطقة الشرقية».

- «كما ترى».

المنطقة الشرقية

أ- المساحة: 7500000 ميل مربع

ب- عدد السكان: 1700000000

جـ- العاصمة: شنغهاي

لقي الجد الكبير لـ «تشينغ هسو-لين» حتفه في الغزو الياباني لجمهورية الصين القديمة، ولم يكن بجوار أبنائه الأبرار من يشاركهم الحداد على فقده أو حتى من يعرف بفقده. ونجا جد «تشينغ هسو-لين» من ويلات الحرب الأهلية التي وقعت في أواخر الأربعينيات، لكن أحدًا لم يكن بجوار أبنائه الأبرار، ليعلم بالأمر أو يهتم به.

ومع هذا فإن «تشينغ هسو-لين» هو نائب المنسق الإقليمي والرجل المسئول عن الرفاه الاقتصادي لنصف سكان الأرض.

لعل هذا هو ما دار بخلد «تشينغ» عندما اقتصر في تزيين حوائط مكتبه على خريطتين لا أكثر. واحدة قديمة، رسمت باليد لفدان أو فدانين وزينت بالرسوم الجدارية التي عفَّى عليها الزمن للصين القديمة. وعلى تلك الخريطة تدفق جدول صغير متعرجًا بين العلامات التوضيحية المتلاشية إلى جانب الرسوم الدقيقة لأكواخ متواضعة شهد أحدها مولد جد تشينغ.

الخريطة الثانية كانت ضخمة ومرسومة بدقة، وقد كتبت جميع مفاتيحها بحروف سيريلية أنيقة.

لقد شملَ خط الحدود الأحمر المميز للمنطقة الشرقية كل ما كان يومًا الصين والهند

وبورما والهند الصينية وإندونيسيا. وعليها في مكان مقاطعة سيشوان القديمة، كانت علامة خفيفة وصغيرة لا يلحظها أحد وضعها تشينغ عند موقع مزرعة أسلافه.

وقف تشينغ أمام الخريطتين، بينما كان يتحدث مع ستيفن بيرلي بإنجليزية سليمة: «أنت أكثر من يعلم يا سيادة المنسق أن وظيفتي شكلية إلى حد بعيد. إنها تنطوي على قدر من المكانة الاجتماعية وأنا أمثل نقطة اتصال مريحة بالنسبة للإدارة، لكن.. عدا ذلك فالآلة هي كل شيء! تقوم الآلة بكل العمل. ما رأيك مثلا في مصنع الزراعة في الماء في تيانجين؟».

- «هائل!». قال بيرلي.

- «ليس سوى واحد من بين عشرات، وليس أضخمها. في شنغهاي وكلكتا وباتفايا وبانكوك.. إنها صناعة واسعة الانتشار وهي الحل لإطعام المليار وثلاثة أرباع المليار نسمة، سكان الشرق».

قال بيرلي: «ومع هذا لديك مشكلة بطالة في تيانجين. هل هي تخمة إنتاج؟ من غير المعقول أن يكون إنتاج الطعام في آسيا أكبر من اللازم».

ضاقت حواف عيني تشينغ السوداوين وقال: «لا لم يصل الأمر إلى هذه الدرجة بعد. صحيح أنه على مدى الأشهر القليلة الماضية تم إغلاق عدة أوعية سوائل في تيانجين، لكنها ليست مسألة خطيرة. تم تسريح الرجال مؤقتًا فحسب ومن لا يمانعون في العمل بحقول أخرى نقلوا إلى كولومبو في سيلان، حيث يتم تشغيل مصنع جديد».

- «لكن لماذا يتم إغلاق أوعية؟»

ابتسم تشينغ وقال: «أرى أنك لا تعرف الكثير عن الزراعة في الماء. حسنًا هذا لا يبعث على الدهشة. أنت من الشمال، والزراعة في التربة لا تزال مربحة هناك. من الشائع في الشمال التفكير في الزراعة.. في الماء - لو خطرت على بال أحد هناك أصلًا - كطريقة لزراعة اللفت في محلول كيميائي، وهي كذلك بالفعل.. ولكن بشكل بالغ التعقيد.

أولًا أكبر محصول نتعامل معه بلا منازع ونسبته ترتفع باستمرار. هو الخميرة. لدينا أكثر من ألفي سلالة من الخميرة قيد الإنتاج، وهناك سلالات جديدة تضاف شهريًا. كيماويات التغذية الأساسية لمختلف أنواع الخميرة هي النترات والفوسفات

ضمن المواد غير العضوية مع كميات مناسبة من المعادن النزرة الضرورية، نزولًا حتى أجزاء ضئيلة في المليون من البورون والموليبدينوم اللازمين أيضًا. المادة العضوية يتكون معظمها من مخاليط سكرية مستخرجة من التحلل المائي للسيليلوز، لكن يضاف إلى ذلك مغذيات ضرورية.

يتطلب نجاح الزراعة في الماء - كي تستطيع إطعام مليار وسبعمائة مليون نسمة- أن نباشر برنامجًا مكثفًا لإعادة التشجير في أنحاء الشرق. يجب أن تتوافر لدينا مصانع ضخمة لتحويل الخشب للتعامل مع أدغالنا الجنوبية. يجب أن تتوافر لدينا الكهرباء والصلب والمركبات الكيميائية قبل كل شيء».

- «ولماذا المركبات الكيميائية؟».

- «السبب يا سيد بيرلي هو أن لكل من سلالات الخميرة تلك خصائصه المميزة. لقد طورنا كما ذكرت ألفي سلالة. شريحة اللحم التي تظن أنك تناولتها اليوم كانت خميرة. الحلوى المثلجة التي أكلتها، كانت خميرة مجمدة. لقد استخلصنا عصارة خميرة بمذاق الحليب وهيئته وكل قيمته الغذائية.

كما ترى فإن النكهة أكثر من أي شيء آخر هي التي تكسب طعام الخميرة رواجًا شعبيًا، ولأجل النكهة طورنا سلالات مخلقة ومستأنسة لم تعد قادرة على الاكتفاء في نموها على تغذية أساسية من الأملاح والسكر. سلالة تحتاج إلى البيوتين وأخرى تحتاج إلى حمض الفوليك وغيرهما تحتاج إلى 17 نوعًا مختلفًا من الأحماض الأمينية، إضافة إلى كل أنواع فيتامين ب عدا واحدًا.. لكنها سلالة رائجة، ولا نستطيع من الناحية الاقتصادية إلغاءها.».

تململ بيرلي في مقعده قائلًا: «لماذا تخبرني بكل هذا؟».

- «سيدي أنت سألتني لماذا يوجد رجال بلا عمل في تيانجين. لديَّ المزيد لأقوله. لا يقتصر الأمر على ضرورة أن تتوافر لدينا مغذيات الخميرة المختلفة والمتنوعة تلك، لكن يبقى عامل التعقيد المتمثل في تغير الذوق السائد بمرور الوقت واحتمال تطوير سلالات جديدة بمتطلبات جديدة ورواج جديد. كل هذا يجب استشرافه، والآلة تقوم بالمهمة..».

«لكن ليس على النحو الأمثل».

«وليس بشكل قاصر تمامًا في ضوء التعقيدات التي ذكرتها. حسنًا هناك بضعة آلاف من العمال العاطلين بشكل مؤقت في تيانجين. لكن لاحظ أن حجم الهدر في العام المنصرم.. هدر بمعنى وجود خلل في العرض أو في الطلب. لا يتجاوز عشر الواحد بالمائة من إنتاجيتنا الإجمالية. ضَعْ ذلك في الاعتبار ..».

«لكن في الأعوام الأولى للآلة كان الرقم أقرب إلى جزء من الألف من الواحد بالمائة».

«نعم لكن على مدى عقد منذ بدأت الآلة عملها المكثف استخدمناها لزيادة إنتاجنا من الخميرة إلى عشرين مثل مستويات ما قبل حقبة الآلة. من الطبيعي أن تزداد الاختلالات مع زيادة التعقيدات، لكن..».

«لكن؟».

«كانت هناك تلك الحالة المثيرة للاهتمام والمتعلقة براما فراسايانا».

«ماذا حدث له؟».

«كان فراسايانا مسئولًا عن مصنع لتبخير المحلول الملحي لإنتاج الأيودين الذي يمكن أن تستغني عنه الخميرة، لكن البشر لا يستغنون عنه. لقد تم وضع مصنعه تحت الحراسة».

«حقًا؟ عن طريق أي وكالة؟».

«صدق أو لا تصدق.. الوكالة المنافسة. بوجه عام واحدة من أهم الوظائف التحليلية للآلة، وهي تحديد التوزيع الأكفأ لوحداتنا الإنتاجية. إنه خطأ فادح أن توجد مناطق بلا خدمات كافية بحيث تصبح نسبة تكاليف النقل عالية جدًا قياسًا إلى التكلفة الإجمالية وعلى نحو مماثل من الخطأ أن تكون الخدمات في منطقة ما أكثر من اللازم بحيث يتعين على المصانع أن تعمل دون طاقاتها القصوى وإلا تنافست فيما بينها بشكل يلحق الضرر. في حالة فراسايانا أنشئ مصنع آخر في المدينة نفسها وبنظام استخلاص أعلى كفاءة».

«والآلة سمحت به؟».

«نعم بالتأكيد. هذا لا يبعث على الدهشة. النظام الجديد يزداد انتشارًا. المفاجأة هي أن الآلة فشلت في أن تخطر فراسايانا مسبقًا بأن يجدد مصنعه

أو يدمجه مع المصنع الآخر. لكنها ليست مشكلة. قبل فراسايانا بوظيفة مهندس في المصنع الجديد، ولو أن مسئوليته وراتبه الآن أقل إلا أنه لا يعاني في حقيقة الأمر. عثر العمال على وظائف بسهولة. وتم تحويل المصنع القديم إلى شيء آخر. شيء مفيد. تركنا الأمر برمته للآلة».

«وعدا هذا لا شكوى لديك؟».

«لا شيء البتة!».

المنطقة المدارية:

أ- المساحة: 22000000 ميل مربع

ب- عدد السكان: 500000000

جـ- العاصمة: كابيتال سيتي

كانت الخريطة التي في مكتب لينكولن نجوما مختلفة كل الاختلاف عن تلك التي في مكتب تشينغ في شنغهاي والتي كانت نموذجًا للدقة والأناقة. كانت حدود منطقة نجوما المدارية مرسومة بخط بني غامق وسميك، وقد احتوت مساحة ضخمة كتب عليها «أدغال» و «صحراء» و «هنا توجد أفيال ومختلف أنواع الوحوش الغريبة».

كان لديها الكثير لتحتويه، فمن حيث مساحة اليابسة تغطي المنطقة المدارية معظم أراضي قارتين: كل أمريكا الجنوبية شمالي الأرجنتين، وكل إفريقيا جنوبي جبال أطلس. كما تضم أمريكا الشمالية جنوبي نهر ريو جراندي، بل والجزيرة العربية وإيران في آسيا. كانت نقيض المنطقة الشرقية. ففي حين اكتظت مستعمرات الشرق كخلية نحل بنصف سكان العالم على مساحة 15 بالمائة من اليابسة انساح في المنطقة المدارية 15 بالمائة من البشر على ما يقرب من نصف مساحة اليابسة في العالم.

لكن المنطقة كانت تنمو. كانت المنطقة الوحيدة التي يفوق نموها السكاني عن طريق الهجرة نموها السكاني عن طريق المواليد. وقد كانت لديها وظيفة لكل وافد. بالنسبة لـ «نجوما» بدا ستيفن بيرلي مثل أحد هؤلاء المهاجرين باحثًا شاحبًا عن

العمل الإبداعي لتحويل البيئة القاسية إلى الرخاوة الضرورية لعيش الإنسان، وقد شعر بالازدراء التلقائي الذي يكنه الرجل القوي المولود في المناطق المدارية القاسية للبائسين أبناء المناطق الباردة.

كانت عاصمة المنطقة المدارية هي الأحدث على وجه الأرض وقد سميت ببساطة «كابيتال سيتي». تمددت العاصمة بزهو فوق المرتفعات الخصبة لنيجيريا وأسفل نافذة مكتب نجوما كانت الحياة والألوان.. الشمس الساطعة وزخات المطر الغزيرة. حتى زقزقة العصافير الملونة كانت مفعمة بالحيوية وكانت النجوم نقاطًا ساطعة في الليل الحالك.

ضحك نجوما. كان رجلًا ضخمًا ذا بشرة سمراء ووجه قوي ووسيم.

«بالتأكيد.». كانت إنجليزيته عامية ويتحدث بملء فمه: «القناة المكسيكية متأخرة عن موعدها. ما المشكلة؟ سيتم الانتهاء منها على أي حال أيها العجوز».

«كانت تمضي على ما يرام حتى نصف السنة الأخير».

نظر نجوما إلى بيرلي وببطء قضم طرف سيجار ضخم وبصق أحد الطرفين مشعلًا الآخر: «هل هذا تحقيق رسمي يا بيرلي؟ ما الذي يحدث؟».

- «لا شيء. لا شيء على الإطلاق. إنها فقط وظيفتي كمنسق أن أكون فضوليًّا».

- «حسنًا إذا كان كل ما في الأمر هو أنك تدفع السأم عن نفسك فحقيقة الأمر هي أننا نعاني دائمًا من نقص في الأيدي العاملة. أشياء كثيرة تحدث في المنطقة المدارية. القناة ليست سوى واحدة منها..».

- «لكن ألا تتكهن آلاتك بحجم العمالة المتوافر للقناة مع أخذ كل المشاريع المنافسة في الحسبان؟».

وضع نجوما يده خلف رقبته ونفث حلقات من الدخان باتجاه السقف: «لقد أخطأت الآلة قليلًا».

- «هل يحدث هذا عادة؟».

- «ليس بالمعدل الذي قد تظنه. نحن لا نتوقع الكثير منها بيرلي. نغذيها بالبيانات. ونأخذ نتائجها. ونفعل ما تقول.. لكنها مجرد وسيلة للراحة. مجرد أداة لتوفير الجهد. يمكن أن نستغني عنها إذا اضطررنا لذلك. ربما لن نعمل بالجودة نفسها. ربما لن نعمل بالسرعة نفسها. لكننا سنصل إلى ما نريد».

«نملك الثقة هنا يا بيرلي وهذا هو السر. الثقة! لدينا أرض جديدة ظلت تنتظرنا لآلاف السنين، بينما كان بقية العالم يتمزق إربًا في خضم التخبطات الرديئة لعالم ما قبل الحقبة الذرية. لسنا مضطرين إلى تناول الخميرة مثل الشرقيين، ولسنا مضطرين إلى القلق بشأن الرواسب القديمة مثلكم أيها الشماليون».

«قضينا على ذبابة تسي تسي وعلى بعوضة الأنوفيلة والآن يشعر الناس أن بمقدورهم العيش تحت الشمس الحارقة، وأن يستمتعوا بذلك. قلصنا الغابات فأوجدنا التربة؛ أوصلنا المياه إلى الصحاري فأنبتنا حدائق. لدينا النفط والفحم في حقول لم تمس ومعادن لا تحصى».

«تنحوا جانبًا فقط. هذا هو كل ما نطلبه من بقية العالم. تنحوا جانبًا ودعونا نعمل».

قال بيرلي بصوت رتيب: «لكن القناة كانت تسير حسب الجدول حتى ستة أشهر مضت. ماذا حدث؟».

أشار نجوما بيديه قائلًا: «مشاكل في اليد العاملة». ثم أخذ يفتش في كومة ورق على مكتبه.

تمتم قائلًا: «كان لديَّ شيء بهذا الخصوص هنا. لكن لا عليك. حدث ذات مرة عجز في النساء العاملات في مكان ما في المكسيك. لم يكن هناك ما يكفي من النساء في المنطقة. يبدو أن أحدًا لم يغذ الآلة ببيانات النوع».

توقف ليضحك مبتهجًا ثم اكتسى وجهه بالجدية: «انتظر لحظة.. أعتقد أنني عثرت عليه. بيافرانكا!».

«فيلافرانكا؟».

«فرانشسكو. فيلافرانكا كان المهندس المسئول. والآن دعني أوضح الأمر. وقع حادث ما، وحدث انهيار. نعم نعم. هذا هو ما حدث. لم يمت أحد على ما أتذكر، لكنه أحدث فوضى كبيرة. فضيحة كبيرة».

«حقًا؟».

«كان هناك خطأ ما في حساباته. أو على الأقل هكذا قالت الآلة. لقد زودوها ببيانات فيلافرانكا وافتراضاته وما إلى ذلك.. الأشياء التي بدأ بها. وجاءت الإجابات مختلفة. يبدو أن الإجابات التي استخدمها فيلافرانكا لم تأخذ في الحسبان

تأثير هطول أمطار غزيرة على حواف المجرى. أو شيء من هذا القبيل. لست مهندسًا كما تعرف.

«على أي حال أحدث فيلافرانكا جلبة كبيرة. زعم أن إجابة الآلة كانت مختلفة في المرة الأولى. وقال إنه اتبع تعليمات الآلة بدقة. ثم استقال! عرضنا عليه الاستمرار نظرًا لوجود قدر من الشك، ولأن عمله السابق كان مرضيًا وكل تلك الأسباب لكن في وظيفة أدنى بالطبع - كان يتعين ذلك - لا يمكن تجاهل الأخطاء - هذا سيئ للانضباط - أين كنت؟».

«عرضت الاحتفاظ به؟».

«آه نعم. لكنه رفض. حسنًا مع كل هذا نحن متأخرون شهرين. هذا لا شيء».

مد بيرلي يده وطرق بخفة على المكتب: «ألقى فيلافرانكا باللوم على الآلة أليس كذلك؟».

«حسنًا لم يكن ليلوم نفسه.. أليس كذلك؟ لنواجه الأمر بصراحة؛ الطبيعة البشرية لا تتغير. كما أنني تذكرت شيئًا آخر الآن - لماذا لا أجد الأوراق عندما أحتاجها؟ نظامي للأرشفة رديء للغاية. بيافرانكا هذا كان عضوًا بإحدى منظماتكم الشمالية. المكسيك قريبة جدًا من الشمال! هذا جزء من المشكلة».

«أي منظمة التي تتحدث عنها؟».

«يسمونها جمعية من أجل الإنسانية. كان فيلافرانكا يحضر الاجتماع السنوي في نيويورك. حفنة من المجانين لكنهم غير مؤذين. لا يحبون الآلات. يدعون أنها تدمر روح المبادرة البشرية. لذا من الطبيعي أن يلقي فيلافرانكا باللوم على الآلة. شخصيًا لا أفهم تلك المجموعة. هل يبدو من كابيتال سيتي كما لو أن الجنس البشري قد فقد روح المبادرة؟».

أما كابيتال سيتي فقد تمددت في مجد ذهبي تحت شمس ذهبية.. أحدث وأصغر نتاج التمدن البشري.

المنطقة الأوربية
أ- المساحة: 4000000 ميل مربع
ب- عدد السكان: 300000000
جـ- العاصمة: جنيف

كانت المنطقة الأوربية استثناء من أكثر من وجه. فمن حيث المساحة كانت الأصغر وبفارق كبير؛ إذ لم تكن تتجاوز خمس حجم المنطقة المدارية من حيث المساحة ولا خمس حجم المنطقة الشرقية من حيث عدد السكان. أما جغرافيًا فكانت تشبه قليلًا فحسب أوربا ما قبل الحقبة الذرية حيث اقتطع منها ما كان يومًا روسيا الأوربية، وما كان يومًا الجزر البريطانية، بينما أضيفت إليها الشواطئ المتوسطية لإفريقيا وآسيا، وفي قفزة غير مألوفة عبر الأطلسي أضيفت إليها أيضًا الأرجنتين وتشيلي وأوروجواي.

وليس من المرجح أن يتحسن وضعها النسبي قياسًا إلى المناطق الأخرى لكوكب الأرض اللهم إلا بعض الحيوية التي تجود بها عليها المقاطعات الأمريكية الجنوبية. ومن بين المناطق كلها هي الوحيدة التي أظهرت تراجعًا مطردًا في عدد السكان على مدى نصف القرن الفائت. وهي وحدها التي لم تتوسع كثيرًا في مرافقها الإنتاجية أو تقدم شيئًا مبتكرًا للثقافة البشرية.

«أوربا» قالت مدام تشيجتشوفسكا بفرنسيتها الهادئة: «هي في جوهرها لاحقة اقتصادية للمنطقة الشمالية. نعرف هذا ولا نبالي».

وفيما يشبه الإقرار بافتقار المنطقة إلى ما يميزها عن غيرها خلت حوائط مكتب نائبة المنسق من خريطة لأوربا.

أجاب بيرلي: «ورغم هذا لديكم آلة خاصة بكم ولا شك أنكم لا تتعرضون لأي ضغط اقتصادي من الضفة الأخرى للمحيط».

«آلة!». قالتها وهي تهز كتفيها الرقيقتين بلا مبالاة، بينما ارتسمت ابتسامة رفيعة على وجهها الصغير وقد استقرت سيجارة بين أصابعها الطويلة. «أوربا مكان ناعس. و الأمر نفسه ينطبق على رجالنا ممن لا يستطيعون الهجرة إلى المنطقة المدارية،

فهم مجهدون وناعسون مثلها. ترى بنفسك كيف أن امرأة متواضعة مثلي تتولى مهمة نائب المنسق. حسنًا، لحسن الحظ أنها ليست وظيفة صعبة ولا يتوقع الكثير مني»

«أما بالنسبة للآلة.. ما الذي يمكن أن تقوله سوى: «افعلوا كذا، وسيكون الأمثل لكم. لكن ما الأمثل لنا؟ ليس سوى أن نكون لاحقة اقتصادية للمنطقة الشمالية».

«وهل الأمر بهذا السوء؟ لا حروب! نحيا في سلام.. وهو أمر يبعث على السرور بعد سبعة آلاف عام من الحرب. نحن عالم قديم يا سيدي. تضم حدودنا مناطق كانت مهد الحضارات الغربية. لدينا مصر والعراق.. كريت وسوريا.. آسيا الصغرى واليونان. لكن سن الشيخوخة ليست وقتًا تعيسًا بالضرورة. يمكن أن تكون فترة استمتاع».

قال بيرلي بودٌّ: «ربما تكونين على حق.. على الأقل إيقاع الحياة ليس محمومًا كما في مناطق أخرى. إنها أجواء لطيفة».

«أليست كذلك؟ تفضل الشاي. كم ملعقة سكر؟ تفضل».

رشفت برقة ثم تابعت حديثها: «إنها أجواء لطيفة بالفعل. لا نمانع في أن يؤول عبء الكفاح المتواصل إلى بقية العالم. أجد نظيرًا هنا، وهو مثير للاهتمام بشدة. في وقت من الأوقات كانت روما سيدة العالم. لقد تبنت ثقافة وحضارة اليونان.. اليونان التي لم تتحد قط والتي دمرت نفسها بالحرب والتي كانت قد آلت إلى حالة من الانحلال والفساد السياسي. روما وحّدتها وجلبت لها السلام وجعلتها تحيا حياة آمنة وإن كانت غير مجيدة. لقد شغلت نفسها بفلسفاتها وفنونها بمنأى عن صراعات التوسع والحرب. كان شكلًا من الموت، لكنه هادئ، وقد استمر، لا تقطعه إلا فواصل وجيزة لنحو أربعمائة عام».

قال بيرلي: «ورغم هذا سقطت روما في نهاية المطاف وانتهى الحلم».

«لم يعد هناك برابرة لكي يطيحوا بالحضارة».

«قد نكون نحن برابرة أنفسنا مدام تشيجتشوفسكا. وبالمناسبة كنت أريد أن أسألك؛ إنتاج مناجم الزئبق في (المادن) تراجع كثيرًا. لا ريب أن الخامات لا تتناقص أسرع من المتوقع؟».

ثبّتت المرأة صغيرة الحجم عينيها الرماديتين بدهاء على بيرلي: «برابرة.. سقوط الحضارة.. خطأ محتمل من جانب الآلة. تفكيرك شديد الشفافية يا سيدي».

«حقًّا؟» ابتسم بيرلي. «أرى أنه كان ينبغي أن أتعامل مع رجال حتى هذه اللحظة.. هل تعتبرين مشكلة «المادن» نتيجة خطأ للآلة؟».

«مطلقًا. لكن أعتقد أن هذا هو رأيك. أنت من سكان المنطقة الشمالية. مكتب التنسيق المركزي مقره نيويورك. وقد لاحظت منذ فترة أنكم معشر الشماليين لا تثقون في الآلة بعض الشيء».

«هل نحن كذلك؟».

«لديكم جمعية من أجل الإنسانية وهي قوية في الشمال لكنها لا تجد كما هو متوقع أتباعًا كثيرين في أوربا العجوز المنهكة والمستعدة تمامًا لترك الإنسانية الواهنة لحالها لبعض الوقت. لا ريب أنك من الشمال الواثق لا من القارة العجوز الساخرة».

«هل لهذا علاقة بـ (المادن)؟».

«نعم أعتقد هذا. تخضع المناجم لسيطرة شركة كونسوليدتد سينابار وهي شركة شمالية بالتأكيد مقرها في ميكولايف. شخصيًّا أتساءل إن كان مجلس الإدارة يستشير الآلة على الإطلاق. قالوا إنهم يفعلون ذلك في اجتماع معنا الشهر الماضي وبالتأكيد لا نملك دليلًا على عكس ذلك لكن ما كنت لأثق تحت أي ظرف بكلام شمالي في مثل هذا الأمر.. ولا أقصد الإساءة بالطبع. ومع ذلك أعتقد أن الأمر سينتهي نهاية جيدة».

«كيف يا سيدتي العزيزة؟».

«اعلم أن الاختلالات الاقتصادية للأشهر القليلة الماضية، والتي رغم أنها محدودة بالمقارنة مع العواصف العاتية في الماضي تعد مبعث قلق بالنسبة لذواتنا المسالمة، قد تسببت في اضطرابات كبيرة في المقاطعة الإسبانية. ما أعرفه هو أن كونسوليدتد سينابار تبيع المناجم إلى مجموعة من الإسبان. وفي هذا عزاء لنا. فإذا كنا لاحقة اقتصادية للشمال فمن المهين إظهار الحقيقة بشكل صارخ جدًّا. ويمكن الوثوق بدرجة أكبر في التزامنا بأوامر الآلة».

«إذن تعتقدين أنه لن تقع متاعب أخرى؟».

«أنا متأكدة من أن هذا لن يحدث.. ليس في «المادن» على الأقل».

المنطقة الشمالية

أ- المساحة: 18000000 ميل مربع

ب- عدد السكان: 800000000

جـ- العاصمة: أوتاوا

كانت المنطقة الشمالية على القمة من أكثر من ناحية. تجلى ذلك في الخريطة المعلقة بمكتب هيرام ماكنزي نائب المنسق في أوتاوا، والتي كان القطب الشمالي مركزها. وعدا الجيب الأوربي بمنطقتيه الإسكندنافية والأيسلندية كان القطب الشمالي بالكامل ضمن المنطقة الشمالية.

كان يمكن تقسيمها تقريبًا إلى منطقتين رئيسيتين. في يسار الخريطة أمريكا الشمالية بالكامل فيما فوق نهر ريو جراندي. وفي اليمين كل ما كان يومًا الاتحاد السوفيتي. معًا شكلت هاتان المنطقتان مركز القوة على ظهر الكوكب خلال السنوات الأولى للعصر الذري. وبينهما كانت بريطانيا العظمى لسانًا للمنطقة يلعق أوربا. وفي أعلى الخريطة وقد اتخذت أشكالًا غريبة ضخمة كانت أستراليا ونيوزيلندا وهما من مقاطعات المنطقة أيضًا.

كل تطورات العقود الأخيرة لم تغير بعد حقيقة أن الشمال كان السيد الاقتصادي للكوكب.

كان هناك ما يشبه الرمزية المتباهية في حقيقة أنه من بين الخرائط الإقليمية الرسمية التي رآها بيرلي كانت خريطة ماكنزي هي الوحيدة التي يظهر فيها كوكب الأرض بالكامل كما لو أن الشمال لا يخشى المنافسة ولا يحتاج إلى واسطة لإبراز هيمنته.

قال ماكنزي بحدة وهو يحتسي الويسكي: «مستحيل.. سيد بيرلي أعتقد أنك لم تحصل على تدريب كمتخصص في النواحي الفنية للروبوت».

«لا لم أحصل على مثل هذا التدريب».

«حسنًا أرى أنه مما يبعث على الأسى أن تشينغ ونجوما وتشيجتشوفسكا لم يحصلوا أيضًا على هذا التدريب. تسود بين سكان الأرض وجهة نظر تقول إن المنسق ينبغي فقط أن يكون منظمًا ذا كفاءة.. شخصًا قادرًا على التعميم وودودًا. في هذه الأيام ينبغي أن يكون على معرفة بعلم الروبوت أيضًا.. ولا أقصد أي إساءة».

«ليس في الأمر ما يسيء. أتفق معك».

«أفهم مما قلته على سبيل المثال أن القلق ينتابك بشأن الاختلالات الطفيفة الأخيرة في الاقتصاد العالمي. لا أعرف ما الشكوك التي تساورك لكن حدث من قبل أن أناسًا تساءلوا، وكان ينبغي أن يكونوا أكثر حصافة عما سيحدث لو تم تزويد الآلة ببيانات خطأ».

«وماذا سيحدث في هذه الحالة سيد ماكنزي؟».

«حسنًا».. مال الرجل الإسكتلندي بجسده وتنهد قائلًا: «كل البيانات المجمعة تمر بنظام تدقيق معقد يتضمن فحصًا بشريًا وآليًا فيصبح من المستبعد أن تحدث مثل تلك المشكلة، لكن دعنا نتجاهل ذلك. البشر ليسوا بمعصومين وهم قابلون للإفساد والأجهزة الآلية العادية معرضة للأعطال».

«النقطة الجوهرية هي أن ما نطلق عليه (معطيات خطأ) هو ما لا يتسق مع كل البيانات الأخرى المعروفة. هذا هو معيارنا الوحيد للصواب والخطأ. وهو معيار الآلة أيضًا. اطلب إليها على سبيل المثال أن توجه النشاط الزراعي على أساس متوسط درجة حرارة لشهر يوليو في أيوا يبلغ 8 , 13 درجة مئوية. لن تقبل بذلك. لن تعطي إجابة. ليس لأن لديها أي تحيز ضد درجة الحرارة تلك بالذات أو أنه من المستحيل تقديم إجابة، ولكن لأنه في ضوء كل البيانات الأخرى التي تم تزويدها بها على مدى فترة من السنين فهي تعرف أن متوسط درجة حرارة تبلغ 8 , 13 درجة في يوليو هي من الناحية العملية صفر، فترفض الآلة المعطيات».

«الطريقة الوحيدة لإجبار الآلة على قبول (معطيات خطأ) هي بإدخالها ضمن كل ذاتي الاتساق يكون كله خطأ على نحو خفي، وبشكل دقيق لا تستطيع الآلة كشفه أو خارج نطاق تجربة الآلة. والحالة الأولى خارج نطاق قدرة البشر والثانية تكاد تكون كذلك وعلى نحو متزايد مع تنامي خبرة الآلة في كل ثانية».

مسح ستيفن بيرلي بإصبعين على أنفه: «لا يمكن التلاعب بالآلة إذن.. كيف إذن تفسر الأخطاء الأخيرة؟».

«عزيزي بيرلي، أرى أنك تقع غريزيًا في ذلك الخطأ الكبير.. الاعتقاد بأن الآلة تعرف كل شيء. دعني أخبرك بشيء من تجربتي الشخصية. تتعامل صناعة القطن مع مشترين ذوي خبرة في شراء القطن. ما يقومون به هو سحب خصلة قطن من بالة عشوائية ضمن الكمية. يفحصون تلك الخصلة ويلمسونها ويفتلونها وربما أصغوا إلى صوت الطقطقة الصادر عنها وهم يفعلون ذلك ويمسونها بألسنتهم.. ومن خلال تلك العملية يحددون صنف القطن الذي تمثله البالات. هناك نحو عشرة أصناف. ونتيجة لقراراتهم تتم عمليات الشراء بأسعار معينة ويتم مزج الأصناف بنسب معينة، وهؤلاء المشترون لا يمكن أن تحل الآلات محلهم».

«لم لا؟ من المؤكد أن البيانات ذات الصلة ليست بالغة التعقيد بالنسبة لها؟».

«على الأرجح لا. لكن ما البيانات التي تشير إليها؟ ما من كيميائي منسوجات يعرف بالضبط ما الذي يختبره المشتري عندما يتحسس خصلة قطن. من المفترض أن هناك متوسط طول الخيوط وملمسها ومدى وطبيعة نعومتها وتماسكها وما إلى ذلك. عشرات العوامل يزنها اللاوعي بناء على سنين من الخبرة. لكن الطبيعة *الكمية* لتلك الاختبارات غير معلومة. بل لعل جوهر بعضها غير معروف؛ لذا ليس لدينا ما نزود الآلــة به، ولا حتى بمقدور المشترين أنفسهم توضيح قرارهم. كل ما يمكن أن يقولوه هو: حسنًا، انظر إليها. أليس بوسعك أن تقول إنها من صنف كذا وكذا؟».

«فهمت قصدك».

«هناك حالات لا تحصى مثل تلك. في نهاية الأمر الآلة مجرد أداة يمكن أن تساعد الإنسانية على التقدم بسرعة أكبر عن طريق الاضطلاع ببعض أعباء الحسابات والتفسيرات. وظيفة العقل البشري تظل كما كانت دائمًا. اكتشاف بيانات جديدة لتحليلها وابتكار مفاهيم جديدة لاختبارها. من المؤسف أن جمعية من أجل الإنسانية لن تفهم ذلك».

«هل هم ضد الآلة؟».

«كانوا سيعارضون علم الرياضيات أو يعارضون فن الكتابة لو عاشوا في الزمن المناسب. رجعيو الجمعية هؤلاء يزعمون أن الآلة تسلب الإنسان روحه. ألاحظ أن أصحاب الكفاءات ما زالوا بأعلى المراتب في مجتمعنا. ما زلنا بحاجة إلى الرجل الذكي بما يكفي للتفكير في الأسئلة المناسبة لطرحها. ربما لو أمكننا العثور على ما يكفي منهم لما وقعت تلك الاختلالات التي ينتابك القلق بشأنها أيها المنسق».

الأرض (شاملة القارة القطبية الجنوبية غير المأهولة بالسكان):

أ- المساحة: 54000000 ميل مربع (سطح اليابسة)

ب- السكان: 3300000000

جـ- العاصمة: نيويورك

أصبحت النار ضعيفة خلف لوح الكوارتز وقد أخذت تقرقع في طريقها المتردد صوب الفناء.

بدا المنسق متعكر المزاج على غرار اللهب الآفل.

قال بصوت خفيض: «جميعهم يهونون من الأمر. أليس بديهيًا أنهم يسخرون مني الآن؟ ومع هذا قال فنسنت سيلفر إن الآلات لا يمكن أن تخطئ ويجب أن أصدقه. هيرام ماكنزي يقول إنه لا يمكن تزويدها ببيانات خطأ ويجب أن أصدق ذلك أيضًا.. وهكذا يتبقى بديل واحد».

نظر إلى جانبه حيث سوزان كالفن التي بدت للحظة بعينيها المغمضتين كما لو كانت نائمة.

«ماذا تقصد؟». سألت منتبهة إلى التلميح رغم ذلك.

«تم بالفعل التزويد ببيانات صحيحة وتم بالفعل الحصول على إجابات صحيحة لكن تم تجاهلها. لا تستطيع الآلة فرض الالتزام بما تمليه».

« ألمحت السيدة تشيجتشوفسكا إلى ذلك عندما أشارت إلى الشماليين عمومًا على ما أظن».

«صحيح».

«وما الغرض من عدم طاعة الآلة؟ فلنفكر في الدوافع».

«الأمر واضح بالنسبة لي وينبغي أن يكون كذلك بالنسبة لك. يتعلق الأمر بتعمد زعزعة النظام القائم. ما دامت الآلات تحكم لا يمكن أن تقع صراعات خطيرة على الأرض بحيث تستطيع مجموعة أو أخرى كسب نفوذ أكبر مما تمتلكه لما تعتقد أنه صالحها الخاص رغم الضرر الذي قد يلحق بالجنس البشري ككل.

إذا أمكن انهيار الثقة العامة في الآلات لدرجة العزوف عنها فسيعود قانون الغابة. وأي المناطق الأربع ليست فوق مستوى الشك في أن هذا هو ما تريده بالضبط. الشرق لديه نصف البشر ضمن حدوده والمناطق المدارية تملك أكثر من نصف موارد الأرض. كل منهما قد يشعر أنه الحاكم الطبيعي لكوكب الأرض، وكل منهما تعرض لظلم تاريخي على يد الشمال يكفي بشريًا للتطلع إلى انتقام بلا معنى. من ناحية أخرى، لأوربا تاريخ من الأمجاد. لقد حكمت الأرض يومًا ولا شيء أدوم التصاقًا من ذكرى السلطة.

«لكن من ناحية أخرى يصعب تصديق ذلك. كل من الشرق والمناطق المدارية يشهد نموًا هائلًا داخل حدوده. كلاهما في صعود مذهل. لا يمكن أن يمتلكا الطاقة الفائضة لمغامرات عسكرية. وأوربا لا يمكن أن تملك عدا أحلامها. إنها صفر من الناحية العسكرية».

قالت سوزان: «إذن يا ستيفن.. لديك الشمال».

«نعم».. قالها بيرلي بحماس «بالفعل. الشمال الآن هو الأقوى وهو كذلك منذ قرن تقريبًا أو العناصر المكونة له. لكنه يخسر نسبيًا الآن. المنطقة المدارية قد تحل محله في صدارة الحضارة للمرة الأولى منذ عصر الفراعنة وهناك شماليون يخشون ذلك.

«جمعية من أجل الإنسانية» منظمة شمالية في المقام الأول وهم لا يخفون رغبتهم في التخلص من الآلات. عددهم قليل يا سوزان لكنها رابطة من الرجال الأقوياء. إنها تضم مديرين لمصانع وصناعات ومشاريع زراعية يكرهون أن يصبحوا (سعاة الآلات) على حد قولهم. إنها تضم رجالًا ذوي طموح؛ رجالًا يجدون في أنفسهم القوة الكافية لكي يقرروا بأنفسهم ما فيه صالحهم لا أن يعلمهم به آخرون».

«باختصار، هؤلاء الرجال برفضهم معًا قبول قرارات الآلة هم فقط الذين بوسعهم خلال وقت قصير أن يقلبوا العالم رأسًا على عقب. فقط أولئك المنتمون إلى الجمعية».

«إنه تفسير منطقي يا سوزان. خمسة من مديري وورلد ستيل أعضاء بالجمعية. وورلد ستيل تعاني إنتاجًا زائدا على الحاجة. كونسوليدتد سينابار التي كانت تستخرج الزئبق في المادن شركة شمالية. دفاترها ما زالت قيد المراجعة لكن واحدًا على الأقل من الأشخاص المعنيين كان عضوًا. فرانشيسكو فيلافرانكا الذي أخَّر بمفرده مشروع القناة المكسيكية شهرين كان عضوًا كما نعرف بالفعل.. وكذلك راما فراسايانا. لم أندهش على الإطلاق عندما عرفت».

قالت سوزان بهدوء: «هؤلاء الرجال لعلي أشير إلى أنهم جميعًا لم يبلوا بلاءً حسنًا».

قاطعها بيرلي قائلًا: «لكن هذا طبيعي. عصيان تحليل الآلة يعني اتباع مسار غير مثالي. النتائج أسوأ مما يمكن أن تكون. إنه الثمن الذي يدفعونه. إنهم يمرون بصعوبات حاليًا لكن في خضم الفوضى التي ستحل في نهاية الأمر..».

«ما الذي تخطط القيام به يا ستيفن؟».

«من الواضح أنه لا وقت لنضيعه. سأطلب حظر الجمعية وتنحية كل عضو عن أي موقع للمسئولية. وكل المواقع التنفيذية والفنية بعد ذلك لن يشغلها إلا متقدمون يوقعون على تعهد بعدم الانضمام إلى الجمعية. سيعني هذا التخلي عن بعض الحقوق المدنية الأساسية لكنني على ثقة من أن الكونجرس........».

«هذا لن ينجح!».

«ماذا! لم لا؟».

«إليك ما أتوقعه. إذا حاولت أي شيء من هذا القبيل ستواجه عراقيل عند كل خطوة. ستجد أن من المستحيل القيام بذلك. ستجد أن كل خطوة تخطوها في هذا الاتجاه ستسفر عن مشكلة».

ذهل بيرلي: «لماذا تقولين هذا؟ كنت آمل الحصول على موافقتك».

«لا يمكن ما دامت إجراءاتك تستند إلى مقدمة خاطئة. أنت تقر بأن الآلة لا يمكن أن تخطئ ولا أن يتم تزويدها ببيانات خاطئة. والآن سأثبت لك أنه لا يمكن حتى عصيان أوامرها وهو ما تظن أن الجمعية تفعله».

«ذاك لا أعتقده على الإطلاق».

«أنصت إذن. كل إجراء لأي مسئول تنفيذي لا يتبع فيه التعليمات الدقيقة للآلة التي يعمل معها يصبح جزءًا من بيانات المشكلة التالية. وبالتالي تعرف الآلة أن لدى المسئول التنفيذي ميلًا ما لعصيانها. ويمكنها أن تدمج ذلك الميل في تلك البيانات وذلك ممكن حتى من الناحية الكمية بحيث تعرف لأي مدى وفي أي اتجاه سيحدث العصيان. إجابتها التالية ستكون معدلة بالقدر الكافي بحيث أنه مع عصيان المسئول التنفيذي المعني يكون قد صحح تلقائيًا تلك الإجابات في الاتجاه المثالي. الآلة تعرف يا ستيفن».

«لا يمكن أن تتيقني من كل هذا. أنت تخمنين».

«هو تخمين يستند إلى خبرة عمر مع الروبوتات. خير لك أن تعتمد على مثل هذا التخمين يا ستيفن».

«لكن ماذا يتبقى إذن؟ الآلات نفسها على صواب والمقدمات التي تعمل على أساسها صحيحة. نحن متفقان في هذا. والآن تقولين إنه لا يمكن عصيانها. أين الخطأ إذن؟»

«أنت أجبت بنفسك. لا يوجد خطأ! فكر في الآلات لبرهة يا ستيفن. إنها روبوتات وهي تتبع القانون الأول. لكن الآلات لا تعمل لأي بشري على حدة بل للبشرية جمعاء وبهذا يصبح القانون الأول: «لا يجوز لآلة أن تضر بالإنسانية أو أن تسمح من خلال عدم اتخاذ رد فعل بالإضرار بالإنسانية».

«حسنًا يا ستيفن ما الذي يضر بالإنسانية؟ الاختلالات الاقتصادية أكثر من أي شيء آخر أيًا كان سببها. ألا تتفق معي؟».

«بلى».

«وما السبب الذي من المرجح أن يتسبب في اختلالات اقتصادية في المستقبل؟ جاوبني يا ستيفن».

أجاب ستيفن مكرهًا: «أظن دمار الآلات».

«وهذا هو ما كنت سأقوله وما ستقوله الآلات. اهتمامها الأول إذن ينصب على المحافظة على نفسها من أجلنا. وبالتالي تتعامل بهدوء مع العناصر الوحيدة الباقية التي تهددها. ليست (جمعية من أجل الإنسانية) هي التي تهز أركان النظام القائم كي

تدمر الآلات. لقد كنت تنظر إلى الصورة المعاكسة. الأحرى أن الآلة هي التي تهز أركان النظام القائم.. هزًّا خفيفًا جدًّا.. بما يكفي فحسب لإسقاط أولئك المتعلقين بأهدابه لأغراض تراها الآلات مضرة بالإنسانية».

«وهكذا يفقد فراسايانا مصنعه ويحصل على وظيفة أخرى لا يمكن أن يلحق الضرر فيها.. وهو لم يتضرر بشدة لدرجة أن يصبح عاجزًا عن كسب العيش إذ إن الآلة لا يمكن أن تؤذي إنسانًا إلا بأقل درجة وهذا فقط لحماية عدد أكبر. كونسوليدتد سينابار تفقد السيطرة في المادن. بيافرانكا لم يعد مهندسًا مدنيًّا مسئولًا عن مشروع مهم. ومديرو وورلد ستيل قبضتهم على الصناعة ترتخي.. أو سوف ترتخي».

قال بيرلي بإصرار وهو مشدوه: «لكن أنت لا تعرفين حقًّا كل هذا. كيف يمكن أن نغامر بالمراهنة على أنك على صواب؟».

«يتوجب عليك. هل تذكر بيان الآلة ذاتها عندما عرضت المشكلة عليها؟ لقد كان: (المسألة لا تسمح بأي تفسير) لم تقل الآلة إنه لا يوجد تفسير ولا إنها لا تستطيع أن تجد تفسيرًا. إنها ببساطة لن تسمح بأي تفسير. بعبارة أخرى معرفة التفسير ستلحق الضرر بالإنسانية ولذا لا نملك إلا أن نخمن.. وأن نواصل التخمين».

«لكن كيف يمكن للتفسير أن يؤذينا؟ بافتراض أنك على صواب يا سوزان».

«يا للعجب يا ستيفن، إذا كنت على صواب فمعنى ذلك أن الآلة ترعى لنا مستقبلنا بما لا يقتصر على تقديم إجابات مباشرة عن أسئلتنا المباشرة بل بإجابة عامة على الوضع العالمي وبما يتناسب مع النفسية البشرية ككل. ومعرفة ذلك قد تجعلنا تعساء أو قد تجرح كبرياءنا. لا تستطيع الآلة أن تتسبب في تعاستنا بل يجب ألا تفعل ذلك.

«أنى لك أن تعرف يا ستيفن ما يتطلبه الصالح النهائي للبشرية؟ نحن لا نملك التصرف في العوامل اللانهائية التي تحت تصرف الآلة! ولأضرب لك مثلًا مألوفًا؛ فحضارتنا التقنية بأسرها قد أوجدت من التعاسة والبؤس أكثر مما أزالت. لعل حضارة زراعية أو رعوية بثقافة أقل وعدد سكان أقل تكون أفضل؛ إذا كان الأمر كذلك فيجب على الآلات أن تتحرك في ذلك الاتجاه، ومن الأفضل ألا تخبرنا؛ إذ

تجعلنا تحيزاتنا العمياء نظن الخير فيما نعرفه فقط.. وعندئذ قد نقاوم التغيير. أو قد تتمثل الإجابة في تمدن كامل أو مجتمع لا طبقي تمامًا أو فوضوية كاملة. نحن لا نعرف. الآلات وحدها هي التي تعرف وهي ذاهبة إلى هناك وستأخذنا معها».

- «لكن ما تقولينه يا سوزان هو أن (جمعية من أجل الإنسانية) محقة وأن البشرية فقدت حق تقرير المصير».

- «في حقيقة الأمر هي لم تملك هذا الحق قط. لقد كانت دائمًا تحت رحمة قوى اقتصادية واجتماعية لم تفهمها.. أسيرة أهواء المناخ ونتائج الحرب. الآن الآلات تفهم ذلك. ولا أحد يملك إيقافها؛ لأن الآلات ستتعامل معهم كما تتعامل مع المجتمع بامتلاكها أمضى الأسلحة في جعبتها؛ للسيطرة المطلقة على اقتصادنا».

- «يا للفظاعة!».

- «أو ربما يا للروعة! فكر في أنه للمرة الأولى لا يمكن أن يقع أي صراع. أصبحت الآلات من الآن فصاعدًا هي الحتمية الوحيدة!».

عندئذ خمدت النار خلف لوح الكوارتز مخلفة خيطًا من الدخان لا أكثر.

- «هذا كل شيء».. قالتها الدكتورة سوزان ونهضت. «كنت شاهدة عيان منذ البداية عندما كانت الروبوتات البائسة لا تستطيع الكلام إلى النهاية؛ عندما أصبحت تقف حائلًا بين الجنس البشري والدمار. لن أرى المزيد. مسيرتي انتهت. أنت سترى ما سيحدث بعد ذلك».

لم أر سوزان كالفن بعدها قط. فقد ماتت الشهر الماضي عن عمر ناهز الثانية والثمانين.

«لم يكن أحد أهم كتاب الخيال العلمي فحسب، لكنه (أزيموف) كان واحدا من أفضل وألمع الناس على الإطلاق. اقرءوا «أنا.. روبوت» لتروا هذا العبقري المتألق في أفضل حالاته».. - بن بوفا

أنــا.. روبــوت

لا يمكنهم إيذاء البشر بل عليهم طاعة أوامرهم وكذلك حماية أنفسهم، فقط ما لم يكن ذلك يخالف القاعدتين الأولى والثانية. بهذه القوانين الثلاثة للروبوتات تخوض البشرية ما قد تكون أعظم مغامراتها على الإطلاق، ألا وهي اختراع أول روبوت بوزيتروني.

كتاب «أنا.. روبوت» لإسحق أزيموف يأخذ القارئ في مغامرة إلى مستقبل ليس بعيدا للغاية، حيث يجاهد الإنسان والآلة لإعادة تعريف الحياة والحب بل الوعي ذاته إذ إن العلماء الذين اخترعوا الروبوتات الأوائل لم يرضوا لمخترعاتهم بأن تظل مجرد مخلوقات مبرمجة تقوم بدور المساعد أو الصاحب أو العامل. وسريعا ما دب عدم الرضا في الروبوتات نفسها وقد أدركت ذكاءها وقوتها وخصائصها الإنسانية، والآن يجد البشر أنفسهم في مواجهة روبوتات تقرأ الخواطر وتعمل بالسياسة وأخرى أصابها مس من الجنون، بالإضافة إلى أجهزة مخابرات روبوتية عاتية ربما تحاول بالفعل السيطرة على العالم في الكفاح الكبير التالي للبقاء. كل من الإنسان والروبوت يسأل الأسئلة ذاتها: ما البشر؟ وهل اندثرت البشرية؟

« ساهم (أزيموف) بقصصه عن الروبوت وسلسلة الأساس في تشكيل أدب الخيال العلمي كما نعرفه اليوم ».
جاك ويليامسون

« ليس هناك سوى إسحق أزيموف واحد فقط ولن يكون هناك آخر ».
مايك رزنيك

دار نهضة مصر للنشر

www.nahdetmisr.com

6 221133 344999